بدأ صدورها في 2012م الرقم الدولي: 2321-7928

مـجـلـة الهـــند

مجلة فصلية محكّمة

المجلد: 13 العدد: 2

أبريل-يونيو 2024م

مدير التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفـــاء شاكـري

نائب مدير التحرير

د. محمد معتصم الأعظمي

تصدر عن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية رقم البريد: 731235

الهيئة الاستشارية

د. مثنى حارث الضاري (العراق)	د. سناء شعلان (الأردن)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دانش الأعظمي (البحرين)

هيئة التحكيم

د. بشري زيدان (مصر)	د. حسن يشو (قطر)
د. عامر خليل الجراح (تركيا)	د. محمد فضل الله شريف (الهند)

هيئة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد معتصم الأعظمي (نائب مدير التحرير)	د. محمد شفاء الرحمن المدني (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) aurang11zeb@yahoo.co.in

(2) azebazmi@gmail.com

موقع المجلة: www.azazmi.com

الاشتراك السنوي:

1000 روبية (للطلاب) 1500 روبية (للأساتذة والمكتبات)

قواعد النشر في المجلة

بالنسبة للبحوث التي ترسل للنشر في المجلة، يرجى مراعاة القواعد الآتية:

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغة العربية، إذا توافرت فيها الشروط التالية:
   أ. أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه.
   ب. أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية والمعتبرة في مجاله.
   ج. أن يكون البحث دقيقًا في التوثيق والتخريج.
   د. أن يتسم بالسلامة اللغوية.
   ه. الأفضل أن يتناول البحث موضوعًا جديدًا ذا صلة بالعلوم العربية والإسلامية ومساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون والآداب وما إليها.
2. ألا يزيد البحث عن خمسين صفحة، والرجاء من الباحثين استخدام (Amiri) على حجم 11.5.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدّم لأي جهة أخرى من أجل النشر.
4. يرفق بالبحث ملخص له في حدود صفحة.
5. أن يقر صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل له.
6. تخضع البحوث إلى تحكيم لجان علمية أكاديمية متخصصة وفق المعايير المعتبرة.
7. تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تناسب مع أسلوبها في النشر.

تعبر المقالات المنشورة عن آراء كاتبيها واجتهاداتهم الشخصية.

في هــذا العــدد

الصفحة

الافتتاحية	- د. أورنك زيب الأعظمي	7
مقالات وبحوث:		
تفسير تدبر القرآن (26)	- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	9
المبين (7)	- السيد محمد سليمان أشرف البهاري ترجمة: د. ضياء القمر آدم علي التيمي	39
الدر اليتيم (6)	- الشيخ ماهر القادري ترجمة: د. عظمت الله	52
المبادرات الذاتية؛ قيمة دينيّة وضرورة اجتماعيّة	- د. الزين مصطفى عبد المقيت محمد	61
الجامعة الملية الإسلامية (15)	- عبد الغفار المدهولي ترجمة: د. هيفاء شاكري	82
الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله تعالى	- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ترجمة: د. محفوظ الرحمن	107
كتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية"، دراسة نقدية ...	- د. أورنك زيب الأعظمي	117

تعليم اللغات الأجنبية والثانية في منظور العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي	- د. موسى عيسى زين الدين	211
الريح فيدا كتاب الهندوس المقدّس، دراسة وصفية	- د. علاء الدين محمد إسماعيل	224
نافذة على التاريخ:		
الخطأ الوارد في بعض ترجمات معاني القرآن الكريم، ترجمة "إنْ" المخفّفة نموذجًا	- د. ف. عبد الرحيم	243
قراءة في كتاب:		
تكوين ملكة التفسير	- ذ. يوسف عكراش	264
رجلاً فقدناه:		
المفتي محمد محبوب شريف النظامي	- د. محمّد فضل الله شريف	289
قصائد ومنظومات:		
خطاب منظوم	- الشيخ محمّد عبّاس	292

ISSN: 2321-7928

الافتتاحية

أعزائي القرّاء،

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

يسرّنا كثيرًا أنْ نقدّم إليكم العدد الجديد لمجلة الهند الذي تأخّرنا قليلًا عن إصداره في الميعاد. وخصّصنا هذا العدد أيضًا بالبحث العلمي وأربابه والدراسات المتعلّقة بالهند وأبنائها ومَنْ برز منهم في مختلف مجالات العلم والأدب والفنّ لاسيّما الدراسات العربية والإسلامية.

هذا العدد يحتوي على 10 بحوث، وقراءة في كتاب جديد، وخبرًا بوفاة شخصية قرآنية، وخطابًا منظومًا قرضه الشيخ محمّد عبّاس صاحب كتاب "زينة الإنشاء".

فالمقالة الأولى هي الحلقة الـ26 للترجمة العربية لتفسير "تدبّر قرآن" وتقدّم تفسيرًا للآيات (156-200) وعليها تنتهي سورة آل عمران. والحمد لله على ذلك. وتقدّم المقالة الثانية الحلقة السابعة للترجمة العربية لكتاب "المبين" للسيّد محمد سليمان أشرف البهاري. والمقالة الثالثة هي الحلقة السادسة للترجمة العربية لكتاب "درّ يتيم" للشيخ ماهر القادري. وأمّا المقالة الرابعة للدكتور الزين مصطفى عبد المقيت محمد فهي تتناول المبادرات الذاتية كقيمة دينيّة وضرورة اجتماعيّة، والمقالة الخامسة تعرض الحلقة الخامسة عشر للترجمة العربية لكتاب عبد الغفار المدهولي عن تاريخ الجامعة الملية الإسلامية، إذ تذكر المقالة السادسة للشيخ أمين أحسن الإصلاحي قصة تلقّيه علومَ الحديث على الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله تعالى. تتبعها مقالة هذا الكاتب العاجز التي قمتُ فيها بدراسة نقدية

لكتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية" للأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجّار وقصرتُ هذه الدراسة في الأفعال المتعدّية بحروف الجر. وأما المقالة الثامنة فهي للدكتور موسى عيسى زين الدين الذي ناقش فيها تعليم اللغات الأجنبية والثانية في منظور العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي. ختمنا هذه المقالات بمقالة الدكتور علاء محمد إسماعيل التي تقدّم دراسة وصفية للريج فيدا كتاب الهندوس المقدّس.

وأتبعنا هذه البحوث العلمية مقالة العلّامة الدكتور ف. عبد الرحيم كنافذة على التاريخ، وقراءة في كتاب الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني، وخبرًا بوفاة شخصية هندية قرآنية ألا وهي شخصية المفتي محمّد محبوب شريف النظامي. وينتهي هذا العدد على خطاب منظوم للشيخ محمّد عبّاس صاحب كتاب "زينة الإنشاء".

وأخيرًا نشكر كلَّ مَنْ ساهم في هذا العدد من الباحثين والمترجمين وأعضاء هيئة التحرير، وكلَّ مَنْ كانت له جهود مضنية في إخراج هذا العدد في صورته الحالية وتقديمه إليكم.

نسأل الله تعالى أنْ يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

د. أورنك زيب الأعظمي

ISSN: 2321-7928

تفسير تدبر القرآن

(تفسير سورة آل عمران)

- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي[1]

ترجمة من الأردوية: د. أورنك زيب الأعظمي[2]

الحلقة الـ﴿26﴾ والأخيرة

37- تفسير الآيات (156-189)

هذه حلقة من سلسلة الحديث عما كان يُعْرَضُ من الظروف والأوهام التي أنتجتها غزوة أحد.

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

[1] كاتب ومفسر هندي له مؤلفات عديدة ترجم البعض منها إلى العربية والإنجليزية

[2] مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ *يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ * لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩".

38- تحقيق الكلمات وتوضيح الآيات

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨

واللام في "وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ" كاللام في "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ". [سورة الأحقاف: 11] أي في شأنهم. والمراد من الإخوان هم الأقرباء، والغزّى جمعُ الغازي، وقد قُدِّرَ ما يتعلق بـ"لِيَجۡعَلَ" أي أنّ هذا الأمر الذي ثبت في عقولهم قد جاء لأنّ الله يريد بسبب نفاقهم أنّ سوء عقيدتهم هذا لم يزل يحزنهم. وقد مضت أمثلة هذا النوع من الحذف.

في هذه الآيات يُوْعَظُ المسلمون أنْ يحفظوهم من اتباع طريقة الكفّار والمنافقين هذه فإنّ السبب الرئيس لجبنهم سوء عقيدتهم بأنّ الموت والحياة تحت أقدامهم لذا إذا مات أحد إخوانهم أو قُتِلَ في السفر أو الحرب يقولون إنه إذا كان هذا الرجل معنا أو عمل بما أشرناه عليه لما أصيب بما أصيب، لذا قالوا نفس الشيء عن قتلى غزوة أحد إذ الموت أو الحياة كلها بيد الله فيحيي من يشاء ويميت من يشاء والإنسان يموت في الوقت الذي كتبه الله له أو في المكان الذي حدّده له أو في الحالة أوجبها عليه ولو جعل المرء نفسَه في حصون محصّنة. فمن يرى أنه يقدر على صرف الموت بكيده فلا يجد من هذا الزعم سوى غمٍّ دائم أو جبن يحيق به فليكن المؤمنون بعيدين عن هذه الفتنة فالموت والحياة كلاهما بيد الله وهو يراقب كل أعمالنا بدقة وإمعان نظر.

ثم قال ليشجّعهم إنه إذا وفّقتم للشهادة في سبيل الله أو متّم فيه بطريق آخر فلا يحزنكم هذا فإنكم ستحصلون، على هذا، على مغفرة ورحمة هما أفضل من هذه الذخائر الفانية التي يجمعها محبّو الدنيا وعشّاقها.

لنعلم أنّ هذه الآية لا تدعو إلى التهوّر بل هي تخبر بالواقع أنّ الفرار من الواجب ليس طريقة للنجاة من الموت فالطريقة الأصح للمرء أن يؤدّي ما وجب عليه من الأمور بكل عزيمة وليؤقن أنّ الموت لا يأتي إلا حين كُتِبَ كما ليؤقن أنّ الموت في سبيل أداء الواجب أفضل من هذه الحياة الدنيا وما استودع فيها. وسنوضّح هذا الأمر أكثر في الآيات القادمة (167-171)

ثم قال في النهاية أنّ مَنْ يموت أو يُقْتَلُ يبلغ إلى الله فلا يكن المؤمن جزعًا من البلوغ إلى الله، هذه هي حقيقة التضحية وهدفها.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

أسلوب "فَبِمَا رَحۡمَةٍ" أشبه بأسلوب "فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ" والنحويّون يعتبرون "ما" في مثل هذه الأماكن للتوكيد، وأما أنا فأراها أنها ربّما تأتي لملأ الفراغ الموسيقيّ.

"الفظّ": خشن الخلق بينما "غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ" هو شديد القلب.

هذه الآية جاءت كالالتفات. فالنقد اللاذع الذي مضى آنفًا للمنافقين عسى أنْ يتأثر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والمسلمون المحافظون على حوزة الإسلام فتكون معالجته والمسلمين شديدة تجاههم فلم يرد الله تعالى تلك المعالجة في هذه الفترة. ولو أنّ طريقة المافقين كانت تستحق تلك فكانوا يستفيدون خطأ برأفة الرسول وإعراضه، ولكنهم بكونهم مصابين بهذا المرض فأراد الله تعالى أن يمهلهم كي يعود عما يفعل مَنْ فيه منهم من أدنى رمق للإصلاح. فنظرًا لهذه الحكمة أثنى الله تعالى على هذا الجانب الكريم من الرسول وشجّعه عليه، الذي كان يمارسه معهم كما أشار إلى سرّه بأنّ هؤلاء المنافقين ليسوا مهتمّين بصحتهم وشفائهم إلى درجة أن يتجرّعوا دواء مرًّا لشفاء مرضهم فهذه من رحمة الله أنه جعلك لطيفًا غير خشن فحاولت أنْ تصلحهم بنفس اللطافة، فإنْ أصبحتَ شديدًا عليهم ولو قليلًا فيمكن أنْ ينفضّوا عنك لكونهم غير مثقّفين وغير مقدّرين لجهودك ولو لم يشفوا مما هم فيه فكن لطيفًا عليهم كما كنتَ وأعْرِضْ عما يفعلون واسْتَغْفِرْ لهم الله.

ولنلاحظ أنّه لما أيأست جماعة من المنافقين بطريقتهم وأوضحتْ أنهم لا يصلحون أنفسهم بهذا الإعراض فأرْشِدَ الرسولُ ومَنْ معه من المسلمين إلى أنْ يغيّروا أسلوبهم معهم ويكونوا أشدّاء بدل أنْ يكونوا رحماء عليهم. سنفصّل القول عن هذا في الآيتين (73 و123) لسورة التوبة والآية (9) لسورة التحريم.

وكذا أَرْشِدَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى أن يستشيرهم في الأمور، ولهذا الإرشاد حكمة خاصة نشير إليها كما يلي:

إنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن محتاجًا إلى مشورة أحد في شؤون الدين لأنه كان يؤدّي كلّ الواجب في ظلّ الوحي الربّاني، ولكنه كان يستشير صحابته في الأمور السياسية، وهكذا فكأنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أسّس نظام الشورى الذي كان إحدى خصائص النظام السياسي للإسلام. ونظراً لهذه الشورى استشار النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صحابته بمناسبة غزوة أحد (التي تُناقَشُ آثارها ونتائجها) عن دفاع الأعداء كونهم خارج المدينة أو داخلها. والهدف من هذه المشورة، كما ذكرنا آنفًا، أن يبرز من جماعة المسلمين مَنْ هم ضعفاء، وحدث كما نُمِّنَ فمن كان منهم من الضعفاء والمنافقين أشاروا عليه أنْ يدافعوا الأعداء كائنين في داخل المدينة ولم يريدوا بهذا سوى إخفاء ضعفهم ونفاقهم، ولكن المخلصين منهم والفدائيين لم يؤيدوهم مما صوّبه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعمل به الرسول.[1] ولما فشل المنافقون في تصويب رأيهم الخاطئ فأبدوا عن غضبهم بمختلف الطرق؛ وقد انفصلت جماعة عنهم قائلة بأنّ

[1] ما ذكر في كتب التاريخ والسيرة النبوية من أنّ النبي ذاته أحبّ أن يدافع الأعداء كائنين داخل المدينة ومن أنّ الصحابة المتحمسين قد أجبروه على الخروج منها ليس له أساس؛ فلمّا عرض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه القضية للناس لم يبد عما في ضميره لكي يدلي كل منهم بما يرى بكل حرية، والهدف منه لم يكن سوى تبيين حماس الناس لكي يتم تقدير قوة الجيش قبل الخوض فيها. فقال عبد الله بن أبيّ ومن رأى رأيهم بالكون داخل المدينة بينما قال المتحمّسون بالخروج منها. فلمّا ميّز النبي بهذه الطريقة بين الضعفاء والأقوياء دخل البيت وخرج منه وهو متسلّح، وهذه كانت إشارة إلى أنّ الدفاع يكون خارج المدينة، فظنّ المتحمّسون أنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اختار رأيهم لإجبارهم فحاولوا أنْ يرجعوا عن رأيهم واعتذروا إليه فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنّ النبي إذا لبس السلاح فلا ينزعها. فلمّا رأى المنافقون أنهم لم تقبل مشورتهم انفصل منهم عبد الله بن أبيّ مع 300 جنديّ. ولنصرح أنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يمتحن حماس وقوة الجيش قبل أن ينهض لأي غزوة مهمة بحكمة عالية وخفية ولقد اختار حكمة متشابهة يوم بدر فألقى رئيس الأنصار خطبة لا ينساها التاريخ الإسلامي قط.

مشورتهم لم يُسْمَعْ لها. والجماعة الأخرى منهم التي رافقت ولو كرهًا جعلت تذيع بعد الهزيمة بعدم الاطمئنان في المسلمين بأنّ هذه العاقبة السيّة التي يواجهها المسلمون بسبب عدم استماع مشورتهم فإنْ سُمِعَ بها فلم يمرّ المسلمون بهذه العاقبة السيّئة. ولم تهدف هذه الأشياء كلها سوى إذاعة عدم الاطمئنان في المسلمين ولكن كانت الحكمة تقتضي، في هذه الفترة، أن يُعرضَ عن المنفقين وأنْ يعطوا من حقوق الاجتماع ما يتمتعون بها على الرغم من سيّئاتهم. فكما أمِرَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالاستغفار لهم أمِرَ باستشارتهم في أمور تقتضي مشورتهم ولو أنْ ضعفهم وسوء نيتهم قد ظهرا للعيان.

وكذا يبدو من "فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ" بعد "وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ" أنّ الأمر بالاستشارة في الشؤون الإدارية والسياسية تنبئ عن تعضيد الحاكم واطمئنان قلبه إليه، فإنّ الاستشارة أمرٌ ضروري ولكنه إذا اطمأنّ قلبه بأمر ما بعد الشورى فليعمل عليه متوكّلًا على الله، وذلك إذا اطمأنّ الحاكم بأمر ما فلا يهمّه أنّ الرأي الذي اختاره هو، هل هو ما أدلى به الغالبية أم قدّمته الأقلّية فليست الأغلبية دليلًا على الصحة والصواب ولا الأقلية برهانًا على الخطأ والضلال سوى أنّ رأي الأغلبية أغلبه يميل إلى الصواب ولذا إذا اعتبر نهائيًا حين فصل الخصومات فهي خطوة أمينة لاسيما في الزمن الذي يعمّ فيه اتباع الهوى ويقلّ فيه عدد مَنْ يعمل الحكم في غضون حدوده.

ظهر مما مضت من الآيتين أمورٌ تالية:

أولها: أنّ طريقة الحكّام والساسة هي الإعراض والرحمة كمثل طريقة العامة، وهي التي تخلق في الناس حسن الظن والثقة الذي يسبّب الوحدة والقوّة والاستقامة في النظام الاجتماعي فالخشونة أو التشديد على أمر ليست من فطرته بل هي من عوارضه. ومثله مثل الصحة التي سببها الرئيس الغذا ولكنه قد يحتاج إلى الدواء لشفاء مرض ما ففي النظام الاجتماعي الليونة أصل ولا يُخْتَارُ طريقُ التشديد إلا قليلًا.

وثانيها: الشورى في النظام الاجتماعي مظهر لحسن الظن والثقة الذي يجب وجودها

بين الراعي ورعيته والحاكم وشعبه، وهي التي تقطع دابر الاستبداد وتزيل خشونة القلب، ومن ثم يظهر التعاون من جهة الراعي ورعيته الذي هو أصل للاستقامة.

وثالثها: أنّ التوكّل ليس حيلة من حيل العطالة والتعطّل والخمول بل هو أساس للعزم والعمل في الحياة الفردية والاجتماعية.

ورابعها: أنّ القوة الأصلية هي التوكل، والوسائل والأسباب تأتي تبعًا لها.

وخامسها: أنّ التوكل مراد أساسي للإيمان فمن يدّعي بأنه يؤمن بالله ولكنه لا يتوكّل على الله فإيمانه كالبنيان يقوم على الماء.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

غلّ يغلّ غلولًا: خان ولم يوف بالعهد وهو نقيض النصح. وشرح الزجاج "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ"، كما نقله ابن منظور،: "ما كان لنبيّ أن يخون أمّته:. فلفظ الغلّ الذي ورد في غير موضع في القرآن يعني الغشّ والعداوة والضغن والحقد والحسد مثلًا قال تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ" [سورة الحشر: 10] ولم أجد دليلًا على تخصيصه بالخيانة المالية.

هذا ردّ على اتهام المنافقين الذي وجّهوه إلى النبي ﷺ بعد هزيمة غزوة أحد ومن ثم أذيع به في المسلمين لينشر سوء الظن به. وكان ذلك الاتهام أنّ الذي وثقنا به وبايعناه وجعلناه وكيلًا بخيرنا وشرّنا يسيء تلك الثقة ويودي بحياتنا ويهلك أموالنا لتتحقق أمانيه الشخصية فقد أشرنا بصراحة أن يدافع الأعداء كائنين في داخل المدينة ولكنه لم يولِ اهتمامًا بمشورتي وبأنفس إخواني، وضحّى بهم جارّين إياهم إلى مكان غير ملائم. هذا ليس بصالح القوم وغلٌّ لهم وعدم الوفاء بهم.

مضت إشارات إلى هذا الاتهام في الآيات السالفة كما سيأتي توضحه في الآيات القادمة، لذا قام القرآن بالردّ على اتهامهم هذا بأنّ اتهامهم هذا كذب أصله فلا ينبغي لنبي أنْ يغلّ قومه ولا يوفي بما عهد فالخطوات التي يتخذها النبي يتخذها لمرضاة الله وحسب أوامره وإنه ليس بجاهل بأنّ كلّ غلّ وعدم وفاء سيُعرَض يومًا ما لله تعالى وسيوفّى صاحبه مثل هؤلاء الغالّين جزاء سيآتهم ولا يستوي مَنْ يطلب رضا الله ومَنْ يستحقّ عذابه فيكون مثواهم مختلفًا طبقًا لأعمالهم والله رقيب على كل عمل يقدّمه العباد.

هذا التأويل للآية يطابق وألفاظ القرآن ونظم الكلام، واختاره بعض المفسّرين كما يبدو من تفسير ابن جرير فلا يعبأ بالرواية التي نقلت في كتب التفسير بأنّ رداء من الغنائم فُقِدَ واتهم النبي بسرقته من قبل المنافقين، وهذه الآية ردّ على تلك التهمة. وذلك أنّ هذه الرواية تتعلّق بغنائم غزوة بدر (لأنّ غزوة أحد لا علاقة لها بالغنائم لأنّ المسلمين قد انهزموا فيها) ولكن القرآن يحلّل هنا ظروف غزوة أحد فالإشارة إلى واقعة مضت في غزوة بدر لا مناسبة لها وزد عليه أنّ المنافقين لم يكونوا حمقاء إلى حدّ أن يتهموا النبي بما لم يثق به أيّ من المسلمين بل ويستهزئ بمن يقول كذلك، ودع عنك المنافقين فلم يذكر في التاريخ أيّ عدوّ للنبيّ ألدّ اجترأ على أن يتهمه بسرقة شيء و بالخيانة في أيّ أمانة حقيرة كانت أم عالية ولقد كان الرسول مشهورًا بلقب "الأمين" في الإسلام وفي الجاهلية على السواء، وكانت سمعته هذه قارعة آذان الأعداء كما كانت تقرع آذان الأصدقاء. فإن اتهمه أحدٌ في أمر من أمور المالية فلم يكن هذا الاتهام إلا بأنه أعطى أحدًا زائدًا مقابل الآخر ولكن الذين اتهموه به قد سقطوا في أيديهم بعدما انكشفت لهم حقيقة الأمر مثلاً في مناسبة فتح مكة وغزوة حنين فلا يسلّم العقل أنّ المنافقين اتهموه بسرقة رداء حقير ولكنهم كانوا يحاولون أنْ يوسوسوا في قلوب المسلمين الضعفاء (أعاذنا الله منه) باتهام النبي بأنه لا يفي بقومه ولا يرعى صالحهم فإنه يضحّي بقومه لتحقيق أحلامه، فلقد وجدوا فرصة لمثل هذه الدعاية بعد هزيمة المسلمين في

غزوة أحد، اغتنموها لاسيما أنهم (المنفقون) لم يكونوا يؤيدون المواجهة كائنين خارج المدينة ولكن الصحابة الشجعانين والنبي نفسه لم يقبلوا رأيهم هذا.

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

قد مضت هذه الآية في سورة البقرة بتصريف قليل فيها فقد أوضحنا كافة أجزائها في تفسير سورة البقرة؛ تقدّم هذه الآية جانبًا إيجابيًّا لهذه الحقيقة طبقًا للنظم، الحقيقة التي ذكر جانب سلبي لها في الآية السابقة فقد مضى في الآية السابقة أنّ النبي تمت براءته من خيانة الملة وعدم رعاية صالحها فذكرت في هذه الآية تلك المنة العظيمة التي أعطاها الله تعالى للعالم كله ولا سيما للعرب في شكل بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذكرت هذه المنّة هنا لوجوه ثلاثة تالية:

أولها: أنّ الله قد بعث في العرب منهم رسولًا لكيلا يتسبّب أيّة عصبية أو سوء ظن مثل الأجنبية اللغوية، الغيرة العرقية والنسبية، أجنبية الاتجاهات والأميال وعدم اطلاعه على ماضيهم وحاضرهم، وذلك ك يثق الناس به كما يثقون بأبيهم وأخيهم، وكي يعرفوا فيسمعوا صداه كصدى ضميرهم. تبيّن هذه الحقيقة بألفاظ "مِّنْ أَنفُسِهِمْ".

وثانيها: هدف وغرض هذا الرسول بأنّ هذا الرسول يتلو عليكم آيات الله ويطهّركم عن كلّ ضلالة من العقل والخلق والعمل ويعلمّكم الكتاب والحكمة، فالرسول الذي بفضله ينوّر كلّ جانب من جوانبك الفردية والاجتماعية، الظاهرية والباطنية هل يكون أحدٌ أصلح منه لكم؟

وثالثها: نظرًا لحاجة المخاطب فالعرب كانوا أمّة أميّة لا تعرف بالدين والشريعة ولا تعرف بالنبوة والرسالة وكانوا يتيهون في وادي الكفر والجاهلية منذ مدّة طويلة فأنقذهم الله منها برسوله العربي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأخرجهم من الضلالة إلى الهدى.

تبدو هذه الحقيقة من قوله تعالى: "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ". "إن" هنا مخفّفة "إنّ" لأنّ اللام داخلة على خبره "لَفِى".

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

"أ" للاستفهام و"و" عاطفة، وحرف الاستفهام بالعربية دائمًا يتصدّر الجملة مثلًا: "أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾" (الواقعة: 81). جاء هذ الاستفهام للتعجّب، وأمّا العاطفة فهي تدلّ على أنّ هذا الحديث أيضًا جزء من اعتراضاتهم التي رُدّ عليها من قبل.

قد مضى آنفًا أنّ بعض الناس قد أساءوا الظنّ بأنّ الرسول وأتباعه يكونون على منجاة من كلّ نوع من البلاء والأذى فإذا خرجوا أعانهم جنود الله من الملائكة وإذا خاضوا حربًا فيجب أن يكونوا فائزين. قد أصاب مثل هذا النوع من الرجال غمّ بعد غمّ بعد هزيمتهم في غزوة أحد فجعلوا يفكّرون أنه إذا كان الإسلام دينًا حقًّا وأنّ محمّدًا رسول الله الحق فكيف هزمهم الأعداء؟ فأرادالمنافقون أنْ ينتهزوا فرصة هذه الحالة النفسانية لضعفاء المسلمين وجعلوا يقدّمون هذه الهزيمة كدليل خلاف الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأزال القرآن سوء الفهم هذا في هذه الآية وما بعدها من الآيات وأوضح للمسلمين سرّ ما يصيبهم من الآفات.

جاء في هذه الآية أنّ المصيبة التي أصابتكم لم تصبكم فقط كي تجعلوها وسيلة لسوء الظن واليأس بل قد أصاب أعداءكم أضعاف الخسائر بأيديكم؛ فقد قتلتم ببدر 70 رجلًا من أعدائكم كما أسرتم 70 رجلًا منهم وحتى في أحد قد غلبتم الأعداء في البداية فقتلتم رجالًا من الأعداء وآذيتموهم ولكنكم أصابتكم الهزيمة في النهاية لأجل خطأكم، والله قادر على الفتح والهزيمة وتظهر قدرته دائمًا طبقًا لحكمته.

وكذا جاء في هذه الآية أنكم أنتم كسبتم هذه الهزيمة فقد وضّحت هذه الحقيقة في

الآية المذكورة أعلاه بكلمات تالية: "وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢".

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۖ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨

والآن يكشف عن سرّ هذا البلاء بأنّما أصابكم أصابكم بأمر من الله وأراد به الله أنْ يميز المسلمين المخلصين عن المنافقين ليرى كلّ أحد بعينيه مَنْ يوثق به من بين أصحابه فكان هذا البلاء مما لابدّ منه للتطهير الجماعي فلو اختلط المنافقون بالمسلمين المخلصين كما هي الحالة لخاف أنْ تلقي العناصر المفسدة بالجماعة كلها في هوّة الضلال والتهلكة.

"وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ" تشير إلى جماعة من المنافقين دعيت إلى الجهاد بهذه المناسبة الذي كان ينتهي إلى المغانم إذا فازوا أو إلى تمام غرض الدفاع إذا رعبوا الأعداء ولكنهم لم ينهضوا للجهاد وستروا نفاقهم وجبانتهم بأنّهم يعرفون أنّ الحرب لا تقع الآن وإن كنّا واقفين على وقوع القتال لاتبعناكم فقال عنهم القرآن أنهم أقرب من الكفر عن الإيمان حين لفظهم هذا القول وقالوا بألسنتهم ما لم يكن في قلوبهم وكان الله عليمًا بما كانوا يخفون في قلوبهم.

ثم أزاح الستار عما خفي في قلوبهم بأنهم قد لزموا البيوت بكلامهم الملمّع ولكن إخوانهم الذين شاركوا في القتال ثم استشهدوا قالوا عنهم بأنهم إن آمنوا لهم لما قُتِلُوا

ههنا، والغرض من ذلك أنّ الشيء الذي حال بينهم وبين الحرب كان خوفهم من الموت ولكنهم ستروا هذا بأنهم لم ينهضوا للقتال لأنه لم يكن يُتَوَقَّعُ.

ثم قال في النهاية إنهم إذا عرفوا بمواقع الحياة والموت فلينجّوا أنفسهم من زيارة الموت لهم.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ *يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

هذا تنبيه للمنافقين بألّا يعدّوا مَنْ قُتِلَ في سبيل الله أمواتًا، إنهم ليسوا بأموات بل الأموات أنتم، إنهم أحياء ويتمتّعون بأنعم الله عنده. إنكم تتحسّرون على جهلكم وعدم بصيرتكم بأنهم قُتِلُوا وتظنّون أنهم إذا سمعوا لقولكم وسلكوا سبيلكم ولزموا بيوتهم كمثلكم لما قُتِلُوا والحال أنهم مسرورون وفرحانون بما أنعم الله عليهم. أنتم تتحسّرون على موتهم ولكنهم يُبَشَّرون بأنهم سيلقاهم مَنْ بقي من أولادهم وحفدتهم ويسلكون سبيلهم ويتمنّون أنْ يلقوهم وأنهم سيجدون تلك المكانة التي لا يخافون فيها من المستقبل ولا يتحسّرون على ماضيهم.

ليُعلَمْ أنْ قد جاء في القرآن بأساليب مختلفة أنهم سيُلحَق بهم في الجنة مَنْ مَاتَ على الإيمان من المؤمنين من أولادهم وحفدتهم ولو أنهم لا يبلغون مكانتهم طبقًا لأعمالهم. بل ينعم الله من فضله الخاص على هؤلاء الشهداء والصدّيقين بأنّ الله يجمع بهم مَنْ آمن بالله من ذريتهم ولا يخفض درجتهم لهذا الهدف بل يرفع الله مكانة أولادهم. وسنتحدّث عن هذا الموضوع في تفسير سورة طور إن شاء الله تعالى.

إذا تدبّرتم هذه الآيات علمتم أنّ القرآن الكريم قد محا تلك الآثار السيّئة، ببلاغة عليا، التي كان المنافقون فعلوها على قلوب المسلمين عامة وذريات الشهداء خاصة.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

"ٱلَّذِينَ" صفة المؤمنين الذين مضى ذكرهم أعلاه فقد جعلت زيادة هذه الصفة الكلامَ موافقًا للحال ووفّرت موقعًا مناسبًا لما ذكر من أصل في الآية المذكورة أعلاه أي يستحقّ هذا الأجر العظيم مَنْ لم يتأثر بما حدث معهم بعد هزيمة غزو أحد بل قاموا فور ما نودوا إلى نداء جديد آخر من الله تعالى. جاء في كتب التاريخ والسيرة أنه لمّا انهزم المسلمون في غزوة أحد قرّرت قريش وجنودها الرجوع إلى مكة ولكنهم لمّا بلغوا الروحاء أحسّ أبو سفيان وأصحابه أنهم قد ارتكبوا خطأ فاحشًا بتقريرهم الرجوع من أحد فقد كان لهم أنْ يبيدوا أهالي المدينة معًا فجعلوا يجمعون أصحابهم من جديد في جانب وجانب آخر أذاع المنافقون بأنّ قريشًا يعدّون من جديد للهجوم على المدينة فلما بلغ النبيّ (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) هذا النبأ نادى في أصحابه باتباع قريش ولم يُسمَح بالانضمام إلى هذه السريّة إلا مَنْ حضر غزوة أحد لأوّل يوم، ولعل هذه الحيطة قد تم اتخاذها لكي يكون هذا الفوج طاهرًا عن دنس المنافقين فخرج الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بجماعة من أصحابه الفدائيين لاتباع أبي سفيان وبلغ حمراء الأسد التي تقع على ثمانية أميال من المدينة. فلمّا رأى أبو سفيان أنّ المسلمين لم تفتر عزيمتهم غيّر إرادته وقفل المسلمون ناجحين وفائزين.

والإحسان في "لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ" قد جاء هنا لأداء حقّ الوفاء بالله ورسوله خير أداء كما جاءت التقوى لمعنى الطهارة عن كلّ أدناس النفاق. هذه مكانة عليا للغاية، ومَنْ يسعى لها تختلف درجاتهم نظرًا لإخلاصهم الباطن وأعمالهم الظاهرة.

وفي "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ الآية" ذكر أولئك المحسنون بأنه لمّا أذاع المنافقون لتخويفهم أنّ

قريشًا يعدّون من جديد للهجوم لم يرعهم هذا الخبر بل زادهم عزمًا وإيمانًا. وهذا أصلٌ قديم أنّ بئرًا يكون قعرها بعيدًا وعميقًا كلما تنبط منها الماء تزدد ماءً وفورانًا، وهكذا إذا كانت النار مضطرمة ومشتعلة إذا أوقدت فيها خشبة طريّة أحرقها وتقوّت بها. هكذا مثال أرباب العزيمة والإيمان. فلا تضعفهم العراقيل بل تزيدهم عزيمةً وحماسًا فكلّ بلاء يثبت لهم مجلّيًا لمواهبهم الخفيّة وكلّ امتحان يفتح لهم بابًا جديدًا للفتح.

"وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ" مظهر لزيادة الإيمان التي ذكرت بألفاظ "فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا" فمدّخر قوة المؤمنين وطاقتهم هذه هي كلمة "حَسۡبُنَا ٱللَّهُ" فإنّ المؤمن يؤمن بأنّ القوة كلها بيد الله الواحد القهّار فلمّا ينهض العبد لأداء واجب قرّره الله بأمر منه فلا يستطيع أيّ سلطان في الأرض أنْ يروعه أيّما تخويف فالذات العليا الذي يفوّض إليه العبد أمره هو الله فمن جعل الله وكيله والمستند إليه لا يقربه أيّ نوع من الخوف والروع.

"إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ الآية" أي أنّ هذا التخويف كله كان من الشيطان الذي أراد بهذا رعبك بيده وبأيدي أصحابه ومواليه فلا تخف الشيطان وأولياءه بل خف مني وحدي إن كنت مؤمنًا حقًّا. والبديهي أنّ الشيطان وأولياءه تشير هنا إلى قريش ومواليه، والخوف الذي نُهِيَ عنه ذلك الخوف الذي أذاعه المنافقون والذي بسببه يجعل المسلمون أوامر الله ونواهيه وراء ظهورهم.

وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾

هذه الآيات التفات إلى النبي وأتباعه فالذين قد تسلّلوا إلى جماعة المسلمين قد رجعوا إلى

الكفر علنًا أو جعلوا يحتالون له بعد هزيمة أحد كما يتضح من الآيات السالفة وقد أشرنا إليه في مدخل السورة فزعم هؤلاء أنهم يقدرون على هزم هذا الدين الجديد بإعانتهم قريشًا فركّزوا جهودهم كلّها على خلاف الإسلام وأتباعه ودعم الكفر وأصحابه فقال الله تعالى إنّ المسلمين لا يجمل بهم أنْ تحزنهم هذه الحالة لأنّ محاولاتهم في حماية الكفر لا تضرّ بالله ودينه شيئًا فالذين يفضّلون الكفر على الإيمان لا يريد الله لهم إلّا أن يكون نصيبهم في الآخرة سوى العذاب الأليم فالله يمهلهم على الرغم من محاولاتهم العادية ويظنّون أنّ إمهالهم هذا فوز لهم والحال أنه ليس بفوزهم بل يريد به الله أن يتمّ حجّته عليهم ويُبلغ سيلهم زباه فإذا غرقت سفينتهم فلا تنجو بعدُ. فليس لهم بعد هذا الإمهال إلا عذاب أليم عذابٌ لا يخزيهم في الدنيا والآخرة ولا يترحّم عليه أحدٌ.

"مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الآية" تشير إلى السرّ الذي كان مختفيًا للمسلمين في بلاء أحد فقال إنّ المسلمين كان يشمل جماعتهم الضعيف منهم والقوي، الخبيث منهم والطيّب والمخلص منهم والمنافق وكان هذا يخالف حكمة الله تعالى بأن الجماعة التي تثبت ذريعة لصلاح وفلاح العالم كله يشملها الرطب واليابس كلهم فأراد أنْ يميز الخبيث منهم عن الطيب لكي يظهر منهم المخلصون ويزكّوا مواهبهم، وكانت له طريقة أن يعطوا علم الغيب لكي يقدروا على التمييز بين المخلص والمنافق ولكنها كانت خلاف سنة الله بأن يهب أحدًا غيره علم الغيب فلا يُطلع على الغيب إلا مَنْ يصطفيه منهم، وكانت له طريقة أخرى أنْ تمتحن جماعتك بشيء يميز الخبيث منك والطيّب والمخلص منهم والمنافق. وهذه هي سنّة الله فقد امتحنكم الله في شكل غزوة أحد والتي ميّزت الخبيث منكم والطيّب.

"فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ الآية" توكيد على الاستفادة التامّة بأفضال هذا الامتحان وأداء مقتضيات الإيمان والتقوى لكيلا يجد مرض النفاق سبيلًا إلى أجساد المؤمنين بعد هذا التطهير. هذا الفعل هنا بمعناه التامّ ووُعِدَ بأجره في النهاية.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

المنافقون بخلاء بأموالهم كما أنهم بخلاء بأنفسهم لذا نبّه على ضعفهم هذا لكي يحذر المسلمون هذا المرض. فقال إنّ الذين يتجنّبون إنفاق أموالهم في سبيل الله والحال أنها مما وهبه الله لا لاستحقاقهم بها بل من فضله لا يظنّوا أنّ ما يفعلون عمل عظيم لمستقبلهم فالأموال التي تُجمَعُ بعيدة عن أداء حقوق الله سيطوّقون بها يوم القيامة وأنّ أطواق الذهب والفضة التي تزين رؤوسهم ستصير أفاعي وثعابين يوم تقوم الساعة.

وأضاف قائلاً أنّ إرث الأرض والسماء كله سيرجع يومًا ما إلى الله جلّ وعلا فكلّ ما وجده المرء وجده من عند الربّ تعالى ثم بعد مدّة يرجع إلى الربّ ذاته فكلّ ما وجدناه هو أمانة من الله علينا وهي ليست سوى امتحان لنا وهو يعرف جيّدًا بما فعلناه في نعمه التي وهبها إيّانا ثم يجزينا عليه ثوابًا أو عذابًا.

"لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ الآية" وعيد على هزء المنافقين الذين كانوا يمارسونه تجاه دعوة القرآن للإنفاق فلمّا يقول القرآن: من يقرض الله قرضًا حسنًا فيستهزئ المنافقون بأنّ الله قد أصبح فقيرًا في هذه الأيّام ونحن أغنى منه لذا يطلب منّا الدَين. كان هؤلاء المنافقون أغلبيتهم من اليهود لذا تشابهوا هم وآباؤهم في الهزء بالله تعالى فما نُقِلَ في سورة المائدة من قول اليهود من "يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ" أشبه بما ذكر هنا كما سنوضّحها. فكانوا يقولون مستهزئين بدعوة الله المذكورة أعلاه بأنّ يد إله المسلمين مغلولة في هذه الأيّام لذا يستقرض العبيد فردّ الله على قولهم بأنّ "سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ". الذين يمهرون بأساليب البلاغة يعرفون جيّدًا أنّ ما تضمره هذه الفقرة الوجيزة من

القهر والغضب لا يمكن بيانهما في صفحات من أقلام العاجزين كأمثالنا. وأبلغ منها ما عُطِفَ عليه من "قَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ" فجريمة قتل الأنبياء ليست إلّا ما ارتكبته اليهود فذكر فعل المنافقين واليهود معًا ثم مجيء ضمير واحد لهما يدلّ على أمرين: أولهما أنّ قول هذا الحديث العظيم يضمّ المنافقين إلى معشر اليهود الذين خرجوا عنه مدّعين أنهم دخلوا في الإسلام، وآخرهما أنّ هزء المنافقين وعمل اليهود جريمتان لن ينساهما الله تعالى بل يقول لهم يومًا ما: ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾.

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

لما بلغ الحديث من ذكر المنافقين إلى بيان اليهود أشار إلى شرّ لهم وردّ عليه كما عزّى الرسول (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والمسلمين بأنهم سيسمعون بأشياء موذية أخرى كمثلهما من قبل أهل الكتاب والمشركين. إنّ هذا لبلاء لصبركم وعزيمتكم.

فالعمل السيّء الذي أشار إليه الربّ تعالى هو أنهم كانوا يسكتون المسلمين بأنهم وُعِدُوا من الله أنهم لا يصدّقون بنبوة أيّ رسول مادام يأتي بآية قربان تأكله النار التي تنزل من السماء. كانت اليهود تقول هذا لمجرد سوء نيّتهم ولقد صدرت مثل هذه الآية من بعض الأنبياء كما ذكر في التوراة مثلًا في الملوك (18/37-38) في ذكر نبيّ إيليا والأخبار (17/1) في ذكر سليمان ولكن لم يذكر هنا أنّ هذه المعجزة

جاءت كشرط للنبوّة لاسيّما النبي الخاتم فما جاء عندهم من نبوءات بريئة من مثل هذه التكلّفات. افترت اليهود هذا العذر بنيّتهم السيّئة كما ذكرنا فردّ عليه الله طبق نفسيّتهم بأن يقول لهم الرسول إني قد سبقني رسل جاءوا بآيات مبيّنة وقدّموا معجزات ذكرتموها فلم قتلتموهم؟ فعملكم هذا يشهد بأنكم كاذبون في قولكم هذا فإنْ يأت الرسول بهذه الآية فلا تؤمنون ثم تختون عذرًا آخر.

ثم عزّى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم إذا كذّبوا بك فلا تحزن فتكذيبهم هذا ليس ناتجًا من عجزك ولا من أنّك لم تأت بآية طلبوها بل السبب الرئيس لهذا أنهم لا يريدن أنْ يؤمنوا بك. لم يحدث هذا معك بل قد مارسه العديد من الأنبياء الذين سبقوك مع أنهم قدّموا المعجزات والصحف والكتاب المنير.

استخدمت هنا ثلاث كلمات: بيّنات، زبر وكتاب منير.

فالبيّنات تعني الواضحة والنيّرة. تأتي هذه الكلمة وصفًا للآيات ففي كل موضع من القرآن جاءت فيه هذه الكلمة بدون موصوفها لها معنيان: دلائل واضحة ومفحمة أو معجزات حسيّة.

والزبر جمعُ الزبور تعني القطع والصح، إنها شائعة لمعنى مزامير داؤد. وهنا أريد بها صحف الأنبياء التي شملتها التوراة.

والمراد بالكتاب المنير هو التوراة فلا توجد فيما نزل قبل القرآن سوى التوراة التي تصدق هذه الكلمة.

"كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ الآية" تحوي التهديد والتسلية معًا فإنها تهديد للمنافقين كما أنّها تسلية للمسلمين المؤمنين، معنى ذلك إنّكم وأعداءكم تموتون ثم ترجعون إلى الرب تعالى ثم توفّون ما قدّمتموه ولا تُظلَمون فلا ينجح في ذلك اليوم إلّا مَنْ زُحْزِحَ عن النار ودخل الجنة، فهذه الدنيا وزخرفها ليست سوى السراب ويخيب مَنْ سعى لها وخسر الآخرة.

"لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ الآية" هذه أمر بالثبات على الصبر والتقوى ضدّ كافة مساعي الأعداء فقال إنّ أهل الكتاب والمشركين سيؤذون أموالكم وأنفسكم وتسمعون عنهم أحاديث تثقل على آذانكم. هذه ليست سوى امتحان صبركم وتقواكم فإنْ ثبتتم على موقفكم على الرغم من هذه كلها ولم تعتدوا حدود الله فهذه درجة العزيمة التي تختصّ بها الأنبياء وصحابتهم الذين قاتلُوا معهم وهي مفتاح للنجاح في هذه الطريقة.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾".

هذا آخر تنبيه لأهل الكتاب في هذه السورة فقال إنهم نشطون في مخالفة الحق عن طريق العهود التي افتروها ولكن ميثاق الله الذي أخذه منهم لبيان كتابه للناس كافة وعدم إخفاء شيء منه قد وضعوه وراء ظهورهم وباعوه بثمن بخس من الدنيا. أشير إلى هذا الميثاق بمختلف الطرق في كلّ من التوراة والإنجيل. نكتفي هنا باقتباسين مخافة التطويل فجاء في التثنية:

"فاجعلوا كلامي هذا في قلوبكم وفي نفوسكم، واجعلوه وشمًا على أيديكم وعصائبَ بين عيونكم وعلّموه بنيكم وتحدّثوا به إذا جلستم في بيوتكم وإذا مشيتم في الطريق وإذا نمتم وإذا قمتم. واكتبوه على قوائم أبواب بيوتكم وعلى أبواب مدنكم". (11/18-21)

فتفكّروا كلماتها فالكتاب الذي أخذ عهد بيانه من اليهود نسوه بل حرّفوه عن مواضعه وبدّلوا ما جاء فيه.

وكذا نجد في الأناجيل هذا الأمر بكلمة بليغة لاسيّما الفقرة التالية التي تجدر بأن تكتب بماء الذهب:

"وما أقوله لكم في الظلام، قولوه في النور. وما تسمعونه همسًا، نادوا به على السطوح". متي: 10/27

وقال إنّ مَنْ ارتكب هذه الجرائم وباع الشريعة بمتاع الدنيا الحقير ولم يستحي بل هو فرحان بما فعل ويريد أنْ يحمد على ما لم يفعله لا تعتبره مصونًا من عذاب الله فسيصيبه العذاب في الدنيا كما أنه سيواجه عذابًا أليمًا في الآخرة.

المفازة تعني النجاة والملجأ وأما "يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ" فتعني أنّ ما أوجب الله على اليهود من إعلان الكتاب وإذاعته وتعليمه وتبيينه وتنفيذه والعمل به لم يؤدّوا جزءًا منه بل سعوا لكتمانه وائتمروا بتحريفه عن مواضعه وشروه بثمن بخس فانٍ وعلى الرغم من هذا يودّون أنْ يحمدوا على ما لم يفعلوا ويعتبروا أمة مصطفاة لله ويجعلوا مستحقّين لكل أنعام وأفضال الله في الدنيا والآخرة. هذه وأمثالها من أحلام اليهود التي عبّر عنها القرآن في سورة البقرة بالأمانيّ.

"وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ الآية" هذه تصديق وتوثيق ما مضى من الوعيد ويعني أنّ ملك السماوات والأرض كلها لله فلا يجري فيه حكم أحد غيره فمن يتعدّى حدود الله فهو تحت قبضته تعالى وهو قادر على كل شيء.

38- تفسير الآيات (190-200)

هذه الآيات تختام السورة وإذا قمت بالمقارنة وجدت أنّ هذا الختام أشبه بختام سورة البقرة لاسيّما الدعاء الذي تشمله ينعكس على الدعاء الذي خُتِمَتْ به سورة البقرة.

وقد نبّه في هذا الختام أولًا على الحقيقة الكونية بأنه كما يتعلّق بآيات قدرة الله وحكمته فيمتلئ بها كل جهة من جهات السماء والأرض، ولكن الأصل الذي يجب للإيمان بدعوة النبي ليس بأن يقدّم قربانًا تأكله النار من السماء بل الأصل اللازم هو أنْ يفتحوا آذانهم لسماعها، ولا يغشّوا أعينهم لرؤية عجائب أعمال قدرته في السماء والأرض ويُعملوا عقولهم للتفكير على حكمة وهدف هذا الكون.

ثم قال: أما الذين قلوبهم واعية ويذكرون الله قيامًا وقعودًا، نائمين ومستيقظين

ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ويبلغون بأنفسهم النتيجة أنّ هذه الدنيا ليست عالم الجهل والعميان الذي بناه خالقه عبثًا وتركه سدًى بل أودع خلقه هدفًا وحكمة، جزاء وثوابًا لذا هم يدعون الله أن يعصمهم عن سوء العاقبة.

ثم قال: من فتح عينيه وأحيى قلبه وأعمل عقله لا يبحث عن الآيات والمعجزات فلمّا تقرع آذانهم الدعوة تصدقها عقولهم وضمائرهم التي وهبها الله لهم ويقدّرونها بواسطتها، فدعوة النبي وشخصه هما المعجزة الكبرى لهم.

ثم أشار إلى مَنْ يصدّق هذه الأوصاف في هذا الزمان وذكر تضحياتهم التي يقدّمونها في سبيل الدعوة إلى الحق ثم بشّرهم بما عند الله لهم من الجزاء العظيم.

ثم أوضح في بعض الآيات أنّ ما يثير معارضوا الحقّ اليوم من هتافات ضدّه ويسعون له لا يدعُكم في سوء الفهم فالإمهال الذي أعطاهم الله ليس إلا من الله وله حكمة، وهذا إمهال موقّت سينتهي قريبًا ولا ينال نجاح العقبى إلا من اتّقى الله وأوفى بعهده.

وفي النهاية أثنى على جماعة أهل الكتاب التي ثبتت على الحق مقابل أعداء الحق ووفّقها الله للإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال إنهم سينالون جزاء استقامتهم وتأييد الحق عند الله سبحانه وتعالى.

في ختام الآيات أوصى المسلمين بكلمات قليلة جدًّا بما يلزم أداء هذه المسؤولية التي حمّلها الله إيّاهم كأمّة خاتمة.

والآن اتلوا الآيات التالية في ضوء هذا المدخل:

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟

بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

40- تحقيق الكلمات وتوضيح الآيات

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾

وبعد ذكر مَنْ أعماه حبّ الدنيا وهم كانوا يبدعون دلائل فارغة كهذه للتكذيب بالنبي مضى تفصيلها من قبلُ يبدأ الآن ببيان أهل البصيرة الذين يذكرون الله في كلّ ثانية وبكل حالة ولا يزالون يفكّرون في خلق السماوات والأرض فقال إنّ هذا الذكر والتفكير يبلّغانهم إلى نتيجة أنّ هذا الكون الواسع لم يخلق عبثًا وإذا لم يخلق عبثًا فيلزم ألّا يفنى كما نشهده بل يجب أنْ يأتي يوم يجزى فيه المحسنون والمسيئون كلاهما وتظهر للعيان الحقيقة الكبرى التي تخفى في خلق هذا العالم.

هنا جاءت إشارة وجيزة إلى الآيات التي تخفى في خلق السماء والأرض واختلاف الليل والنهار وأما تفصيلها فنجده يحتوي القرآن كلّه فقد بيّن القرآن بأبلغ بيان وبأساليب مختلفة آياتِ الكون التي تشهد على أنّ هناك حكمة كبرى وراء خلقه كما تفصح بأن وراءه قوة عظمى وهو رؤوف ورحيم إلى حدّ بعيد كما أنه قادر عليه كلّ القدرة، وليست في محتوياته كثرة كاثرة فقط بل توجد في تلك الكثرة وحدة موحّدة ونظم ناظم وعدل معتدل. وهذا كله يبدي أنّ خلق هذا الكون ليس مجرد حادث اتّفق ولا عمل عابث غير حكيم بل هو مما بناه ربّ قدير وحكيم، عزيز وغفور وسميع وعليم فيعارض طبيعته أنْ يبقى كما هو بدون التمييز بين الخير والشرّ، الصالح والفاسد أو يفنى كما حدث. وإذا حدث كذلك فهذا يعني أنه إمّا أنه ليس له خالق وحاكم وأنه حدث بنفسه ويجري كما هو أم خالقه عابث عمل (نعوذ بالله من ذلك) جعل أحدًا فقيرًا وآخر غنيًّا وجعل أحدًا ظالمًا وآخر مظلومًا ثم يتمتّع بمشاهد هؤلاء، والبديهي أنّ هذين الأمرين يعارضان تلك القدرة والحكمة اللتين تشهد عليهما كلّ جهة من جهات هذا الكون الواسع، فيخالف علم وحكمة هذا الربّ العليم والحكيم أنْ يقوم بعمل يفرغ من الحكمة البالغة.

فالرجل الذي يفكّر في قدرة وحكمة هذا الكون لا يبلغ إلى الربّ فقط بل يبلغ إلى الاعتراف بالآخرة ومَنْ بلغ عقله هذه الحقيقة يقشعرّ قلبه من تخيّل الجزاء ويميل بشدّة إلى أنْ يعوذ من ذلك العذاب والخزي الذي قُدِّرَ لمن يعتبر هذا الكون عمل خالق عابث وقضى حياته كلها بلا طائل.

هذا معنى تلك الآيات ومحتواها بلغة سهلة جدًا وإنْ تفكّر فيها مزيدًا تبد لك أمور هي أيضًا قيّمة جدًّا وهي كما يلي:

أولها: أنّ أولي الألباب عند القرآن مَنْ يتفكّر في نظم هذا الكون فيهتدي إلى ذكر الله والاهتمام بالآخرة، ومَنْ لم يحصل عليهما ليسوا بأولي الألباب ولو قاسوا ما بين

السماء والأرض ووطّأت أقدامهم أرض القمر والمرّيخ فلو يملكون جماجم ولكنّ هذه الجماجم خالية من المخّ وإذا احتوت جماجمهم المخّ فكيف أمكن لهم أن يبظروا إلى كل حبّة وذرّة ولا ينظروا إلى ذلك الجبل الذي يختفي وراءها.

وثانيها: أما فيما يتعلّق بالله فهو لا يحتاج إلى التفكير والتدبّر، إنه حقيقة بديهية لهذا الكون بل هو أبده الدبهيّات فتنادي به كلّ ذرّة من هذا الكون وتشهد بها فطرتنا فإنْ كان الإنسان يحمل عقلاً سليمًا فهو يرى الله كما ترى العين الصحيحة الشمس، فيكفي الحصول على الله أنْ يذكره. وأمّا شأن الآخرة فهي تحتاج إلى التفكّر والتدبّر.

وثالثها: أمّا فيما يتعلّق بذكر الله فهو لازم في كلّ حال ولا نقيّده في القيام والقعود، البرد والحرّ والصبح والمساء فهو لازم لبقاء حياة الإنسان الروحية لزوم التنفّس لبقاء حياته المادّية. ويبدو من هذه الآيات أنّ من صفات أولي الألباب أنهم لا يغفلون عن ذكر الله في وقت من الأوقات.

ورابعها: التفكّر لازم في الدين لزومَ الذكر فيه فإذا جاء الذكر ولم يتبعه التفكير فربّما يبقى الذكر شغلاً من أشغال اللسان فلا يفتح به باب معرفة الله فمن خصائص ذكر أولي الألباب أنه يتبعه التفكّر الذي ترسخ أقدامهم في أرض الحكمة والمعرفة لأنّ هذا التفكير يهدي إلى اليقين بالآخرة.

وخامسها: أنّ أولي الألباب كما يبلغون من فضل التفكّر في هذا الكون أنّ هذا الكون ليس بعمل عابث فيجب مجيء يوم للفصل فالعدل كذلك يتضّح لهم أنّه سيلحق الخزي الحقيقي ذلك اليوم مَنْ يتّكل على الشفاعة الكاذبة لأنهم لا يجدون وكيلًا في ذلك اليوم.[1]

رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

[1] إذا اعترفنا بالشفاعة الباطلة يوم القيامة فتبقى هذه الدنيا لعبة الصبيان كما تثبت إذا لم نوقن بالآخرة، وهذا غير صحيح بديهيًّا.

وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

والآن يأتي ذكر موقف أولي الألباب المذكورين أعلاه من رسول الله ودعوته فقال إنهم لا يتّخذون دلائل فارغة ولا يطلبون الخوارق والمعجزات فتكون دعوة الرسول صدى لقلوبهم فالله الذي يدعو إلى الإيمان به يسمعون شهادتهم من خلال باطنهم فنداء الرسول وشخصه عندهم هما المعجزة لهم فلما يسمعون بدعائه فلا يعارضونه كي يخفت بل يجيبون إليه ويدعون ربّهم أن يعفو عن خطاياهم ويتوفّاهم مع الأبرار الأوفياء.

"وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ" هذه عبارة عن التمنّي لانضمامهم إلى معشر عباد الله الموفين بالوعد. أي عندما نموت نكون مع مَنْ استقام على عهدك وميثاقك إلى آخر أنفاسه، ولقد تحدّثنا عن لفظ "البارّ" في مكان آخر أنّ هذا اللفظ أصله الوفاء بالوعد وأداء الواجب. فإنّ تفكّرتم من هذا الجانب فستجدون أنّه تعريض لطيف لأهل الكتاب الذين أخذ منهم عهد تعزيز الرسول الخاتم ولكنهم خنثوا وبذلوا جهدهم في معارضته. ولنعلم أنّ هذا الكلام يجري عن أهل الكتاب.

"فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ" بيان قبول الدعاء بأسلوب بليغ جدًّا فكأنه قد تقبّل الله دعاءهم فورما نبست ألسنتهم بألفاظ الدعاء، والواقع أنّ الأدعية التي تخرج بعاطفة حقّة وفي موقع مناسب وعلى وقت ملائم يفعل بها الله ما ذكر هنا. ولقد أشرنا إلى هذا الواقع في موقع آخر.

ولنلاحظ هنا النكتة بأنّ تعزيز الحقّ هذا من قبل أولي الألباب جاء في شكل الدعاء

لا في لباس الادّعاء، وهذا دليل على أنهم كانوا يعرفون جيّدًا ما يقتضيه قول "آمَنَّا" منهم وما يأتي في طريقه من العراقيل فلم يعربوا عنها مفتخرين بل أسلموا أنفسهم للرب بكل تضرّع وتواضع فكما وفّقهم لقول "آمَنَّا" كذلك يغفر لهم ما تقدّم وما تأخّر من خطاياهم ويوفّقهم لأداء واجباته ومواجهة المشاكل التي تقع في سبيله.

"لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ" يشجّع المؤمنين كلّهم الذين نهضوا في هذه المرحلة الخطرة للدعوة لتعزيزه غير مكترثين بما يقع في سبيله من الأخطار. وإنّ هذه المرحلة كما يتضّح من ألفاظ "فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ" مرحلة الهجرة والجهاد ومواجهة المصائب في سبيل الله ومرحلة القتل والشهادة. ومَنْ نهض في هذا الوقت الخطر للتضحية بأنفسهم في مجال المحبّة الربّانية كان يشملهم الأحرار والعبيد والرجال والنساء وكلهم كانوا يسابقون في تقديم تضحياتهم وكانوا يعرضون لأنواع الظلم الشديد على أنهم آمنوا بالله وأسلموا له لاسيما الضعفاء منهم أي النساء والعبيد فإنهم كانوا يواجهون ظلمًا شديدًا تقشعرّ من سماعه الجلودُ ولكن هذه معجزة الإسلام أنّ ظلم الكفّار هذا كله لم ينجح في ردّ أحد من المسلمين عن دينه، ولا نبالغ إذا قلنا: كلّما ضعف المسلمون قدّموا نماذج رائعة للاستقلال والرجولة مثلها. فقد اقتضت هذه الحالة أنْ يسلّي الله تعالى فيما يذكره من وعده هؤلاء الضعفاء ويشجّعهم فجاء قوله تعالى: أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم" ثم أضاف إليه لفظ "مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ" أي سواء كان المظلوم رجلًا أو امرأة يشمل كلًّا منهما وعدي هذا فجعلت هذه الفقرة من الجملة الكلام مطابقًا للحال، وهل أحدٌ يقدر على تقدير ما خفي في هذين اللفظين من التسلية للنساء المظلومات اللاتي كنّ يواجهن كلّ نوع من الظلم لمجرد دخولهم في الإسلام.

"بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ" جاء ضمنًا للكلام ولكن ثبت دليلًا على تساوي عمل الرجل والمرأة عند الله تعالى فقال: هذا حقّ بما أنّ الرجل والمرأة من جنس واحد وكلاهما

من ولد آدم وحوّاء وكلاهما جُعِلَ من لحم ودم واحد. فقد ردّ هذان اللفظان كافة وجهات نظر الجاهلية وأخيلة الدين الخاطئة التي تجعل المرأة أدنى من الرجل، وسنفصّل هذه القضية في السورة التالية لذا نكتفي بالإشارة هنا.

"ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ": ثاب يثوب ثوبًا: رجع وتولّى والثواب منه وهو يعني النتيجة والعقبى التي يحصل عليها الرجل على القيام بعمل ما. ولو أنّ اللفظ يحوي الخيرّ من النتائج والشرّ منها معًا ولكنه يعمّ استعماله للعاقبة الحسنة على العمل الحسن، ولقد أعلى الله أعمال العبد درجة إذ عبّر عمّا يعطيه الله من الأنعام الخالدة على أعمال العبد الحقيرة بالثواب وإلا فما العلاقة بين الذرة الحقيرة من العمل والجبل العظيم من الأجر. وقد قلّص ذلك البعد بقوله: "مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ" أي إنه جزاء ما قدّمتموه من العمل ولكنّ الله الذي عنده مدّخر حسن الثواب يعطي عباده ما شاء بغير حساب.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

وفي "لَا يَغُرَّنَّكَ" خطاب موجّه إلى المسلمين عامّة، والخطاب بضيغة الواحد كما أوضحناه في غير موضع من هذا التفسير يدلّ على أنّ المراد به كلّ فردّ من أفراد هذه الجماعة.

"تَقَلُّبُ" يعني التحرّك من الذهاب والإياب، والمحلّ يضيف إليه معنى الكبرياء والخيلاء والتحرّك الحرّ، ففي هذه الآية يدلّ موقع الكلام على استبداد الكفّار بالحكم في شؤون الحكم في تلك الفترة مما قد تمتّعوا به مقابل المسلمين، فقد كان المسلمون آنذاك ضعفاء ومظلومين وكان الكفّار يخترقون كلّ مكان لسلطانهم متكبّرين وكانوا يظلمون ضعفاء المسلمين.

"نُزُل" ضيافةٌ تُقَدَّمُ فور ما يضيف أحد على آخر.

"مَتَٰعٌ قَلِيلٌ" خبر لمبتدأ محذوف وقد أوضحنا في مواضع أخرى أنه حينما يحذف المبتدأ كما هنا فمعنى ذلك أنّ التركيز ليس إلّا على الخبر.

ما جاء في الآيات السابقة من تسلية المسلمين الضعفاء وتشجيعهم تؤيده هذه الآيات فقد خوطب المسلمين لاسيّما الضعفاء منهم والمظلومين وسلّوا بألّا يسيؤوا ما يرونه من تقلّب الكفّار وتحرّكهم المتكبّر فإنّ هذه الزخرفة لا تدوم ثم يلبثون في جهنّم وهي دار سيّئة جدًّا، والنجاح الحقيقي والخالد ليس إلّا لمن ادّثر التقوى وثبت عليها فأوّل ما يُقَدَّمُ لهم هو الجنّة كما أنّ لمثل هؤلاء العباد الموفين بالعهود أكثر من هذه وأعظم.

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

وبما أنّ معاملة أهل الكتاب قد رُدّ عليها بشدة في الآيات المذكورة أعلاه وفي هذه السور عامّة فهذه إشادة بذكر أهل الكتاب الذين استقاموا على كتبهم السابقة وتقبّلوا الإسلام بعده. هذه إشارة لطيفة إلى أنّ الزبد الذي كان يحويه هذا الحليب قد ثار وتميّز فما بقي منه بعد ذلك فهو جفاء فقال عنهم إنهم سيلقون جزاءهم عند ربّهم الذي خُصّ بهم. ثم عزّاهم بألّا يظنّوا أنّ هناك تأخيرًا في حصولهم على هذا الأجر فإذا حصلوا عليه خُيِّلَ إليهم أنهم وجدوه قبل جفاف عروقهم. ف"إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" تعني ما ذكرنا إذا جاءت للتسلية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

هذه آخر آية لهذه السورة جمعت فيها كافة الإرشادات تجب لأدء حقوق الشريعة ولمواجهة الظروف التي أحاطت بالمسلمين اليوم. هذه الإرشادات جاءت ليتم اتّخاذ أربعة أمور ثم الاستقامة عليها وهي كما يلي:

أولها: الصبر، قد فصّلنا عن تحقيق هذا اللفظ في تفسير سورة البقرة فروح هذه الكلمة هي

الاستقامة على الحق مقابل الإصابات التي يواجهها المرء سواء كانت هذه الإصابات من داخله أم خارج نفسه فمن لم يتصّف بهذه العادة لا يقدر على أداء حقّ ما.

وثانيها: المصابرة، وهي إظهار الاستقلال مقابل خصمه والاستباق فيها، والتأكيد عليها بهذه المناسبة جاء بخصوص أنّه قد بدأ نزاع مسلّح بين المسملين وأعدائهم، والنجاح في هذا النزاع كان مقدّرًا للجماعة التي تسبق خصومها في الاستقلال والرجولة فالغلبة والنجاح في ساحة الحرب لا ينحصر في عدد الجنود وأسلحتهم بل في علوّ الأخلاق وجودة المعاملات.

وثالثها: المرابطة، وهي من ربط الخيل وهي تربية الخيول مقابل الأعداء وحماية الثغور. الآن قد قامت الدبّابات والطائرات المقاتلة مقام الخيول فيتغيّر معنى هذه المرابطة نظرًا لتغيّر الأوضاع والظروف فالإرشاد إلى المرابطة بعد المصابرة إرشاد إلى إعداد الأسلحة بعد تربية الأخلاق.

ورابعها: التقوى، فقد فصّلنا القول عنها في بداية تفسير سورة البقرة. إنّ حماية ورعاية كافة حدود الله وقيوده بالإخلاص والخشوع هي التقوى. وهي خلاصة الدين كلّه وهدفه الرئيس. فقال: اتخّذوا أيها المسلمون هذه الأسباب لكي تفلحوا في الدنيا والآخرة كلتيهما.

هذه هي السطور النهائية التي وفّق هذا العاجز لكتابتها في تفسير سورة آل عمران. اللهم اغفر خطاياي وأضغ قلبي لقبول صالح الأقوال. وَءَاخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ.

ISSN: 2321-7928

المبين

- السيّد محمد سليمان أشرف البِهَاري[1]

ترجمة من الأردوية: د. ضياء القمر آدم علي التيمي[2]

﴿7﴾

الباب السابع

كمال النّطق الرائع للغة العربية

الكلمات العربية تعبر عن حقيقتها: إنّ كمال اللغة العربية المذهل هو ما يرتبط بكشف الستار عن حقيقة المعنى. ليست الكلمات العربية أنْ تنسجم مع معانيها فحسب، كلّا، بل إذا نظرت في معانيها، يتجلى منها ما يعبِّر عن حقيقةٍ احتاج الأعاجم للعثور عليها إلى قرون، وبالرغم من ذلك أيضًا، لم يتمكَّنوا من التعبير عنها بكلمة واحدة.

ولنفهم تلك الميزة الممتازة جيدًا، إذا ألقيْنا النَّظرة في الأمثلة الآتية نظرة فاحصة وجدنا الألسن تنطق عفويًّا بأنّ اللُّغة العربيَّة هي- بالفعل- لغة ناطقة وفصيحة، تبيِّن كل كلمة فيها حقيقة معناها، وأنّ ما سواها من اللُّغات الأخرى أصمُّ، يعبر عن معانيها بكلمات ليس لها أيّ مظهر من الواقع، سوى الصوت والنغم.

خذ- على سبيل المثال- كلمة: (التعليم) و(التعلّم) و(الدرس) و(التَّدريس)؛ هذه من الكلمات الشائعة التي تجري على ألسنة الجماهير في محادثاتهم اليومية، ثم إنّ

[1] الرئيس الأسبق لقسم العلوم الإسلامية بجامعة علي كره (الهند)

[2] أستاذ اللغة العربية وآدابها، بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة المحمدية منصوره، ماليغاون، مهاراشترا، الهند.

دلالاتها صارت شاملة وكاسحة لدرجة أنه لم يمر عهد في العالم إلا ومعناها في أعين الناس من البشر كان موجودًا، سواء أ كان في مجال الصناعة أو الحرفة، أو العلم أو الفن، أو الأعضاء والجوارح؛ ولذا فإنّ كل لغة نُطقت أو تُنطق بها تحتوي على كلمة لهذا المعنى، ولكن كلمة اللغة الغربية تكشف عن حقيقتها كشفًا يجبر الناظرين إليها على القول بأنّ اللغة غير العربية أصمّ، بل يتساءل الإنسان: كيف ابتكر الإنسان مثل هذه الكلمات المعبرة عن الحقيقة.

إنّ الحروف الأصلية لكلمة (تعلّم وتعليم) هي اللام والميم واللام، ولكلمة (درس وتدريس) الدال والراء والسين، وقاعدة العرب أنهم يكتبون الحروف الأصلية في صورة الحروف مفردة، ولا توجد صورتها التركيبية في التَّحرير ولا في البيان، ثم تؤتى بتلك الحروف المفردة في صورتها المركبة؛ فيكون (عِلْم) و(عَلَم)، ومعنى (عَلَم): العلامة، والسمة، التي يعرفها كلّ شخص، ثم اتخذت هذه المادة باختلاف الحركات فيها صورة (علم)، ويترجم لها بمعنى (المعرفة)؛ للفهم والإفهام، ولكن عميق النظر فيها يجلو حقيقتها العلمية.

فلسفة كلمة (عِلْم): أطبق الفلاسفة على أنَّ أذهان الإنسان مثل المرآة؛ فكل شيء يأتي أمامها تظهر صورته فيها، غير أنّ المرآة لا يظهر فيها إلا صورة المحسوسات، أما الأذهان فيصوّر في مرآتها المعقولات والمحسوسات.

اختلف الحكماء في العلم، ما هو؟ ذهب بعضهم إلى أنّ العلم ما يحصل في الصورة، وذهب بعضهم إلى أنّ العلم ما يصوّر في الحاصل، ولكن ارتسام الصور في الذهن قضية مسلَّمة لدى الجميع، والآن أريد أنْ أعرف أنّ الشخص الذي وضع هذا اللفظ؛ هل كان على علم بحقيقة (العلم) على هذا القدر؛ فرتّب هذه الحروف الثلاثة، وأشار إلى قضية فلسفية دقيقة مثل هذه؟!

فإذا كان الواقع هكذا فإنّ فهم كمال الواضع يتجاوز العقل البشري.

كيف دلّت مادة العين واللام والميم على معنى العلامة والرَّسم؟ فلا بد لنا أن نلقي نظرة على صفات حروفها:

العين: مجهورة ومتوسطة، ومستفلة، ومنفتحة، ومصمتة

اللام: مجهورة متوسطة، مستفلة، منفتحة، مذلقة، منحرفة

الميم: مجهورة، متوسطة، مستفلة، منفتحة، مصمتة، مذلقة، منحرفة.

جميع الحروف الثَّلاثة متساوية في الصِّفات، ولذلك لا يوجد اختلاف لأجل امتزاج بعضها ببعض، إلا أنّ الصفات تظهر، غير أنّ الإذلاق يحدث فرْقًا في الصمت، وأنّ الانحراف يظهر أثره، ولذلك يفهم من الاستفال والانفتاح معانٍ، تتوافر فيه كيفية الانفعال، ولكن صفات الجهر والانحراف تجلو كيفية الانفعال هذه، وباعتبار هذين الأمرين، يفهم من هذه المادة معنى: العلامة والشَّقّ.

وهناك نقاش عن العلم مثير للاهتمام لدى الحكماء، وهو: هل العلم عبارة عن زوال شيء، أم هو عبارة عن دخول شيء من الخارج، وبلفظة أخرى يمكن أنْ يقال إنّ ما يدرِّسه المدرّس؛ هل يظهر به قوة كامنة لدى الدارس، وتنمو به موهبته الفطرية؟، أو أنه لا أثر له في موهبته الفطرية؟ ليست لي علاقة بمقالهم الفكري هذا، ولا أريد الخوض فيه، دع القاضي مبارك، ومير زاهد، والغلام يحيى يحكمون به. أنا لا أريد إلا أنْ أقول إنّ قضية العلم مسلّمة لدى الفريقين، بحيث إنّ العلم نفسه نتيجة انضباط المتعلّم الذاتي، والعمل الجادّ، والمثابرة، والعاطفة، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلا فائدة من تعليم المعلّم ونصوص الكتّاب، ثم يأتي وقت لا يكون فيه معلّم، ولا كتّاب، ولا متعلّم، بل إنّ صاحب الكمال هو الكتّاب نفسه، وهو المعلّم نفسه، وهو المتعلّم نفسه.

وهناك قاعدة مقرّرة لدى المنطقيين أنّ العلم والمعلوم متّحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار. يقال علمًا باعتبار، ومعلومًا باعتبار آخر، ولا مغايرة بين ذات العلم وذات المعلوم، بل

تكون مغايرة في مراتب الاعتبار، ثم إذا لم يكن بينهما تغاير، فكيف يكون تغاير بين المعلِّم والمتعلّم؟، ولكن ليعلم أنه لا تنكشف حقيقة الشيء على الإنسان في أول وهلة، وإنما تنجلي حقيقته على من هم ذوو كمال. نعم، يفهمها عامة الناس في آخر لحظة، ثم تصبح هذه الفلسفة واضحة للغاية عندما يبلغ أحد من أصحاب الفنون المنزلة الرفيعة لذلك الفن، التي تبدأ فيها فترة التعليم والدراسة فوق تعليم المعلّم وانطباعات الكتب، وهو ما يسمّى بالاجتهاد والاستكشاف.

وفي هذا السياق، أريد أنْ أقول: إنّ جموع المنطقيين متفقون على أنّ الإنسان قادر على اكتساب العلم والمعرفة، فلا مقارنة ولا تناقض بين العلم والجهل، بل عُدَّ التقابل عدمَ الموهبة، أي يسمّى الجاهل مَنْ كان شأنه أن يأتيه العلم، ولكن لم يأته. إنّ كلمة (الجاهل) لا تطلق إلا على الإنسان، ولا تطلق على الحيوانات والنباتات والجمادات؛ لأنّ ذواتهن لم تكن تصلح لأنْ تقبل العلم، غير أنّ الإنسان تبدو موهبته وقابليّته هذه عندما تذهب جهود التعليم والتعلم ومتاعبهما، وتكتمل قوة الحفظ والذهن وتحافظ على الإدراكات العلمية.

فلسفة كلمة (درس): ضعْ هذه المسألة الفلسفية الدقيقة والمعقّدة في الذهن، ثم انظر إلى هيئة هذه الكلمة المركبة التي هي تتألف من: الدال والراء والسين. واشتُقَّ من هذه المادة كلمة (درسة)، الَّتي في آخرها تاء مصدرية زائدة، معناها الرِّياضة، ومعنى (الدَّرس): الإزالة، وهناك مَثَلٌ لدى العرب: درسَ الرُّسومُ؛ أي: انمحت الآثار. ودَرَسَ الحنطَة أو الأرزّ: دَاسَها فأزيل عنها القشرة.

وقد وضع للتعبير عن معنى: التعليم والتعلَّم كلمة: (درس). ألقِ نظرة عميقة، وانظر إلى أنّ كلمة (درس) المركَّبة من ثلاثة حروف، دلّت على أنه وضعت كلمة (درس) للتعبير عن معنى: التعليم والتعلّم؛ لأنه تُزال عن القوى الدماغية الموانع والعقبات، وتمحى آثار الجهل، وينقى الجوهر الأصيل (الموهبة) ويصيقل، ولا يتم

تحقيق هذه الكيفية إلا من خلال العمل الجادّ والتدريب.

كيف تدلّ الحروف على المعنى؟ فقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن تهوى نفسي أن أكتب بطريقة عفوية عن كلمة (درس)، فأقول: إنّ الدّال حرف شديد، يبدأ به كلمة (درس)، والراء حرف تكرير، والسين حرف انفتاح؛ فوقوع حرف التكرير والانفتاح بعد الحرف الشديد فيه إشارة لطيفة إلى طريقة التَّعليم واكتسابه وثمرته.

هل كان الواضع على إلمام بهذه المسألة الدقيقة المنطقية المتعقلة بالعلم عندما وضعها أو قبل أنْ وضعها؟ فلا يكون جوابهم عنه إلا العجز والصمت! فإن وصفت العرب لغة غيرهم بالأصمّ فصدَّقت وأصابت، ولم تغال في ذلك؛ وهذا ليس بإهانة لأيّ لغة؛ بل هو بيان للواقع والحقيقة.

فلسفة كلمة (السبق): إنَّ كل ما يُدرس ويدرَّس يوميًا يسمّى بالعربية (السبق)، الذي يجمع على: أسباق، ومعناه- في اللغة-: التقدم أو التغلب. ومما يلاحظ أنّ تسمية كل ما يُدرَس يوميًا بالسبق يشعر بأنّ العرب كانت على إلمام تام بحقيقة العلم وكنهه ونقاطه، فإذا لم يتقدم الطالب يوميًا ولم تزد موهبة اليوم عن موهبة الأمس، أو لم تتطور قوة قواه الدماغية فهو في الحقيقة ليس بتعليم ولا بسبق؛ بل هو تضييع للوقت والحياة.

إنّ كلمة (سبق) لا تدلّ على معناه فحسب، بل هو يبرز غرض معناه وحقيقته؛ والآن لا داعي للقول إنّ كلمة (المعلّم) و(المتعلّم) و(المدرّس) و(المدرسة) و(الكتّاب) وغيرها من الكلمات ليست فقط مفسرِّة وترجمانًا لمفهومها فحسب، بل هي أيضا مصوِّرة لما تنطوي عليه حقيقة المفهوم والمدلول.

وهل يجب عليَّ- أيضًا- أنْ أعرض أنَّ السين حرف منفتح والباء والقاف حرفان شديدان، فالغرض الحقيقي من كلمة (السبق) إبراز القوى الدماغية بواسطة حرف الانفتاح، وتحمل المشاقّ في الدِّراسة والمطالعة والأخذ والحفظ بواسطة تكرير الحروف الشديدة يتم التعبير عنه بطريقة أدقّ وألطف؛ فالكلمة تدلّ على فلسفة

المعنى، والحروف تصوّره؛ فهذه لغة أم سحر وطلسمات؟!!

الحدُّ المعرفي لأول واضعٍ للغة العربية: عندما جاء الإنسان الأول إلى العالم، وكبر أبناؤه وأحفاده واتخذوا شكل الأسرة؛ في ذلك الوقت، رأى الآخرون التناسب والاعتدال في حركات الجميع وإيماءاتهم وكلامهم؛ ففي بعضهم كانت قابليتهم الفطرية كثيرة وفي بعضهم كانت قليلة، وفي بعضهم كانت مفقودة تمامًا، وبسبب هذا الاختلاف في القدرات، كان من الضروري أنْ تصوغ الجماعة من الناس ألفاظًا للفاهمين وغير الفاهمين في حالتها الأولية.

وقد بحث العلماء في هذا الباب أنّ الذكاوة والغباوة مرتبطة بالدماغ، وأجزاء من الدماغ في فن التشريح والحكمة، وإدراك كل جزء وشعوره مختلف. والعواطف النفسية والقوى البدنية تابعة- في أعمالها وإحساسها- لجزء الدماغ الذي هو يتصل به؛ هذا بحث عميق وليس هذا موضعه، ولكن هذا الشرح صالح لأن يلاحظ أنه لما وزن دماغ العاقل وجد أنه أثقل من دماغ الأحمق.

والأمر الثاني أنّ دماغ رأس الإنسان الذي هو بيضاوي الشكل يوجد في سطحه ارتفاعات وإفرازات، فالشخص الذي لديه ارتفاعات كثيرة على سطح دماغه يكون ذكيًا جدًا، ومَنْ في سطح دماغه ارتفاعات قليلة فيكون غبيًا على قدر قلتها، حتى إنّ الرجل غير الذكي يكون سطح دماغه مستويًا تقريبًا، وتسمّى هذه الارتفاعات في العربية تلافيق، معناها- لغة- التقاء شقّين. ما أحسن التعبير بالتلفيق عن تلك الارتفاعات!

والأمر الثالث أنّ الجزء السفلي من دماغ الرأس الذي فيه مكان المخّ، وما اتصل بالمغز الحرام إلى عظم الصلب وظيفته ربطه بين الأعصاب والأدمغة؛ وهذا هو مصدر الأفعال غير الإرادية.

وفي العربية كلمة تتألف من: الذال والكاف والواو، وهي: ذكوانة، معناها صغار الأشجار، وهيئة تركيبية منها ذكاوة، معناها سرعة الفهم، ومنها صيغة الصفة: ذكيٌّ؛

فإنها وضعت لمن هو سريع الفهم والتعقل، ألا تشعر كلمة (ذكي) بأنه يسمَّى سريع الفهم بالذكي؛ لأنّ في متن دماغه ارتفاعاتٍ صغارًا، كما أنه يكون على سطح الأرض أشجارٌ صغيرةٌ؟.

ويقال للأحمق سفيهًا، وجمعه: سفهاء، ومعنى (السفه): الخفة، ألا تشعر كلمة (السَّفيه) بأنّ الواضع وضع هذه الكلمة لهذا المعنى؛ لأنّ مغزه يكون خفيفًا؟

الجزء من الدماغ الذي هو في أسفل مخّ الرأس يقال (نخاعًا)، ويقال للرجل العاقل الحازم نخاعًا، ألا تدلّ كلمة (نخاع) على أنّ هذا المكان مصدر للبصيرة والعقل؟

إن كانت الأجوبة عن هذه الأسئلة بنعم، وإنها لتكونَّ بـ(نعم)، فهل تم العثور على مثل هذه المسائل الدقيقة لعلم التشريح في وقت كانت أفراد الإنسان فيه مشتملة على أفراد معدودة؟

إنّ أول ما احتاجه الإنسان الأول الذي جاء إلى العالم من أجل بقائه هو الماء، والآن هنا قضية؛ هل الماء مركَّب أم بسيط؟ موضوع شيّق بين جماعات الحكماء، يرى فريق منهم أنّ الماء بسيط، ثم إذا تمَّ تحليله، فلن يتم تقسيمُه إلى أجزاء مختلفةٍ.

ويرى فريق آخر أنّ بعض الأجزاء مخفية في قوائم الحقيقة، التي لا يمكن أن تلاحظ من خلال التحليل. وهؤلاء الحكماء لا يعدّون أيّ عنصر بسيطًا، ولذلك لقّبوا بحكماء بروز الكمون.

إنّ علوم العصر الراهن تشير إلى إنّ الماء ليس إلا نتيجة امتزاج النوعين من الغاز. سلِّمْ هذه الحقيقة إلى الحكماء الماديِّين. انظرْ باللغة العربية إلى الميم والواو والهاء، التي يتكوَّن منها شكل (مَوه) أو (مَاه)، ومصدره (موه)، وماضيه: مَاهَ؛ من باب نصر، معناه المزْج والامتزاج، ولذلك إذا دهن الشيء بماء الذهب والفضة يقال تمويهًا، واشتق من تلك المادة كلمة (ماء)، وبحسب القاعدة الصرفية، أبدلت الواو ألفًا،

والهمزة هاء، ويقال بالعربية ماء. إنّ المزج والامتزاج فيه ظاهر، ليس في حاجة إلى أيِّ بيانٍ، ولكن مسألة العلوم الحالية الحديثة أنّ الماء يتكون من الاختلاط المتبادل بين نوعين من الغازات ألا تُفهم من كلمة (الماء)؟ لا يوجد ذكر لكلمة (الماء) فيما ذهب إليه حكماء بروز الكمون!!

إن صرفنا النَّظر عن الماء في الكرة المائية، فالماء الذي يوجد في هذا العالم ليس بسيطًا عند أحد من الفريقين، بل كل من الفريقين يسلِّمه مركبًا، ويدلّ على هذا التركيب كلمة (الماء).

إنّ أول ما أدرك الإنسان الأول من الموجودات هو السَّماء والأرض. يرى الحكماء أنَّه كان في عالم الفضاء موادّ أثيريةٌ بمجموعات لا متناهية، فيها ذرات صغار كانت تسبح، وكان ولا يزال من المستحيل تحليلها، وهي ما يسمّى- اصطلاحًا- بالسَّالمات أو بأجزاء لا تتجزأ. ثم إنّ هذه السالمات نفسها قد تكونت من ذرات صغار كهربائية، ليس من المستحيل تحليلها فحسب، بل لا يمكن تصوّرها إلى حد ما.

ما حقيقة الذرات الكهربائية؟ يقول بعض منهم- ردًّا على ذلك- إنها موج البحر الأثيري، ويقول البعض إنها عبوس متن البحر، ويعتقد البعض إنها دوامة البحر الأثيري.

على كل حال، فإنّ هذا الدوامة وموجاتها تكون مباركة للحكماء الطبيعيين. وبعد ذلك، بحثهم- وبه يرتبط ما أدّعي- هو أنّ الذرات أو السالمات التي من أسمائها الأجزاء الويمقراطيسية استمر فيها نوع من الحركة فترة طويلة، خلقت هذه الحركة حالة خاصة في ذلك البحر وسالماته السابحات، ثم نشأت من هذه الحالة حركة أخرى، انقسمت بها جميع الذرات إلى قسمين: أحدهما مال إلى الأسفل، وثانيهما مال إلى الأعلى، فتحلل بعض الجزء السفلي فصار ماء، وتحول البعض الآخر إلى أرض. وتضمنت مكونات الأرض تلك الذَّراتِ التي كانت تميل إلى الحركة الطبعية، والبقاء في حالة حركة، والتي كان في بنائها وجود الذرَّات الكهربائية كامنًا،

ثم كانت هناك مادَّتان من السوائل موجودة مع الحرارة، التي ولَدتها الحركة غير معروفة المدة، ولأجل هذه الأسباب، كانت الأرض تهتزّ، وكانت الموادّ السائلة الساخنة تغلى بداخلها وتخرج إلى الخارج.

أمَّا الجزء الذي كان يصعد إلى أعلى كان يحتوي على مكونات أنتجت مادة نورية عن طريق الاحتكاك المتبادل، أصبح النجم الساطع، وأخذت الأجزاء الباقية شكل السماء، ثم- الآن- امتلأت المسافة التي حدثت بين السماء والأرض بالبخارات الكثيفة، التي صارت فيما بعد ماء ثم أمطر، ونتيجةً لذلك، نشأت الانخفاضات والارتفاعات في الأرض، وبدأ نور الشمس يقع بوضوح على الأرض؛ وبسبب وقوع الشمس، فإنّ الأجزاء التي كانت تغلى وتتراكم على الأرض تحجَّرت وتحوَّلت إلى جبال، وبسبب وجود الجبال، نشأت حالة من الهدوء في الأرض وانتهت هزاتها وارتجاجاتها.

ولكن نوعًا واحدًا من الحركة الدائمة مرتبط بالأرض إلى الآن، وهو سبب تلك الأجزاء التي تسمّى بويمقراطيسي.

هذه المناقشات التي فيها سلسلة من كثرة المصطلحات المهيبة للألفاظ والتخيلات المعقدة إذا سمعها عربي بدويّ، يتلفظ بكلمات صغيرة ويضحك؛ كأنه يريد أنْ يقول: ابقوا أنتم غارقين في عقد علومكم، وكلماتنا العربية تغنينا عن تحقيقكم هذا!.

معنى كلمة (الأرض) المصدري التحرك تلقائيًا، ولذلك يقال للشخص الذي يهتز رأسه لأجل شيخوخته ماروضًا، وسمّيت الأرض أرضًا؛ لأنه يوجد فيها نوع من الحركات الدائمة.

ومعنى الراسية إلقاء الموانع، ومنع الشيء المتحرك، ويقال للجبل وصخرته: راسية؛ لأنها عملت بالأرض مثل عمل الراسية بالسفينة.

ومعنى السماء الارتفاع، وما هو موطن للارتفاع يقال سماء، ويقال السماء سماء؛

لأنه جزء علوي للمادة؛ إذ هو عالٍ وموطن للنجوم الكبار.

إنّ الكلمة التي وضعت لبني آدم جامعة وشاملة في حد ذاتها؛ بحيث إنّ شمولها يدلّ على أنّ مَنْ صاغ هذه الكلمة كان في ذهنه حقيقة آدم وذريته.

وهناك كلمة اشتقّت من مادة الألف والنون والسين في العربية، وهي (أنس)، معناها الجموع الكثيرة والأسرة التي تقيم في مكان ما، واشتق منها فعل آخر، وهو: آنس، معناه: أبصر، وسمع، وأحس، ومنه قوله تعالى: "ءَانَسْتُ نَارًا"، أي: رأيتُه، وأنس الصوت: أي سمعه، ويقال للأسد الذي يشعر بوجود صيده من بعيد متأنسًا، ومن تلك المادة نفسها كلمة: أُنس، معناها: الودُّ والمعايشة معايشة متلائمة، ثم اشتق منها كلمة: الإنسان، معناها الأرض غير المزروعة، وجفن العين. واللفظ الذي وضع للآدمي هو: إنس وإنسان. أليس للإنسان في الكون كله أهمية مثل أهمية حدقة العين على سائر أعضاء الجسد؟ أليست هذه المخلوقات تتحاب وتتعايش في وئام؟ أليس لدى الإنسان قدرات على رؤية النتيجة والأمل من بعيد قبل حدوثها؟ إنّ الرؤية البشرية تمتاز بأنها لم يمنعها مسافة آلاف الأميال. إنّ موهبة الإنسان لقبول التعليم والتربية مثل أرض غير مزروعة، يمكنك أنْ تزرع فيها ما شئت؛ فيها تنبت البذرة، وتزدهر، وتثمر، ولكن أين توجد هذه القدرة عند الحيوانات الأخرى. انظر بنظرة علمية إلى أنه لا توجد كلمة يمكن أن تصور حقيقة الإنسان أفضل من كلمة رجل للإنسان، لم توجد كلمة تعبر عن حقيقة الإنسان أكثر مما يعبر عنها كلمة: الإنس والإنسان.

والكلمة الثانية للتَّعبير عن الإنسان أدم، حروف مادتها الألف والدال والميم، ومن تلك المادة كلمة: آدم، معناها السَّيِّد والإمام الذي يعرف به قومه. وضعت هذه الكلمة لهذا المعنى.

والكلمة الثَّانية منها: أُدْم؛ تطلق هذه الكلمة على تلك الأشياء التي يتحسن بها الطعام مذاقًا؛ مثل: الخلّ، والبصل، والكزبرة، والزنجبيل، وغيرها، ثم إنّ هذه الكلمة إذا

صارت فعلًا وأتى من باب: ضرب يضرب فمعناه: خلق جوٍّ من الإصلاح والتوافق بين الناس. وُضع للإنسان كلمة: أدم، فإذا ألقيت نظرة عميقة ستعرف أنّ إصلاح سائر الأكوان مرتبط بهذه الذات، إذ إنها لَذاتٌ لو عزمت الإفساد في الأرض لفسد عمرانها. سيادتهم على هذا الكون وسيطرتهم عليه ليست بحاجة إلى أيّ بيان. لولم يكن إنسان في الأرض لما أمكن الحصول على علم ومعرفة بحقائق الموجودات. وأن يكون هناك انسجام وتوافق في المجتمع، وأن يحاول للحفاظ عليها، وأن يقدّم كل ما يتوافق ويلائم مع المجتمع البشري، كلُّ هذا ما ينفرد به الإنسان في هذه الأرض المغبرة، ولس لمخلوق أيّ دور فيه.

مادة كلمة (نطفة) النون والطاء والفاء، وإحدى شكلها التركيبي: نطف، معناها: النَّجس، وثاني شكلها التركيبي: نِطف، معناها: القرح الذي يصل من الظهر إلى داخل الصدر، أو معناها: الارتفاع على البطن لأجل العقدة، والقدر الباقي من الماء في الجزء السفلي من الدلو يقال نطفة، والمادَّة التوليدية تسمّى بالنطفة أيضًا. تدخل هذه المادة في الرَّحم وتتخذ شكل قوام صحيح، هي رقيقة وسائلة، وتصل إلى المعدة ويظهر أثرها، ثم إنّ الشريعة الإسلامية نصّتْ على نجاستها! فهل كانت الشريعة موجودة أمام واضع اللفظ غير علم التشريح؟ فروعيت مثل هذه الرعاية في وضع الألفاظ؟

وكذلك كلمة: علقة، ومعناها في صورة الاسم معروف، والذي يقال بالفارسية: زلوك، ومعناها المصدريُّ الطَّيّ والالتصاق، وتطلق هاتان الكلمتان في أول منازل خلق الإنسان، لم يستخدم هذا الكلمةَ أوّل جيل فحسب، وإنَّما لا بد أن يكون أول إنسانٍ جاء في العالم هو الذي وضعها!

يذكر المهرة في فن الحكمة أنّ مواد التوليد تشتمل على ديدان صغار، فإذا وصل أحدهما إلى الرحم، وُلد رجل واحد، وإذا وصل الاثنان ولد رجلان، وهذا سرُّ التوأم. فالديدان الصغار للمواد التوليدية التي ترى بالمُجهر تصل مع تلك المواد إلى

الرحم، وتخرج من الرحم أصغر من بيض الطير. يعرض الحكيم هذه المسائل الدقيقة بطريقة حكيمة للغاية، لكن بدويًّا من الجاهلية العربية يقول كلمة مكونة من ثلاثة حروف: "نطفة" أو "علقة" مما يجعل الفيلسوف في حيرةٍ.

الوجه الثَّاني لكمال وضع الألفاظ: انظر إلى الجانب الآخر من نفس الكمال عند العرب، الذي سيعلم منه أنَّه يكاد يكون من المستحيل أن تخرج كلمة مهملة من أفواه العرب، فمثلًا عندما قلّدتْ بعض أصوات الكون بلغته الخاصة، فرغم أنّ التقليد صحيح، إلا أنها أصبحت أيضًا كلمة ذات معنى، فالغراب- مثلًا- إذا نعب تحكي العرب صوته بغَاق غَاق، وتحكي صوت منسم الفرس إذا هرول بطَاق طَاق، وكذلك إذا غليت القدور تحكيه بغِقْ غِقْ، وتحكي صوت البعير إذا شرب الماء بشِيب شِيب؛ هذه كلها أصوات وأصداء توجد محاكاتها في كل لغةٍ تقريبًا، ولكن لا يوجد في محاكاة الأعاجم من حقيقة سوى مجرد المحاكاة، غير أنّ العرب حفظت الكلمات في محاكاتهم عن أنْ تستخدم مهملة. انظر إلى أنّ الغراب طائر أسود، وجميع الكلمات المشتقة من مادة: (غ ي ق) يوجد فيها مفهوم السواد، مثل: تغيَّق بصره، وغيَّق في رأيه؛ أي أحدث في رأيه ظلمة جعلته يتبدد ويهتز، ومن تلك المادة وضع (غاق غاق) لمحاكاة صوت الغراب؛ لينتقل الذهن مع المحاكاة إلى سواد الغراب وإلى كيفية الانتشار.

واشتقت من مادة (ط و ق): طاق طاق، وكثرت أشكالها التَّركيبية من هذه المادة، وروعي- في جميعها- معنى: القوة والطاقة، وركّب من تلك المادة (طاق طاق). يعلو صوت تصادم سمّ الفرس القوي مع الأرض الصُّلبة؛ فأشير بهذا مع المحاكاة إلى قوة الفرس وسرعة سيره.

المركبات الَّتي وضعت من مادة (غ ق ق) تدلّ على الصوت الذي يصدر مما يتسع جزؤه السفلي ويضيق جزؤه الأعلى، وكلمة (غق غق) صورةٌ تركيبيَّة لتلك المادة.

الغرض أنّ أصوات الحيوانات والجمادات إذا نطق بها الإنسان حظيت بمنزلة رفعتها

من كونها باقية على أصوات مهملة إلى الاعتداد بها من الألفاظ الموضوعة. ما أجمل أنها في أصل وضعها مهملة، ولكنَّها تصبح في لسان الإنسان موضوعة. وهذه الحياة والبركة تنفرد بها اللغة العربية.

إنّ ميزة اللغة العربية هذه- وإن لم يذكرها القدماء بصراحة ولم يوجد تطبيق المعاني مثل هذا على الألفاظ في كتبهم- ولكن الإشارة إلى هذا توجد في كثير من الأحيان، وبناء على تلك الإشارات، كتبت هذه الأمثلة بشرح وبسط.

هنا أدوّن حكاية يعرف بها أنّ العرب كانت على إلمام تام بميزات لغتهم العربية، وكانت تبحث عن الحقيقة بالكلمات، فإذا كانت العرب لا تفهم شيئًا في مكان فكان تستفسر من غيره من أهل اللغة، ولم تتوقف خطوتهم إلا أن تظفر بالعثور على تلك الحقيقة.

سجّل أبو بكر الزَّبيدي في (طبقات النَّحويين) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف، فمرّ أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال له أبو عمرو: دعْني فأنا ألطف بسؤاله وأعرف فسأله فقال الأعرابي: اشتقاق الاسم من فعل المسمّى، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعجب، ألا تراها تمشي العِرَضْنَة خيلاء وتكبرًا.

يتبين من هذه الحكاية أنّ العرب كانت تبحث عن الحقيقة من خلال الكلمات، ويعرف منها أيضًا أنه- على الرغم من التعبير عن الحقيقة- لا يمكن للجميع الحصول على معلومات عنها، بل له من الضروري أن يكون لديه رؤية واسعة وعقل واضح. وقد وردت مثل هذه الأسئلة والأجوبة العلمية في العديد من الكتب. وقد كثر الحديث في هذا الموضوع عند أهل العلم أنّ كلمة واحدة من اللغة العربية تحتوي على تلك الحقيقة، في حين أنّ غيرها في حاجة للتعبير عنها إلى سطور.

ISSN: 2321-7928

الدرّ اليتيــم

(للشيخ ماهر القادري)

﴿6﴾

ترجمة من الأردوية: د. عظمت الله[1]

الحسن والجمال

لقد شبّ محمد، يتيم عبد الله، كالآخرين، بموجب النظام التكويني، وكان في موفور الصحة، متناسب الأعضاء البدنية، وسيم الطلعة، بلون أبيض ممزوج بالحمرة، ذا عينين سوداوين وجميلتين تجتذب إليها القلوب، واسع الناصية، متوازن القامة، وكلّ ما يمكن وصفه بمنتهى الحسن والجمال، وبغاية الأناقة والاجتذاب. ويمكن أن نشيد بقامة أيّ شخص وقوامه بأقصى حد، بكلمات تتمثل في أنه رشيق القامة وأنيق القوام، إلا أنّ قامة محمد المتزنة لا يمكن أن تَبلغها هذه التشبيهات والاستعارات:

ترا چو سرو نخوانم كه سرو سرتاپا　　　همه تن است وتو از پایَ تا سر جانی

ترجمة: لا أشبّهك بالسرو لأنّ السرو من الأصل إلى الفرع شجر بينما أنت مثل الروح من أخمص القدمين إلى الرأس.

السوسن، الياسمين، الوردة البيضاء، السنبل والنرجس، الشمس والقمر، الحجر الكريم من اليمن، الدرّ العدني، مسك ختن، والعنبر الخالص، والابتسام الساحر، والبرعم المتفتح، هذه استعارات لوصف حسن الإنسان وجماله وصفاته وأناقته ــــــــ

[1] أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي

إلا أنّ هذه الاستعارات كلها ناقصة لشرح وتفسير جمال محمد ... وأقلّ بقليل من مستوى التشبيه والتشابه:

رخِ مصطفی ہے وہ آئینہ کہ اب ایسا دوسرا آئینہ نہ ہماری بزمِ خیال میں نہ دکانِ آئینہ ساز میں

ترجمة: وجه مصطفى مرآة لا أخت لها لا في مجمع أفكارنا ولا في دكّان صنّاع المرآة.

ومن القمة التي تنتهي إليها هذه الاستعارات والتشبيهات في الشعر والأدب، يبدأ جمال محمّد وحسنه. ويا محمّد أنت نموذج بنفسك لنفسك:

دونوں جہان آئینہ دکھلاکے رہ گئے لانا پڑا تمہیں کو تمہاری مثال میں

ترجمة: عجز العالمان كلاهما عن تقديم مثلك فاضطررنا إلى تقديمك للمشبّه بك.

بعث الله محمّدًا بعد أنْ جعله إنسانًا كاملًا، فكانت ثمة حاجة لكي لا يكون الباطن بمنتهى الحسن فقط بل ليكون الظاهر أيضًا وسيمًا للغاية، كما يجب أن تكون الصورة ممتازة مع حسن السيرة. فمن القلب إلى البصيرة، ومن الروح إلى الجسد، ومن قمة الرأس إلى أخمص القدم. يجب أن يكون جميلًا وجذابًا، طاهرًا ونزيهًا، لأنّ:

ففي المجلس بعضهم بصير وبعضهم ناظر

ويجب أن يكون الإنسان الكامل بمنتهى المعيار في صفات الكمال وذلك من حيث الظاهر والباطن والروح والجسد والسيرة والصورة. وإنّ محمدًا كان خير مثال لذلك.

بعد مضيّ فترة طويلة على أيام الشباب، رأى الصحابي جابر بن سمرة محمدًا في حلة حمراء، وكان البدر أيضًا بمنتهى التألق الكامل في تلك الليلة. فظلّ يقارن بين بدر العرب والبدر الكامل لساعات طويلة، وفي النهاية، اضطرّ ليقرّر في حين نطقت الأنظار كالألسنة، بأنّ هذا القمر الطالع والآفل لا يمكنه أن يساوي جمال محمّد الممتاز، بأيّ درجة

فروغِ مہر بھی دیکھا نمودِ گلشن بھی تمہارے سامنے کس کا چراغ جلتا ہے

ترجمة: رأينا طلوع الشمس كما شهدنا نموّ الأزهار فمن يتصدّى لك (في الحسن والجمال)؟

ظلّ الشاعر الألماني نيتسى والذي وصفه الشاعر إقبال "المجذوب الإفرنجي"، يتجول طوال العمر، بحثًا عن "ما فوق الإنسان". حبذا! لو أخبره أحد أنّ الإنسان الكامل قد خُلق من قبل. ولقد أجاد الخالق المبين بكل لطافته وفطانته ومهارته، صنع هذا النقش البديع، وطفق الإنسان يُولد في هذا الكون منذ القدم، وسيظلون يُولدون، ولكن الإنسان الكامل ليس منهم إلا هو الوحيد فقط. ولقد انتهى بشخصيته، بالغُ الحسن والجمال والرفعة والكمال. والآن لو حصل شخص في هذه الدنيا، على أيّ علو ورقي، فسيتحقق ذلك في ظل الأسوة الحسنة التي تختص بالروح الحق:

محمد عربى كآبروئ هر دوسراست كسے كه خاكِ درش نيست خاكِ برسرِ أو

ترجمة: محمد النبي العربي هو شرف العالمين، فلا يساوي تربَ قدميك ترابُ رؤوس غيرك.

على أفق الجاهلية

في الزمن الذي كان يمرّ فيه، محمد بن عبد الله بمراحل شبابه، كانت الظروف التي تجتاح العالم كله، تتسم بغاية من الخراب والسوء والانحطاط، وكذلك كان الإنسان مريضًا وغير عارف بالله من ناحية السيرة والأخلاق، وإنّ أرض الهند التي كانت تضيء عليها من حين لآخر، مصابيح جميلة من العلم والمعرفة والمراقبة والحكمة، كانت تعبد فيها الأفاعي وآلهة أشجار بانيان وبيبل، وكانت الصين قد أشغلتها فلسفة الأوهام التي قدّمها المفكّر الصيني كونفوشيوس. وكانت الآلهة والعقول العشرة تعتبر شركاء في تصرفات الله في كلّ من مصر ويونان، حيث لم يكن الغرب كله يعيش في أبشع جهالة فحسب بل في عالم سادتْه الأوضاع شبه الحيوانية.

وإنّ بلاد العرب التي بنى فيها نبي الله المحترم إبراهيم مع ابنه السعيد والبارّ إسماعيل، بيتًا مقدسًا، بغية عبادة الله الواحد الأحد، وأعلى فيها كلمة التوحيد بكل دوي من الأصداء، لقد احتلت فيها أصنام الأحجار المنحوتة ذاتيًا محل الله، فوصولًا إلى هذا

المقام، يطمع القلم ليدبج يراعه خلفية حادثة من تاريخ العرب على صفحات القرطاس.

وكان سيّدنا إسماعيل قد تزوج في قبيلة بني جرهم بمكة، حيث تولّى أصهاره ولاية الكعبة، وشغلوا هذا المنصب الرفيع لفترة طويلة من الزمن، ولكن فيما بعد، انقلب الزمان، وتغيّرت الأحوال، وطوى تاريخ الكعبة أوراق الماضي. حيث ارتقى ربيعة من سكان مكة، يعرفه التاريخ باسم عمرو بن لحي، وصار ذا شأن، وكان الرجل صاحب ثروة، لذا ظهر له عشرات وعشرات من الأنصار، وقد ضمّ معه أفراد القبائل الأخرى إضافة إلى أفراد عشيرته، وهكذا أقام جبهات ضد قبيلة بني جرهم.

وبنو جرهم لم يطلعوا على هذه المؤامرة، وفجأة وقع عليهم الهجوم، فانهزموا هزيمة نكراء، وتم إخراج بني جرهم من الكعبة بالقتال، ونهائيًا، سلب عمرو بن لحى هذا الشرف والتميز من أبناء قبيلة جُرهم، والآن أصبح عمرو بن لحي مشرفًا على مهامّ الكعبة، وهكذا حظي بالمكانة الدينية أيضًا.

وكانت لبلاد الشام أكبر مكانة للتجارة لأهالي مكة، فكانت القوافل تتجه للبيع والشراء إلى بلد الشام في أكثر الأيام، وكان عمرو بن لحي منافسًا لبني جرهم، يمارس التجارة، فذات مرة، قصد الشام، فشاهد أنّ كثيرًا من الناس يسجدون للأصنام، حيث أنّ واحدًا يقف بأيدٍ مطوية، وواحد يقبل التمثال الحجري بغاية التقدير والمحبة، فإنّ عمراً أعجبه هذا الأمر الجديد والنادر.

فاستفسر عمرو! ماذا هذا الذي تفعلونه؟

"نعبد آلهتنا"، أجاب عبّاد الأصنام الشاميين.

عبادة! ولهذه الأصنام الحجرية. ماذا تقولون، قال عمرو بلهجة شديدة،

أجابوا! لا تحتقر آلهتنا بوصفها بتمثال حجري،

ماذا تنفعكم هذه العبادة؟ سأل عمرو بن لحي.

هذه القصة طويلة جدًا، تحتاج إلى متسع من الوقت. ولكن، باختصار، إنّ آلهتنا هذه تقف إلى جانبنا في وقت الشدة، عندما اندلعت الحرب الدامية مع الأعداء، فناديناها استغثناها، فتغير ميدان الحرب في طرفة عين، وحالفنا النجاح والفتح، وببركة منها، ينزل المطر، ويزول الجفاف، وإنها تشفى المرضى و....

وقاطعًا كلام عبادة الأصنام للشاميين، تكلم عمرو بغاية من الاضطراب:

فيا أيها الأصدقاء، أسدوا لي بضعة من هذه الأصنام، فإنّ بلدنا يصاب بالجفاف كثيرًا، وتدور الحرب مع الأعداء. وأنا غادرت مكة إذ كان هناك انتشار وباء شديد، لو تفضلتم فسنكون في خير حالة. واستجابة لطلب عمرو بن لحي، أعطاه أهل الشام بضعة أصنام.

ولم يكن أهل مكة ملمّين بعبادة الأصنام بعدُ، بما كانت آذانهم تسمع دويًا من كلمة التوحيد، ولكن عمرو بن لحي قام بنشر الدعاية بعد عودته من الشام. مؤكدًا أنني شاهدت في الشام أنّ كبار الأمراء والرؤساء والعلماء والرهاب يعبدون الأصنام، وبالغ في ذكر قصص تلك الأصنام مبالغة كبيرة. وقال ... إنني رأيت بأمّ عيني بأنّ السماء كانت صافية، والشمس كانت لامعة جدًا، إذ سجد سيّد من الشام أمام صنم، ودعا لنزول المطر، وما مكث أن رفع رأسه من السجود إلا بدأ المطر يهطل بغزارة، (وكان أهل مكة يبتسمون برؤية بعضهم البعض، بأنّ عمرو بن لحى جاء بعلاج لمشاكلنا من الشام). وأنا أتيت لكم بهذه الأصنام بعد أن طلبتها بغاية من التضرع والالتماس، وسيزول عنا التشاؤم والنحس إذا عبدناها، وكلما احتجنا سينزل المطر من السماء، وسيتحقق كلما نتمناه.

ويعتبر الطمع لتزيين الجسد، وراحة الجسم، وإطعام النفس، من أسوء الأمور، ولقد أثّر حديثه في قلوب أهل مكة، وبدأت عبادة الأصنام في مكة، وكانت مكة مركزًا للعرب بأسره، بما كان يتوافد الناس إليها من كل فج عميق بمناسبة الحج، فأغرتهم

عبادة أهل مكة الأصنام، وهكذا انتشرت عبادة الأصنام تدريجيًا في كافة قبائل العرب، حتى وضعت الأصنام في الكعبة نفسها، وتم رسم الصور على جدرانها ـــــــ ومن ضعف طبيعة الإنسان أنّ الطبائع تميل إلى البدعة والندرة بسرعة فائقة، بينما لا يصبح كثير من الإبداعات والأساليب المبدعة مضلّة للغاية ومضرة شديدة للمجتمع الإنساني فحسب إنما بمثابة قاتل أيضًا.

وعندما بدأ ينتشر الشرك فأصبح كل بيت من بيوت مكة، معبدًا للأصنام، حتى بلغ الأمر إلى أنه ليس لقبيلة أو أسرة صنم خاص فحسب بل كان هناك صنمًا مستقلاً لكل شخص. وقد بلغ التوهم والجهل كلّ مبلغ فبدأ بعض الناس يعبدون الأصنام المصنوعة من الدقيق ويأخذونها معهم في السفر لأنّ حمل الأصنام الحجرية معهم صعب خلال السفر، فكانوا يعبدون هذه الأصنام المصنوعة من الدقيق وإذا مسّت الحاجة قاموا بتحليل هذه الآلهة من الدقيق ليشربوها مع الماء.

وفي اليمن، كان هناك تزايد في عبادة الكواكب، فكان أهل قبيلة حمير يعبدون الشمس، بينما القمر إله لقبيلة كنانة، وهكذا كانت العطارد والزهرة والمشتري تُعبد في القبائل والمناطق الأخرى.

وقد راجت أعمال الكهنة والرقية والسحر ترويجًا كبيرًا، وكان الشرك قد أشغل الذهن والقلب تمامًا، وتلاشت الأفكار حول عبادة الله الأحد، وكان العرب كلهم حُرِموا نورَ الهدى تمامًا ما عدا عدة أشخاص من أصحاب الحكمة والعارفين بالله مثل ورقة بن نوفل، وإنّ أكبر حرمان وسوء حظ وانحطاط قد يصاب به الإنسان، هو عدم خشية الله والابتعاد عن خالقه ومعبوده، والنفور منه.

كانت هذه هي الأوضاع الدينية والمعتقدات التي مرّ بها العرب، أما الأخلاق، فإنّ أمة عارفة بالله، خالية عن مفهوم المحاسبة والعقوبة في الآخرة، وجاهلة عنها تمامًا، فإنها تتصف بسوء الأخلاق وتكون غارقة في أوحال المعاصي والذنوب. حيث أنّ

أساس الحياة والعيش يعتمد على فكرة تتمثل في التركيز على الأكل والشرب فقط، والموت حين يحين الأجل، فلا حياة ولا أيّ نوع من المحاسبة بعد ذلك، إنما الحياة حياة الدنيا فقط وما يغطّيها من ألوان وأمور، فلا غرو إن وجدت أعمال الفسق والفجور والأعمال السيئة في مكان الصلاح والإحسان والطهارة.

وكانت العرب يتحلّون بغاية من الشجاعة والبسالة والجرأة والبطولة، ولكن استخدمت قوة هذه الشجاعة في سفك الدماء والقتال فيما بينهم. فمثلًا إذا دخلت إبل أحد في مرعى شخص آخر، فهذا الأمر التافه تسبب في اندلاع القتال، وكذلك إذا تجاوز فرس أحد في سباق الحصان، الحد المحدد بحد ما وقت بدء السباق. فبهذا انسلت السيوف من الغمد.. واحمرّت الأرض بدماء الإنسان، وكانت تتحول سلسلة مثل هذه المعارك إلى الثأر بعد الثأر، فظل العداء باقيًا بين القبائل لقرون من الزمن.

وكان سفك الدماء والقتال بمثابة ألعاب لدى العرب، ولم يكن لحياة الإنسان أيّ أهمية وقيمة في أنظارهم، وكما تقطع أغصان الأشجار وألياف الأعشاب وتداس، هكذا كان أصحاب الشقاء يقطعون حلوق بعضهم البعض ولا يبدون أيّ ندامة وتأسف، وكانوا يعتبرون جسم الإنسان مثل كوخ مصنوع من الطين، عندما شاءوا كسّروه وحطموه.

وكان شرب الخمر متجذرًا في عروقهم، فإنهم كانوا يرقصون ويغنون ويشعرون بالنشوة بشرب الخمر، وقد أصبح الخمر والكأس والمحبوب جزءا من حياتهم. وذات مرة، تقرّرت عقوبة شاعر معروف لهم، بالقتل، فسئل، كيف تريد أن تُقتل، فأعرب عن أمنيته قائلًا: عندما أكون في غاية من النشوة والسكر بشرب الخمر فاقطعوا شراييني بمبضع حاد، لئلا تبقى الحياة في جسدي بخروج الدماء قطرة قطرة. وكان من بينهم أشقياء القلوب الذين كانوا يقتلون أعداءهم ثم كانوا يشربون الخمر في جماجمهم بمتعة وبكل فخر وغرور.

وكانت المقامرة من أحب الأعمال لدى العرب، وكانوا يعتبرون أعمال النهب والقتل والسرقة والخيانة، والحيلة، وعدم إيفاء الوعود، والكذب والخدع، فنًا من الفنون.

فكان يخادع بعضهم البعض، ويحلفون حلفًا كاذبًا، فإذا وعدوا فلم يوفوا بالوعود. وكانوا يسلبون القوافل وينهبون أموال اليتامى بغير حق، بطريقة غير شرعية، وزد على ذلك، رغم تواجد هذه السيئات والآثام، أنهم كانوا يدّعون بأنهم أعزّ وأشرف الناس.

وكانوا أصحاب غيرة إلا أنّ غيرتهم كانت قد تحوّلت إلى قالب الشقاوة والقساوة البالغة، حتى كان زواج البنات عارًا لهم، فكانوا دومًا على حرب مع قانون الفطرة، وكانوا يئدون البنات فور ولادتهن، فسقطت مئات وآلاف من الأرواح ضحايا لمثل هذه الشقاوة والغيرة الجاهلية، حيث كانت الأمهات يسعن لإخفاء بناتهن فور ولادتهن، ولكن هؤلاء الوحوش كانوا يسلبون من قلوبهن الخافقة، البنات شبه الأزهار ويئودونهن، ولا تملك الأمومة إلا النظر بحسرة وألم. إلى ذلك كانت هناك مظاهرة باللهو واللعب والتسلية والحديث الماجن الشعر المُشَكّل، وكأنّ شاعريتهم عبارة عن أدب لطيف وأدب حديث لذلك الزمن، وتفسير للنفسيات الجنسية جالبة للعار، وتخيلات مثيرة للشهوة، وترجمان لأعمال الفحش والعرى، وتذكرة لأحاديث الوحدة والخلوة التي لا يصلح إظهارها رغم كونها حقيقة، ولا يمكن أن تتحمل الشرافة والكرامة مثل هذه الأحاديث، وأما الشعراء الذين كانوا جادين نسبيًا، يتناولون في قصائدهم، التفاخر بالحسب والنسب، وبهذه الطريقة، لم يكن بالإمكان أن تطفئ نار العواطف المتنافسة، وكان رجزهم يشعل النار في قضايا الانحياز العصبي والكراهية العنصرية، فكانت تتفجر شعلة المخاصمة من شعرهم.

وكانت الفواحش والزنا تعمّ سكان العرب، وقد سبق العرب عادًا وثمود فيما يخص إظهار الشهوة والهوى عمليًا، لم تكن المرأة لديهم إلا وسيلة للشهوة، وكانت الفواحش كلها أي من التعارف السري إلى العلاقة غير الشرعية على قدم وساق، حتى كانت زوجات الوالد أيضًا بمثابة وسائل لإكمال الشهوة، حتى أنهم كانوا يتفاخرون بهذه الفواحش بدلًا من الندم والخجل منها، وكانت طبائعهم قد تعودت

على السيئات، وكانت خلوتهم وخلاؤهم عامرةً بالفواحش، ولم تبق لديهم قابلية وقدرة على معرفة قيمة العصمة والعفة، وإنهم في لباس الإنس، حيوانات ووحوش وشياطين أيضًا! أما الشيطان فإنه لم ينكر إلا القيام بسجدة واحدة، وهنا تمضي الحياة كلها في الكفر والإلحاد والعصيان والفجور.

ISSN: 2321-7928

المبادرات الذاتية؛ قيمة دينيّة وضرورة اجتماعيّة

- د. الزين مصطفى عبد المقيت محمد[1]

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة المبادرة الذاتية كمفهوم، ومن ثم الإشارة إلى أهميتها من خلال بيان الرؤية التأصيلية للشريعة الإسلامية لهذا المبدأ، وقد أوضحت الدراسة كذلك أقسام المبادرات من حيث القبول والردّ (محمودة أو مذمومة) وذلك نظرًا للأثر المترتب عليها إيجابًا وسلبًا.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف الشريعة الإسلامية من المبادرة والدعوة إلى الاتصاف بخلقها والإعلاء من شأنها وشأن القائمين بها، وذلك في جميع المجالات، انطلاقًا من سعة وشمول الدين الإسلامي وتنظيمه لجميع النواحي الإنسانية والحياتية، فليست المبادرة في ما يخصّ الحياة الدينية فقط، بل حتى في أمور الدنيا وما يرجع نفعه إلى العباد في دنياهم، فمن مقاصد الشريعة الإسلامية جلبُ المصالح ودرءُ المفاسد من عمارة الأرض والإصلاح فيها وقطعُ دابر الفساد ودفعُه.

وتهدف الدراسة كذلك إلى كشف جملة من الفوائد والآثار المترتبة على قيام المبادرات وإحيائها على مستوى الأسرة والمجتمع، وتعويد الأفراد على طرح المبادرات والإعلاء من شأنها لما لها من فوائد ومنافع خاصة وعامة.

مقدمة: تتناول هذه الدراسة موضوع المبادرة كقيمة دينية واجتماعية، وتبدو أهمية الموضوع في حرص الإسلام على ابتكار وإحياء المبادرات الإيجابية، وذلك بما يخدم

[1] أستاذ العقيدة والأديان جامعة بحري، السودان.

الفرد والمجتمع والأمة، فيهيب الإسلام بالفرد أن يكون عضوًا نشطًا وفاعلًا ونافعًا لأمته، لأنّ المبادرة من شأنها أن تعالج المشكلات وتوجد الحلول وتبحث عن المخارج من أزمات الأمة المتراكمة وخاصة في زمان كثرت فيه الفتن والمحن والابتلاءات.

ومعلوم أنّ كثيرًا من المبادرات الإيجابية في زمان الصحابة قد أصبحت نتيجتها خالدة وماثلة إلى زماننا هذا، ومن تلك المبادرات ما قام به الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كتابة التاريخ الهجري وجمع الناس على صلاة التراويح وجمع المصحف، فتبنّاها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصارت سنة حسنة لمن تبعهم من القرون.

وتتضافر الأدلة الشرعية في الدعوة إلى المبادرات الذاتية التي تتأسّس على الإخلاص والنية الصادقة ما دامت تصبّ في صالح المجتمع والأمة، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثّ على مثل هذه المبادرات النافعة ويؤيدها، يقول عليه الصلاة والسلام في حلف المطيَّبين: "شهدت غلامًا مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحبّ أنّ لي حمر النعم، وأني أنكثه".[1]

أهمية موضوع الدراسة: تتجلى أهمية هذه الدراسة في عدة نقاط أهمّها ما يأتي:

1. تبرز هذه الدراسة مكانة المبادرة في ميزان الشريعة الإسلامية من خلال عرض النصوص الدينية والنماذج والشواهد الدالة عليها.
2. تظهر أهمية موضوع المبادرات الذاتية من خلال ضرورتها والحاجة إليها في مجالات الحياة المختلفة.
3. يمكن أن تسهم هذه الدراسة في نشر الوعي وتحفيز أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم لتطبيق مبدأ المبادرة في مختلف المجالات، خاصة وأنّ المبادرة هي المحرك

[1] مسند أحمد من طريق إسماعيل بن علية، 210/3، ح رقم 1676، والحاكم في المستدرك، 239/2، ح رقم 2870، والبخاري في الأدب المفرد، 199/1، ح رقم 567، وصححه الذهبي في سير أعلام النبلاء، 171/12، وصححه الألباني في الأدب المفرد، 199/1 برقم 567.

الأساسي للتغيير والتطوير والتحسين.

أسباب اختيار الدراسة:

1. حاجة الأمة الإسلامية إلى المبادرات في مختلف مجالات الحياة.
2. ربط الأمة الإسلامية بماضيها الزاخر بالمبادرات الإيجابية التي ظهر أثرها في عصورها الأولى، وفي مسيرة الأمة عبر قرونها المختلفة.
3. المساهمة في نهضة الأمة ببيان دور المبادرة الفاعل في علاج المشكلات التي تحول دون تقدمها ورقيها.

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم المبادرة والعلاقة بينه وبين المفاهيم الأخرى التي تقارب هذا المفهوم.
2. إبراز النماذج الحية في عصر السلف الصالح ومواقفهم الداعمة للمبادرات وتأييدها.
3. توضيح أثر المبادرة الإيجابية على الفرد والمجتمع.
4. بيان أهمية المبادرة الذاتية لدى الصحابة الكرام، ومدى حاجة الأمة الإسلامية لها.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

1. المبادرة الذاتية في ضوء السنة النبوية، دراسة موضوعية، أسامة بن عبد بن سلامة عطا الله، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، 1431هـ، فقد تضمنت هذه الدراسة مفهومَ المبادرة الذاتية وأهميتها وأقسامها وأصناف المبادرين، وأثر المبادرة في ضوء السنة، وفي ذلك تتفق مع دراستي في جوانب وتختلف عنها في جوانب أخرى منها أنّ دراستي عالجت مجالات المبادرات كالمجال العلمي والاجتماعي وغيرها، وهو ما لم تتطرق إليه تلك الدراسة.

2. المبادرة في حياة الداعية، دراسة موضوعية، منى محمد الجليدان، بحث نشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، العدد الرابع، 1442هـ فقد تناولت الدراسة أهمية المبادرة للداعية، والضوابط والأساليب المعينة للداعية على المبادرة، فركّزت الدراسة على المبادرة في ميدان الدعوة، ولم تتناول المبادرة الذاتية في المجالات الأخرى، وقد عالجت هذه الدراسة أهمية المبادرة عمومًا وأقسامها ومجالاتها وضرورتها في الحياة.
3. المسارعة والمسابقة إلى الخيرات في القرآن الكريم، دراسة موضوعية بيانية، محمد علي الزغلول، محمد سعيد حوي، وهو بحث نُشِرَ في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، المجلد الرابع، العدد الثالث، 1429هـ، وقد ركّز البحث على المعاني والألفاظ ذات الصلة بالمسارعة فهو يتفق مع هذه الدراسة من هذا الوجه وكذلك في استقصاء الشواهد القرآنية المتصلة بموضوع المبادرة، إلا أنها لم تتناول المبادرة في ضوء السيرة والسنة وانحصر موضوعها في القرآن فقط، إضافة إلى أنّ البحث لم يتناول أقسام المبادرة ومجالاتها الأمر الذي عالجته هذه الدراسة.

هيكل الدراسة:

يتضمن مقدمة ومستخلصًا ومباحث وخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم المبادرة (Initiative) وأقسامها.

المبحث الثاني: الرؤية التأصيلية الشرعية للمبادرة.

المبحث الثالث: دعوة الشريعة الإسلامية للمبادرة الإيجابية.

المبحث الرابع: أقسام المبادرة.

المبحث الخامس: مجالات المبادرة.

المبحث السادس: ثمرات المبادرات وآثارها على الفرد والمجتمع

الخاتمة وتتضمن: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم المبادرة (Initiative) وأقسامها

أولًا: مفهوم المبادرة والدلالات ذات الصلة بالمفهوم:

المبادرة لغة: تدور الدلالة اللغوية للمبادرة على معنيين: الأول: السرعة إلى الأمر، والثاني: التمام والامتلاء، فمن الأول: المبادرة من بدرت إلى الشيء أبدر بدورًا: أسرعت، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم أسرعوا. ويقال: ابتدر القوم أمرًا وتبادروه أي بادر بعضهم بعضًا إليه أيهم يسبق إليه فيغلب عليه.[1]

ومن الثاني: قيل: سُمي البدر بدرًا لمبادرته الشمس بالطلوع وقيل: لامتلائه.[2]

ومما سبق من خلال عرض المفهوم اللغوي لهاتين الدلالتين يتضح أنّ بينهما صلة ظاهرة من حيث أنّ المسارع إلى الخير من شأنه أن يكون سائرًا إلى الكمال في شأنه، فكلمة "بادر" من خلال المعنيين تعني السبق إلى اقتراح أمر أو تحقيقه.

المبادرة اصطلاحًا: هي انطلاقة المؤمن ومسارعته إلى عمل صالح بحافز ذاتي من نفسه، بعد أن يتوافر في نفسه الميزان الأمين ليحدّد العمل الصالح من سواه، وليطمئن إلى أنه لا يتجاوز حدوده، ولا يعتدي على غيره ولا يدخل في فتنة تغضب الله.[3]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت،ط3، 1414هـ، 48/4.

[2] المفردات، الراغب (الحسين بن محمد)، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، 110/1.

[3] الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام، عدنان علي رضا، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1997م، ص15.

وثمة مفاهيم ودلالات ذات صلة بمفهوم المبادرة، يمكن توضيح صلتها به كما يلي:

المسارعة والعجلة: فالمسارعة هي المبادرة والمُضِيّ إلى الأمر بجدّ وهمة ونشاط ورغبة وإقبال، والتقدم فيه متمكنًا من غير بطء ولا توانٍ ولا تقصير، وقد يكون في الخير وقد يكون في الشر. وهي أيضًا التقدم في ما ينبغي أن يتقدم فيه وهي محمودة ونقيضها مذموم، وهو الإبطاء، أما العجلة فهي التقدم في ما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة، أو هي فعل الشيء قبل وقته اللائق به، أو طلب الشيء وتحريه قبل أوانه،[1] ونقيضها محمود وهو الأناة، وأما قوله تعالى: "وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ"[2] فإنّ ذلك بمعنى أسرعت.[3]

المنافسة والمسابقة: نافس في الشيء منافسة ونفاسًا: إذا رغب فيه على وجه المباراة، وتنافسوا فيه: أي رغبوا،[4] والمسابقة والاستباق هو التسابق الذي يكون بين أكثر من واحد وكلّ منهم يبذل وسعه ليسبق غيره، وسابقه باراه في السير. وأسبق القوم إلى الأمر وتسابقوا: بادروا، ويأتي السبق ليدل على التجاوز والفوات.[5]

ومن ما سبق يتبين أنّ لكل من هذه المصطلحات مدارًا للتعلق يغلب على كلّ منها، فالمسارعة تعني السرعة وابتدار العمل، والمسابقة مدارها على أمرين: الأول: أنّ المسابقة تكون في ابتداء العمل وابتداره، مثاله: أن يعمل الشخص عملًا أو يبتدر بادرة حسنة وهو ما يُعرف في الشريعة بـ(السنة الحسنة)، فيقتدي به الناس في هذا

[1] التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، زين الدين محمد، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ - 1990م، 236/1.

[2] سورة طه: 84

[3] الفروق اللغوية، العسكري (الحسن بن عبد الله)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 204/1.

[4] مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط5، 1999م، 316/1.

[5] لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، 151/10.

العمل ويفعلون كفعله، والثاني: أنها تكون على معنى السبق والفوات والتجاوز، ومثاله: أن ترى شخصًا يتصدق بدينار، فتتصدق بدينارين تسابقه في الثواب، فالأول ابتدار والثاني سبق، فهو مع مبادرته إلى التصدق إلا أنّ المسابق يريد أن يفضله في الأجر والثواب حين جاء بأعظم من عمله، وهكذا سائر الطاعات التي تندب إليها الشريعة وتقيم بين الناس مضمارًا للتسابق إليها.

ومن خلال هذه الإضاءة على مفهومي المسارعة والمسابقة يتضح مفهوم المنافسة وهو أنها تشكل الباعث إلى القيام بالمسابقة، أي أنّ المرء لا يسابق شخصًا إلا على سبيل المنافسة، فالمبادرة والمسارعة هي البداية، والمنافسة هي الدافع، والمسابقة هي السبق سواء ابتداءً أو انتهاءً وهي النتيجة لكل الأعمال.

ثانيًا: أقسام المبادرة يمكن تقسيم المبادرة من حيث الوصف الشرعي لها إلى:

1. مبادرة محمودة (إيجابية): وهي المسارعة إلى الخير فكرًا أو قولًا أو فعلًا، وتكون ناتجة عن انفعال ذاتي يترجم إلى عمل مثمر لصالح الأفراد أو الأمة، تضيف به خيرًا أو تتقي به شرًا. وبهذا المقصد فقد ندبت إليها الشريعة الإسلامية وحثّت عليها من خلال الآيات والأحاديث النبوية، وهي المبادرة إلى الأعمال الصالحة، أي تلك التي تدخل فيها المبادرات إلى الأمور الدنيوية المتعلقة بحياة الناس في دنياهم ويترتب عليها الجزاء العظيم والثواب الجزيل في الآخرة كالمبادرة إلى مساعدة الضعفاء والقيام بحاجاتهم، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج الناس، أو التي تتصل بمعادهم في أخراهم كسائر العبادات التي هي بين العبد وربه مثل المبادرة بالتبكير إلى الصلاة، ففي كليهما تُشرع المسارعة وتُندب.

وهكذا تتعدد ميادين المبادرة وتمتد لتشمل منظمات العمل المختلفة القيادية منها والإدارية، وقد عدّ (هنري فايول) صاحب كتاب (الإدارة العامة والصناعية General and Industrial Management) المبادرة من الأصول والمبادئ العامة

للإدارة، ووفقًا لهذا المبدأ (حرية المبادرة) فعلى المدراء منح الفرصة للمرؤوسين للمبادرة وتقديم مقترحات من شأنها تحسين الأداء أو حلّ مشاكل العمل أو تعزيز روح الفريق أو غير ذلك، لذا يجب على المدراء تشجيع طرح الأفكار الجديدة ومشاركتها مع المعنيين للاستفادة منها، كما يجب النظر إلى هذه المبادرات الفردية على أنها مصدر قوة وتميُّز.[1]

ويتضح فيما يقرّره (فايول) أنّ المبادرة تشجّع على الاهتمام والمشاركة وتخلق الأفكار الإبداعية التي تقدّم قيمة مضافة للمنظمة أو الشركة.

وميادين المبادرة المحمودة إلى جانب ما ذُكر كثيرة وتتعدد بتعدد النواحي الإنسانية جميعها، وكلها تدخل في مضمون الحديث: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".[2]

2. مبادرة مذمومة (سلبية): وهي التي ذمّها الشارع ونهى عن الإقدام عليها، وتدخل فيها العجلة- غير المقيدة- كما سبق توضيح معناها، إذ أنها التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه، وتتعدَّد الأمثلة للمبادرات المذمومة التي نهت عنها الشريعة بحسب طلب الشارع للكف والابتعاد عنها، ويمكن أن نذكر في ما يلي بعضًا من هذه المبادرات المذمومة:

1. المبادرة إلى طلب الإمارة أو الرياسة: وعلة ذلك أنّ حبّ الرياسة هو داء خطير

[1] مقال بعنوان: هنري فايول ونظرية الإدارة، صخري محمد، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2017/1/17م.

[2] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، 704/2، ح رقم 1017.

وقلَّ من ينجو من التفريط في أمرها، وبما أنّ الناس تختلف إمكانياتهم وطاقاتهم، والرياسة تترتب عليها مسؤولية عظيمة وحقوق فإنه لا يصلح لها إلا من توفرت فيه القدرة على القيام بحقها، بل حتى من تكون له القدرة ينبغي أن لا يطلبها تورُّعًا حتى يُطلب لها، فقد جاء في الصحيح عن عبد الرحمن بن سمرة أنه قال: قال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: " يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألة وُكلتَ إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنتَ عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها، فأت الذي هو خير، وكفّر عن يمينك".[1]

فالشاهد في هذا الحديث هو التنفير عن طلب الإمارة لأنّ عواقب التقصير الخطيرة في هذه المسؤولية تدفع المرء إلى عدم التعرض لها خشية الوقوع في الظلم أو عدم القيام بحقها كما يجب.

وقد ورد في الصحيح أيضًا عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: دخلت على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: " إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه".[2]

ولذلك فقد نصح النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبا ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- على الرغم من صلاحه- بعدم الحرص على تولّي المناصب القيادية والحذر منها، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة

[1] أخرجه الشيخان، البخاري في كتاب الأحكام، باب من سأل الإمارة وُكل إليها، ح رقم (7147)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، ح رقم (1652)، وهو في سنن أبي داود من غير الزيادة الأخيرة كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في طلب الإمارة برقم (2929)، وهكذا في سنن النسائي بغير زيادة باب مسألة الإمارة برقم (8692)، ومسند أحمد 223/34، ح رقم (20618).

[2] صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، 64/9، ح رقم 7149.

إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".[1]

قال النووي:[2] "هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ولا سيما لمن كان فيه ضعف، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل فإنه يندم على ما فرط منه إذا جوزي بالخزي، وأما من كان أهلًا وعدل فيها فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار ولكن في الدخول فيها خطر عظيم، ولذلك امتنع الأكابر منها".[3]

2. المبادرة إلى أكل أموال اليتامى: وهذه أمرها خطير، فالنصوص من القرآن والسنة قد بيّنت خطر هذا العمل الذي يؤدي بصاحبه إلى عاقبة غير محمودة وهي النار بتناول ما يؤدي إليها من أكل أموال اليتامى، يقول الله تعالى: "وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦"[4].

وتتفق أقوال المفسرين على أنّ المراد بقوله: "وَبِدَارًا": أي مبادرة قبل بلوغهم، فينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية إسرافًا ومبادرة قبل بلوغهم.[5]

وتتعدد أنواع المبادرات المحظورة شرعًا فتدخل فيها مبادرات عدة كمبادرة المأموم الإمام في الصلاة، والمبادرة بإلقاء السلام على أهل الكتاب، إلى غير ذلك من المبادرات التي تضافرت الأدلة على منعها.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، 3/ 1457، ح رقم 1825.

[2] النووي (631-676هـ)، هو يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي، أبو زكريا محي الدين، علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران بسوريا) وإليها نسبته، تعلم في دمشق وأقام بها زمناً طويلاً، من كتبه (المنهاج في شرح صحيح مسلم) و(تهذيب الأسماء واللغات) و (رياض الصالحين) وغيرها. الأعلام، الزركلي 149/8، طبقات الشافعية للسبكي 395/8.

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 126/13.

[4] سورة النساء: 6.

[5] تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، 2/ 216.

المبحث الثاني

الرؤية التأصيلية الشرعية للمبادرة

إنّ المتأمل في نصوص القرآن والسنة يتبين له أنهما يوليان المبادرة إلى الأعمال المشروعة عناية عظيمة- أيًا كانت سواء من أمور الدنيا أو الآخرة، فالتبكير بالأعمال والإسراع إليها من الأمور المحمودة، ويأتي ذلك من عناية الإسلام بالوقت وأهميته وضرورة استثماره في أداء الأعمال وتنفيذ المهام، وقد دلّت السنة النبوية على فضل التبكير والمسارعة إلى العمل وبيّنت أنّ البركة والنماء والزيادة في العمل إنما هو من ثمرات البكور، فقد ورد من حديث صخر الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "اللهم بارك لأمتي في بكورها".[1]

وأكثر ما ترد المبادرة في الشرع بمعنى المسارعة في الخيرات، ولا يخفى على ذي بصيرة أنّ الخيرات اسم جامع لكل ما يحبّه الله تعالى من الأقوال والأعمال بمختلف أنواعها ومجالاتها، فمنهج الشريعة الإسلامية في بناء الشخصية المسلمة يحثّ على المبادرة والتسابق إلى أعمال الخير جميعها.

وقد تعدّدت الألفاظ الدالة على المبادرة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة من حيث التصريف اللغوي والاختلاف اللفظي، فنجد في القرآن (سارعوا، وسابقوا، واستبقوا الخيرات، والسابقون السابقون)، وقد وردت مادة (سبق) وما يتفرع عنها (37) مرّة في القرآن الكريم، إلى غير ذلك من صيغ ضمنية تحمل في دلالاتها معاني واضحة تشير إلى عظم مقام المبادرة الإيجابية من خلال فحوى الخطاب القرآني الذي يحثّ على المبادرة

[1] سنن ابن ماجه، باب ما يرجى من البركة في البكور 2/ 752، ح رقم 2236، ومسند أحمد 3/ 43 برقم 15595، والترمذي 3/ 517 ، ح رقم 1212 وقال: حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح رقم 2236.

المشروعة، أو من خلال الثناء الجميل على المبادرين بذكر قصصهم ومواقفهم.

وخلق المبادرة هو خلق نبيل ومنهج نبوي أصيل، فمن وقف على سير الأنبياء يجد أنها حافلة بهذا الخلق العظيم، فقد كانوا شخصيات مبادرة وآخذة بذمام المبادرة منذ نشأتها كما جاء وصفهم في القرآن: "إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ".[1] فهذا هو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبادر إلى طلب ربه له بالإسلام فيجيب على وجه السرعة من غير تسويف ولا تردد، يقول الله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾".[2] يقول بعض أهل العلم: إنّ من أعظم خصال إبراهيم المسارعة في الخيرات، وعدم التردد في تنفيذ أمر الله جلّ وعلا، وهذا معلوم من هديه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.[3]

وهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبادر إلى ميقات ربه طلبًا لمرضاته، يقول الله تعالى: "وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾".[4] فالعجلة ليست مذمومة على الإطلاق كما في هذه الآية ونظيراتها، فأيّ مطلب ينبغي أن يسارع إليه المسلم أعظم من رضوان الله جلّ وعلا، بل كلما غلب على ظن المؤمن عملٌ فيه رضوان الله فلا يتردد في السعي إليه عاجلًا أم آجلًا، أما إذا كان الأمر مما يُحمد فيه التأخير فحينئذ تكون العجلة مذمومة وذاك شأن آخر.

وسيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مليئة بالمبادرات والمواقف التي تشهد بأنه كان يبادر في كل حياته ويعلّمنا المبادرة، بل هذا معلوم عنه قبل بعثته إذ تروي كتب السيرة شهادة الناس

[1] سورة الأنبياء: 90.

[2] سورة البقرة: 131.

[3] سلسلة محاسن التأويل، صالح المغامسي، مجموعة دروس على الموقع الالكتروني: http://www.islamweb.net

[4] سورة طه: 83-84.

له بالمبادرة والمسارعة إلى الخيرات، فبعد أن جاء إلى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يرجف فؤاده وقد تملكه الروع عند بدء الوحي، وقال: "لقد أشفقت على نفسي. فأجابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بخصاله المرتبطة بمبادرته إلى الخير والتي تجلب لصاحبها البشرى والأمن: "أبشر، فو الله لا يخزيك اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وتكسب المعدوم وتقري الضعيف، وتعين على نوائب الحق".[1]

والمبادرة هي صفة عباد الله المؤمنين كما وصفهم بذلك القرآن في قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١".[2]

وأكثر ما تتأكد المبادرة في زماننا هذا الذي تشتد فيه الابتلاءات والمحن وتكثر فيه الفتن، وذلك لارتباط المبادرات الإيجابية بالفتن المترصدة للإنسان، فمن خلال تفعيلها يمكننا أن نتقي الفتن والمحن والابتلاءات، فقد حثّنا الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الاستعداد لها بالمبادرة والسبق إلى الأعمال يقول عليه الصلاة والسلام: "بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا".[3]

فالأعمال لو تأخرت لحالت هذه الوقائع والفتن دون القيام بها في ما بعد، ولفقد الإنسان الفرص الثمينة التي ينبغي على العاقل أن لا يفرط فيها، فالفرص تلوح ولا تدوم.

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط2، 1407هـ، 261/1.

[2] سور المؤمنون: 57-61.

[3] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح رقم (118)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المبحث الثالث

دعوة الشريعة الإسلامية للمبادرة الإيجابية

حثّت الشريعة الإسلامية على المبادرة إلى الأعمال المشروعة وأقامت سوق التنافس بين الناس في هذا الميدان الفسيح، ورتّبت على ذلك الجزاء العظيم والعاقبة المحمودة للمبادرين في مختلف المجالات التي تعود بالنفع على الفرد ومجتمعه وأمته، فالإسلام هو دين الخير والبناء والإعمار، يدعو إلى التخلق بسمو الأخلاق والتحلي بقيم الحق والخير والفضيلة، وفي المقابل يحارب الكسل والتسويف والتأخير في إنجاز المهام في الوقت المناسب لها، فنجد الشريعة تحض على قيم التكافل والتعاون وكل ما من شأنه الارتقاء بالمجتمع المسلم، وتؤيد المبادرات التي تفتح الباب في طريق تحقيق ذلك من أي جهة صدرت، فمدار مقاصد الشريعة الإسلامية في جلب المصالح ودرء المفاسد يؤمن على هذا المبدأ ويؤصل له.

ولا غرو أن تحظى المبادرة باهتمام الشريعة الإسلامية وهي ذات معنى عظيم يوحي بالجدية، ويُشعر بالعزيمة، وينبئ عن علوّ همة تصل بصاحبها إلى الإسهام في مجالات الخير كلها.

والمتأمل في نصوص القرآن الكريم يلحظ ذلك الاهتمام والعناية الكبيرة بهذا الخلق الرفيع وتربية الأمة عليه، وإعدادها على نحو تحقق به مرضاة ربها وأهدافها وأعمالها المنوطة بها، فالجنة وهي أسمى الغايات جاءت الدعوة إلى طلبها على وجه السرعة والمبادرة إليها بالمسارعة في تحقيق موجباتها، يقول الله تعالى: "وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣"[1].

وعلى ضوء تفسير هذه الآية نجد أن كلمة (وَسَارِعُوٓاْ) مطلقة لم تتعلق بفعل أو موجب معين لنيل المغفرة، بمعنى أنها غير مقيَدة بأفعال مخصوصة ومحدّدة تحقق المغفرة، وذلك لاستغراق

[1] سورة آل عمران: 133.

جميع الأعمال الصالحة باختلاف أنواعها، ولذلك تتعدّد أقوال المفسرين في مقصود هذه الكلمة، حتى أحصى ابن الجوزي[1] في تفسيره (زاد المسير) نحواً من عشرة أقوال في مقصود هذه الكلمة، فيقول: "ومعنى الآية: بادروا إلى ما يوجب المغفرة، وفي المراد بموجب المغفرة ههنا عشرة أقوال"،[2] ثم يروي عن جمع من السلف أنها المبادرة إلى الإخلاص، وعن بعضهم أنها: أداء الفرائض، وعن البعض أنها: الإسلام، وعن غيرهم أنها تكبيرة الإحرام، ثم الطاعة، فالتوبة، فالهجرة، فالجهاد، ثم الصلوات الخمس.[3] فهي إذن مسارعة تشمل جميع الأعمال الصالحة لأنّ هذه الأعمال هي أسباب ينال بها العبد مغفرة الله ورضوانه.

ومن سياق هذه الآية فإنّ الأمر فيها ابتداءً يدلّ على الفور لا التراخي، الأمر الذي يؤكد على ابتدار الأمر وتجنب التسويف والتكاسل ويبعث على الهمة والسرعة في التنفيذ والإقدام بحزم وعزم.

ونجد أنّ القرآن الكريم يحثّ على المبادرة ويبين الفرق بين المبادرين وغيرهم ممن يأتي بعدهم في هذا المقام، يقول الله تعالى: "لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾".[4]

أما السنة فإنها تعجّ بالنصوص التي تعلي من شأن المبادرات، وتحذّر من التسويف والتأخير في الإقدام على عمل الخير، فقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام أمته إلى

---

[1] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج (508-597هـ)، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، له نحو ثلاثمئة مصنّف منها: (تلقيح فهوم أهل الأثر)، (الناسخ والمنسوخ)، (تلبيس إبليس)، الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 316/3.

[2] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، 325/1.

[3] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، 325/1.

[4] سورة الحديد: 10.

المبادرة في أحاديث عدة، منها قوله عليه الصلاة والسلام: "بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا غنىً مطغيًا، أو فقرًا منسيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشرّ غائب يُنتَظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ".[1]

فالفائدة العامة من هذا الحديث أن نعلم أنّ من الحزم أن يبادر الإنسان إلى الأعمال الصالحة لأمور سبعة تضمنها هذا الحديث، فيبادرها بالأعمال قبل فوات الأوان.

وفي المقابل فقد حذّرت السنة من التسويف والتأخير لأنه مدعاة للكسل وفوات الفرص، فالوقت قيمته عظيمة، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال: "تقدّموا فأتمّوا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله".[2]

وقد كان سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون المبادرة مبدأً يسيرون عليه، فقد كان أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبّاقًا إلى مرضاة الله تعالى في العديد من الأعمال التي يعملها ويبتغي بها وجه الله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

[1] سنن الترمذي، محمد بن عيسى، ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، ح رقم (2306)، 128/4، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م. وفي إسناده محرز بن هارون وهو ضعيف، قال العقيلي في الضعفاء 4/ 230: قال البخاري: منكر الحديث. وكذا قال عنه النسائي، وقال عنه ابن حبان: يروي عن الأعرج ما ليس من حديثه، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، 6/ 487، وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني برقم (1666)، وللحديث شاهد، قال عنه الألباني (4/ 163): كذا قال -أي الترمذي حين قال حسن- ولعله يعني الحسن لغيره للطريق التي أشار إليها العقيلي وهو ما أخرجه الحاكم (321/4) من طريق عبد الله عن معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيًا .." الحديث، مثله دون قوله: " بادروا بالأعمال سبعًا"، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[2] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، 325/1، ح رقم 438، وهو في مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري 77/18، ح رقم 11511، وسنن أبي داود 181/1، ح رقم 680، وسنن النسائي 425/1، ح رقم 872، وسنن ابن ماجه 313/1، ح رقم 978.

رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبوبكر: أنا، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: "ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة".[1]

فهذه مبادرات اجتمعت في رجل واحد في يوم واحد، ولذلك فلا غرو أن تكون أمة الإسلام قد بلغت من المجد والعظمة شأوًا عظيمًا ما دام القائمين على أمرها قد اتصفوا بهذه الصفات الجليلة، وقد كان المعلم والملهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسألهم عن وقتهم فيما أمضوه، فأسئلته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بصفته مشرعًا فيها تعليم لهم وللأمة من بعدهم للتحرك الإيجابي الدائم فكرًا وقولًا وعملًا، فقد أرسى الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مبدأً عظيمًا تمثَّل في عدد من المبادرات التي أفضت به إلى الجنة، وفي هذا المسلك الذي قام به الصديق حض للأفراد والطامحين من هذه الأمة رعاة كانوا أو رعية على ابتدار الأعمال الإيجابية التي من شأنها أن تنهض بالفرد المسلم ومجتمعه وأمته.

المبحث الرابع

مجالات المبادرة

تتعدّد المجالات التي تشكل فيها المبادرة عنصرًا مهمًا يقود إلى الارتقاء والتميز في أيّ عمل من الأعمال تعددًا يستحيل معه الحصر، ولكن حسبنا الإشارة إلى بعض هذه المجالات على النحو التالي:

1. المجال النفسي الذاتي والإيماني: ويُعتبر أولى وأهم باعث للمبادرات، إذ يشكل هذا المجال نقطة الانطلاق لأي تغيير حقيقي في حياة الإنسان، لأنّ أول تغيير في حياة الإنسان يبدأ من نفسه فيغيرها، كما أنّ المجال الإيماني معين قوي إلى إصلاح

[1] صحيح مسلم، كتاب، باب، 713/2، ح رقم (1028).

النفس وإعمارها بالطاعات والقربات وتهذيبها لتنطلق إلى مجالات أخرى.

2. المبادرة في حقل الدعوة إلى الله: وذلك أن الداعية ينبغي أن يمتثل في مسيرته الدعوية صفة المبادرة والإمساك بزمامها لكي يحقق الهدف وهو نجاح الدعوة وقبولها، ومن أمثلة المبادرات في المجال الدعوي العناية بالمساجد والمراكز الدعوية.[1]

3. المجال العلمي: ويعنى بذلك أن يهتم المبادر بكل ما يخص العلم، لا سيما العلم الشرعي، وأعظم ما يهتم به المبادر هو القرآن الكريم، فقد بادر الصحابة بجمع القرآن في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم كتبت في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مصحف واحد،[2] وتشمل المبادرات الخاصة بالمجال العلمي كافة المبادرات التي تتعلق بالعلوم النظرية والتطبيقية، سواء في مجال التعليم والتدريس أو البحوث العلمية إلى غير ذلك.

4. المجال المجتمعي: حيث تنتظم فيه المبادرة إلى أعمال الخير جميعها، كمساعدة الضعفاء، وزيارة المرضى، وكفالة الأيتام، إضافة إلى سعة هذا المجال باستيعابه للأفكار والرؤى التي يقدّمها المبادر في المشاريع التي بإمكانها إحداث فارق وتغيير في حياة الناس، فجميع المشاركات المجتمعية مضمنة في هذا المجال، وخاصة التي تعنى بتأهيل الشباب وتساعدهم في بناء قدراتهم وإنجاز الأعمال المختلفة التي تعود بالفائدة عليهم وعلى مجتمعهم، فالشباب هم سواعد المجتمع والأمة.

5. المجالات الحياتية الإنسانية المختلفة: حيث تنتظم المبادرات الجوانب والنواحي الإنسانية التعليمية، والصحية، والاقتصادية، والسياسية التي تتصل بحياة الناس وتلامس قضاياهم، فتعمل المبادرات على التحسين والتطوير المنشود في هذه النواحي المختلفة.

[1] المبادرة في حياة الداعية، منى محمد الجليدان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين، ص1795، العدد الرابع، جمادى الأولى 1442هـ، 2021م، أسوان، مصر.

[2] المرجع السابق، ص 1794.

المبحث الخامس

ثمرات المبادرات وآثارها على الفرد والمجتمع

لا شك أنّ كل إنجاز عظيم هو نتيجة وثمرة لمبادرة لشخص أو أشخاص محدودين ثم تعظم إذا ما تم تبنيها والاهتمام بها ورعايتها، فهي في بدايتها فكرة وفرصة تنتظر التنفيذ، وتحتاج المبادرة إلى شخص يتمتع ببعض الصفات للقيام بها كالثقة بالنفس وبُعد النظر والرؤية والتصميم، وتكسب المبادرات الشخص العديد من الفوائد فتجعله أكثر التزامًا ومسؤولية، بالإضافة إلى مساعدته في الكشف عن القدرات والمهارات الخفية التي لم يكن يعلمها في نفسه فتظهر في مثل هذه المواقف، بالإضافة إلى تعليمه فن إدارة الوقت وتنظيمه، وإكسابه طريقة التفكير الإيجابي وترتيب الأولويات في حياته الشخصية والاجتماعية.

وبالنظر إلى اختلاف طبيعة المبادرات نظراً لاختلاف مجالاتها سواء كانت في ما يتعلق بالدعوة إلى الله، أو المبادرة إلى الصلح بين متخاصمين، أو المبادرة لإطعام مسكين أو زيارة مريض، أو إغاثة ملهوف وإنقاذ مكروب؛ فهي بناء على ذلك كله وغيره تحقق فوائد عديدة يمكن استقراؤها من خلال ما تحققه على المستويين الفردي والاجتماعي في الدنيا والآخرة، وأهمها ما يلي:[1]

1. الفوز بالجنات والرفعة في الدرجات.
2. فيها تحقيق مرضاة الرب عزّ وجلّ ومغضبة للشيطان.
3. الأمن من الفتن ومن مغبة العوارض التي تحول دون تحقيق الهدف الأسمى، كالمرض والفقر والغنى المطغي والهرم.

[1] انظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المؤلفين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، (د.ت)، 3399/8.

4. إيجاد نوع من التنافس الحميد الذي يرقى بالمجتمع.
5. المبادر والمسارع في الأعمال الصالحة يحصد ثمارها ويحظى بالفضائل العظيمة، ففي الدنيا ينال صاحبها الذكر الحسن وعلو المكانة، ويحصل على ما يرجوه من الجزاء المادي والمعنوي.
6. المبادرات تعزّز روح التعاون بين الناس، وإحياء روح الجماعة والتكافل الاجتماعي.
7. شيوع ثقافة المبادرة له أثره الكبير في تحقيق الرفاه الاجتماعي والنهضة الاقتصادية.
8. تحفز المبادرات الفرد على العمل والانتاج، إضافة إلى فتح المجال للتنافس الحميد الذي يؤدي إلى زيادة مستويات الجودة.

خاتمة: وختامًا فقد حرصنا على عرض وتحليل أهم المعلومات المتعلقة بموضوع المبادرة الذاتية من خلال استقراء أهم ما جاء في موضوعها في المصادر والمراجع الأساسية، وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج أوجزها في ما يأتي:

1. المبادرة هي نهج الأنبياء ودأب الصالحين وهي قيمة دينية وأخلاقية أصيلة.
2. أظهرت الدراسة اهتمام الصدر الأول من سلف الأمة بالمبادرة والتنافس والتسابق من أجل الظفر بها والفوز بثمارها، وذلك في جميع مجالات الخير.
3. تأكيد القرآن الكريم والسنة النبوية على مكانة المبادرة والثناء على المبادرين إلى أعمال الخير، مما يعني تخليد ذكر المبادر في الدارين.
4. اتضح من خلال الدراسة أن المبادرة وسيلة للنهضة والرقي فأثرها ينعكس إيجابًا على الحياة الاجتماعية في جميع المجالات.
5. من المبادرات ما هو مذموم شرعًا ومستهجن عرفًا.

6. تنتظم المبادرات كافة المجالات الدينية والدنيوية.
7. تتعدّد أوصاف المبادرات فمنها الصغيرة والكبيرة، كما تتنوع فوائدها وآثارها الناجمة عنها.

التوصيات:

1. أوصي الباحثين والدارسين والمهتمين بالعلم بضرورة البحث والاستقصاء لموضوع المبادرة وأثرها في النهوض بالمجتمع، على أن تكون الدراسة تطبيقية وعصرية تبحث في المشكلات وتضع الحلول المناسبة لها.
2. وأوصي أولي الأمر- كلٌّ في ما يليه- بالعمل على تنمية حس المبادرة في جميع الأعمال والمهام التي تنعكس إيجابًا على مجتمعهم، سواء كانت مبادرات علمية (كإنشاء وتأسيس دور لنشر العلم والمعرفة، أو المساهمة التطوعية في توفير مصادر المعرفة من مراجع وكتب علمية وغيرها).
3. كذلك أوصي أرباب الأسر بضرورة غرس قيمة المبادرة في الناشئة داخل الأسرة، كأن يقوم الوالدان بطرح رؤى وأفكار لمشاريع تعود بالنفع على الأسرة والمجتمع، وتعويد الناشئة على ابتكار الأفكار وخلق المبادرات الإيجابية، الأمر الذي من شأنه إخراج جيل له القدرة على العطاء.
4. أيضًا أوصي القائمين على الأمر في الهيئات والمنظمات والمؤسسات بضرورة إحياء المبادرات الذاتية وتشجيع المبادرين ماديًا ومعنويًا.
5. وأوصي كذلك الجهات المنوط بها الإشراف على البحث العلمي بتطوير المبادرات الفردية بعد دراستها، ومن ثم تنفيذها وتطبيقها على أرض الواقع.

ISSN: 2321-7928

الجامعة الملّية الإسلامية

(حلقات متسلسلة لترجمة كتاب "قصة الجامعة" لعبد الغفار مدهولي)

﴿15﴾

- عبد الغفار المدهولي[1]

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري[2]

السنة العشرون

أغسطس 1939م ـ حتى يوليو 1940م

تم افتتاح مدرسة المعلّمين في منطقة قرول باغ العامَ الماضي، واكتمل بناء جزء من عمارتها في منطقة جامعة نغر، وكان من الضروري إنشاء هذه المدرسة في أجواء تسودها مناظر القرية، يصبح العمل بطيئًا إذا انتظرنا الانتهاء من إنشاء العمارات والمباني لأجل دفع الأعمال قدمًا أو إدارتها بشكل جيد، ويتضاءل الحماس، لذا تقرّر نقل هذه المدرسة إلى منطقة جامعة نغر بأيّ حال من الأحوال. وتم اتخاذ القرار حول إسكان الأساتذة والطلّاب في السكن الذي بني بجانب مستودع الجامعة.

وبهدف الانسجام والتعايش بين مدرسة المعلّمين والمدرسة الابتدائية، وليسهل عقد دورس التدريبات، تم تعيين مدير مدرسة المعلّمين السيّد سعيد الأنصاري مشرفًا للمدرسة خلفًا للسيّد أكبر علي. وأطلقت ثلاث مبادرات جديدة في هذه المدرسة:

(1) مركز النشاط للكشافة (2) حديقة الحيوانات (3) صحيفة الأطفال

---

[1] كان مدرّسًا في مدرسة الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

[2] مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

وأسندت مهامّ إدارة حديقة الحيوانات إلى السيّد عتيق أحمد الذي كان، بجانب رغبته في هذا المجال، يقوم بمهامّه بكل جدية.

وكانت حديقة الحيوانات في المراحل الأوليّة من الإنشاء. حيث تم تقسيم كوخ إلى ثلاثة أجزاء ليتم تحديد أماكن خاصة للببغاء والعصافير والأرنب. وأعد مكان خاص لطيور الحمام. وقد تم إعداد حوض خاصّ لسباحة البط، مع أنّ المجموعة المعنية كانت تعتني بأمورها إلا أنّ السيّد بشير أحمد الفرّاش لم يكن غافلًا عن عمله كذلك.

ولقد أسندت مهامّ إدارة مركز نشاط الكشافة إلى السيّد محمد عمر والذي كان مشهورًا بدماثة طبعه وانسجامه. وكان معلّمًا مثل السيّد راجا نذير أستاذًا متطوّعًا ومستعدًّا لمساعدته.

المبادرة الثالثة أي صحيفة الأطفال، وكانت مسؤوليتي. حيث كانت صحيفة جدارية ونصف شهرية. وحسب العادة، تم إعداد برنامجها لطوال السنة. ومن أهم ميزات هذا البرنامج أنّ هذه الصحفية الجدارية كانت تنشر في حلة جديدة كلّ شهر حسب زمن الأعياد وتغييرات الطقس وتطلعات المدرسة، وكانت تنشر فيها صور واقتباسات تتعلق بمقالات الأطفال، وكانت أعمال الكتّابة تستند إلى صاحب المقال، وكانت توزع أعمال الصحيفة كلها لمدى شهر كامل، بين الفصول، وكان المعلّم يكمل هذه الأعمال كجزء من المقرّر الدراسي.

وفيما يلي تفاصيل صدور هذه الصحيفة منذ بداية العام الدراسي حتى نهايته:

كان شهر أغسطس خاليًا بسبب الأعمال الابتدائية.

صدر عددان حول (1) الأمطار و(2) العناية بالصحة، في شهر سبتمبر.

وفي شهر أكتوبر، صدر عددان حول (3) نزهة وسياحة و(4) عدد التأسيس.

في شهر نوفمبر، (5) عيد (6) عيد الأنوار (ديوالي)

وفي شهري ديسمبر ويناير، صدرت أعداد حول (7) الشتاء و(عيد الأضحى) مع محرم.

وفي شهر فبراير، صدر عددان حول (9) الربيع و(10) المسرحية.

وفي شهر مارس، صدر عددان حول (11) ميلاد النبي صلّى الله عليه وسلّم و(12) عيد الألوان (هولي)

وفي شهر أبريل، صدر عددان حول (13) الأسبوع الوطني و(14) موسم الصيف.

وفي شهر مايو، صدر العدد الـ15 السنوي، شمل أفضل المقالات والصور التي ظهرت طوال السنة، وكانت المكتبة تحت إشرافي هذا العام أيضًا، وبُذلتْ المجهودات في العمل على البرامج التالية:

1. تشويق الطلّاب لمطالعة الكتب من خلال نشر الإعلانات واللافتات.
2. نشر الإعلانات الجذابة بمناسبة ورود المجلات والكتب الجديدة إلى المكتبة.
3. إنشاء حساب خاص لكل طالب وأستاذ ليتم الاطلاع من خلاله، على عدد الكتب التي قرؤوها.
4. تشجيع الطلاب على الكتب المنتخبة وعلى كتابة الملاحظات عليها، وتكريمهم بالجوائز.
5. نشر قائمة المؤلفات تحت صور الشعراء والمؤلفين.

قام الطلاب بعرض مسرحيات حول فكرة "الأمانة" و"الطالب المحبّ للأمة".

وحاكى الطالب سيف الله هذا العرض في اللغة الدارجة في شرق البلاد، مما زاد الحضور بهجة ومتعة.

وعلى شرف قدوم نوّاب ولاية رامبور، قدّم الطلاب كلمة الشكر والتقدير إلى حضرته، ثم أقيمت المأدبة وقت العصر، وكان برفقته، رئيس وزراء الولاية السيّد بشير حسين زيدي، ومن بين الضيوف الآخرين كلّ من الدكتور شوكت الله الأنصاري، والسيّد

سير رضا علي، والسيّد خواجه حسن نظامي أيضًا، وقد أشاد كل من النواب والضيوف الآخرين بتقديم الطلاب كلمة الشكر والتقدير إشادة بالغة، كما أقام الطلاب المتطوّعون حرس شرف تكريمًا للنواب، حيث عرض الآخرون مهاراتهم البهلوانية.

وهذا العام، كان من أهم مهامّ المركز مبادرة إطلاق تجربة لمحو مواطن الضعف لدى الطلاب غير المتفوقين، وتم تكليف معلّم المدرسة السيّد محمد أكرم خان بتنفيذ هذه المهمة، حيث كان خان يدرس طلّاب الصف الثالث. وكان لدي 18 طالبًا من طلّاب هذا الصف، انعدام المهارة في القراءة والرياضيات بشكل عام، فإنه أثار الشوق والرغبة وزرع ثقة النفس لدى هؤلاء الطلاب، وذلك من خلال تنظيم بعض الألعاب ومنحهم بعض الواجبات، وفي الوقت الذي انطلقت فيه المبادرات المتمثلة في قراءة القصص وإسماعها للآخرين، ثم إلقاء القصص على الآخرين شفويًا. وذلك تزامنا مع قيام الطلاب بكتابة القصص التي تمت قراءتها، في لغاتهم، وكتابة التقارير عن ألعابهم، كما كتب الطلاب عن الأشياء المصنوعة من الورق المقوى، ثم الاحتفاظ بها، وكذلك تقديم الجهود المتمثلة في أعمال السياحة والتنزه في حفلات المدرسة، مما خلق شوقًا ورغبة لدى الطلاب للقراءة والكتابة، ولقد ساهمت المكتبات التي أنشأها هؤلاء الطلاب أنفسهم في هذا الصف لطلاب صفهم، في هذا الاتجاه من خلال جمع الكتب الصغيرة.

وكانت المدرسة الثانوية تحرز تقدمًا في مسيرة أعمالها سنة تلو السنة، وعلى غرار المعارض التي كانت تقيمها المدرسة الابتدائية حول أعمالها في حفلات المشاريع وتقدم إنجازاتها، وجّهت المدرسة الثانوية أيضًا انتباهها إلى مثل هذه الأعمال. وكانت كافة المدارس شاركت في الحفلات التي عُقدتْ بمناسبة يوم التأسيس. وأيضًا نظمت المدرسة الثانوية برامج مختلفة من خلال إقامة برنامج الأسبوع الوطني، على مدى يومين. وفيما يلي خلاصة البرامج:

عُقدت المناقشات في الساعة الثامنة صباحًا، في اليوم الـ12 من شهر أبريل، وذلك

بعنوان "مجلس النقاش يعتبر اللغة الأردية لغة مشتركة للهند"، وقدّم طالب من المدرسة الثانوية مقترحًا بهذا الصدد، بينما قدّم الطالب الثاني كلمته التي عارض فيها هذا المقترح، بعد ذلك، ألقى كلّ من مندوبي المدرسة العربية الثانوية، فتحبوري، والمدرسة الثانوية الإسلامية، ومدرسة رامجس الثانوية كلماتهم، وفي الختام، تم استطلاع الرأي بشأن هذا المقترح، والذي تم الاتفاق عليه بأغلبية كبيرة.

وبعد الظهيرة، تم تقديم المعروضات التي قام بها الطلّاب، خلال الساعة الثانية حتى السادسة مساء. ثم عُرِضَتْ مسرحية في الساعة الثامنة ليلًا، وكان عنوان هذه المسرحية "دنيا الشاعر". وعقدت الحلقة الأدبية من الساعة الثامنة حتى الساعة الـ11 صباحًا في اليوم التالي أي 13 أبريل. فيما قدّم طلّاب المدرسة الثانية مقالاتهم التي كتبوها بأنفسهم. ثم أُعِيْدَ تقديمُ معروضات الطلبة من الساعة الرابعة حتى السادسة من الظهيرة. ثم قُدِّمَتْ مسرحية إنجليزية (Handy and Past) في الساعة التاسعة ليلًا.

كما أشرف السيّد وقار عظيم على تقديم مسرحية باللغة الأردية، وكان للسيد وقار شغف خاص باللغة الأردية، ويحظى بملكة جيّدة في النقد الأدبي أيضًا، ولعب طالب اسمه أحمد دين، من الثانوية، دورَ مشرف على هذا المشروع بشكل جيّد بحيث استطاع توعية المدرسة كلها. واتضح من رؤية نجاح هذا المشروع بأنه إذا أراد الطلّاب تحقيق إنجاز كبير فيمكن تحقيق ذلك بمجرد العمل بإرشادات الأساتذة، وطبعًا كانت المهارات تنمو لدى الطلاب يومًا بعد يوم، لإنجاز أعمالهم من تلقاء أنفسهم.

وغادرت مجموعة من طلّاب المدرسة الثانوية في رحلة تعليمية، لتزور وتشاهد آثارًا تاريخية في مدن أجمير، وجايبور، وتشتورغراه، وأودهايبور. وقد أقاموا لدى طالب الجامعة السابق السيّد كنور عبد الباقي خان في مدينة جايبور، كضيوف.

وبهدف منح الفرصة لطلّاب مدرسة المعلّمين ليلتقوا بطلّاب آخرين من الجامعة، وليفهموهم، اهتمّت جمعية الطلاب لمدرسة المعلّمين بتنظيم برنامجين ضمن برامجها

السنوية، أحدهما تنظيم مسابقة بعض الألعاب بين طلّاب الجامعة، وثانيهما إقامة مساجلة شعرية للطلاب، وقد انطلق هذان البرنامجان هذه السنة.

وقُدِّمَ اقتراح على طلاب مدرسة المعلّمين، ليقيموا من خلاله، مخيمات لمدة أسبوعين في إحدى القرى المجاورة، وذلك بغية خلق توعية لدى أطفال تلك القرية، حول النظافة والمحافظة على الصحة إضافة إلى تعلّم أنشطة الكشافة، لذا تم إطلاق برامج عديد بما فيها تنظيف القرية، ومخيم النار لترويحهم، وربما برنامج عرض المسرحية. فإنهم ينظمون مخيمات لمدة أسبوعين سنويًا وذلك في مكان يسوده الهدوء والسلام، قد تعزز هذا البرنامج في هذه السنة بفضل كلّ من السيّد إخلاص أحمد الصديقي، والسيّد سكسينه، من جمعية الكشافة الهندية، إذ تعلّم الطلّاب كثيرًا من خلال تنظيم الألعاب. وقام السيّد الصديقي بتشكيل جماعة منظمة في بضعة أيام، وأثارت رؤيتها حيرة وإعجابًا.

وقد أنجزت جميعة الاتحاد مهمّتين، أولاهما تنظيم مسابقة خطابية بين طلّاب الكليات (مسابقة خطابية بين طلّاب كافة الكليات الكائنة في دلهي) شارك فيها طلّاب من الكلية العربية، وكلية القانون، وجامعة دلهي والجامعة الملية الإسلامية. وأخراهما إطلاق العدد الممتاز عن أدب عبد الحق لمجلة جوهر، احتفالًا بالميلاد السبعين للسيّد مولوي عبد الحق.

وعندما دق الخادم كفيل خان أو نظام خان، جرس نهاية الدوام في 17 نوفمبر 1939م، خرج الطلّاب والأساتذة من صفوفهم وتفاجؤوا بالدكتور ذاكر الذي وصل إلى جامعة نغر بعد شفائه من المرض، فنظمت جمعية الاتحاد جلسة في اليوم التالي لتقديم كلمة الشكر والتقدير، وقال الدكتور ردًا على تلك:

"يسرّني أنّ أعمال الجامعة لم تشهد أية عرقلة خلال غيابي الذي استمر بضعة أشهر. وأنا على ثقة بأنّ الجامعة قد تعززت واستقرّت إلى درجة أننا إذا عارضناها بأنفسنا جميعًا وحاولنا محو أثرها فلن نقدر على ذلك. الآن قد ترسخت الجامعة كشجرة ثابتة تعمّقت

جذورها في العمق، ولا تستطيع أنْ تهزّها أي ضربة من العواصف مهما بلغت قوتها.

وردًّا على سؤال في جمعية طلّاب مدرسة المعلمين، قال الدكتور:

"إذا قدّم وزراء حزب المؤتمر استقالاتهم في هذا الوقت فلا داعي لنا إلى أيّ ذعر أو خوف، وهذا يفيدنا كثيرًا. عندما وصلت حكومتنا إلى السلطة فاكتظت هذه الحركة التعليمية بكل نوع من الأفراد منهم الجيد والرديء. ولكن عند عدم وجود حكومتنا، لن ينضم إليها إلا الأشخاص الذين لديهم الرغبة في العملية التعليمية، ويثقون بميزاتها، بعد أن حقّقنا النجاح في هذه الحركة وستنتهي فترة التجريب، إذا وصلت حكومتنا إلى السلطة فيعم هذا المشروع آنذاك من جديد.

وردًّا على سؤال ثانٍ، قال:

"إذا تركتم الاعتماد على الحكومة وذهبتم إلى القرى لتعلموا الأطفال هناك، فأنا على يقين تامّ بأنّ السكّان الفقراء في القرى لن يتركوكم جوعى بأي حال من الأحوال..

وبموجب بند التسجيل الصادر في 4 يونيو عام 1939م، تم تسجيل دستور الجامعة، وتم وضع شعار الجامعة في صفحات الدستور وفي أوراق المراسلات الخاصة بالجامعة. وعندما التمس المسؤولون عن مجلة "بيام تعليم"، شرح ذلك أمام الأطفال، فقدّم الدكتور ما يلي كتابةً:

"تعرفون ما معنى هذا الشعار؟ انظروا أنّ فيه نجمًا على أعلاه، كتب فيه الله أكبر، عندما يضلّ المسافر الغريب طريقه في الليلة الظلماء خلال السفر في الصحراء

والغابات وليس هناك أحد يدلّه على الطريق فإنه يسترشد برؤية النجوم إلى الطريق، فهذا هو النجم "نجم الله أكبر" الذي سيرشد أصحاب الجامعة، ترتفع أنظارهم إلى هذا النجم، والذي سيدلّهم على الطريق، في الليلة الظلماء لهذا الكون، هذا الأمر الذي يفيد بأنّ الله هو أكبر، فمن خضع أمامه، عثر على الحياة الطيبة، فإذا استسلم أمامه فكيف يمكن أن يخضع هذا الرأس أمام أحد غيره. وهناك كتاب تحت هذا النجم الهادي واللامع، كُتب عليه "علّم الإنسان ما لم يعلم"، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم والذي علّم به الله عبادَه بما يرضى، وماذا يريد. وكيف يمكنهم أن يكونوا عباده الصالحين بالعمل الصالح، وباعتبار بعضهم البعض كأخوة، وبمحو الفرق بين الفقير والغني، وبإزالة التمييز بين اللون والشكل، وإزالة الفرق بين السيّد والخادم، وهذا هو الكتاب الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهدى الذين قد ضلّوا طرقهم، إلى الصراط المستقيم، وإنّ الذي أتى بهذا الكتاب، قدّم نموذجًا بحياته الطيبة وبتأثير نظرته وحرارة قلبه، وشكّل مجموعة من الأشخاص الصالحين، قامت بمحو السيئات والمنكرات من الدنيا، وأقام فيها العدل الصادق من الله.

وتتواجد شجرتا نخيل على الجانبين من هذا الشعار، فما هذا؟ هذا شعار البلاد التي ولد فيها الذي بعث بهذه الرسالة الإلهية الأخيرة، وشعار ذلك الوادي القاحل الذي لم يكن ينبت فيه شيء عادة، إلا أنه عندما ترسّخت فيه شجرة الدين الإلهي الحنيف. ومن ييئس من أعماله بسبب الظروف غير المواتية، فتثبت له هذه الشجرة مصدرًا للإلهام. بحيث إنه ومن تلك البلاد التي لم تتواجد فيها أزهار ولا نبات ما عدا أشجار النخيل، انفجرت منها منابيع الرشد والهدى، فارتوت بها القلوب، فلماذا تقنطون بسبب الأوضاع الظاهرة.

وفي الأسفل، هناك هلال ضئيل كتب فيه: الجامعة الملية الإسلامية، هذا الهلال يبدو صغيرًا في الوقت الراهن ولكن مثلما يكبر الهلال ليصبح بدرًا ليلة الرابع عشر،

فبهذه الطريقة إنّ هذه الجامعة التي قد بدأت أعمالها حاليًا، ستصبح بإذن الله، بدرًا لامعًا وستكون قرة عين للمشاهدين، وأنا على يقين بأنّ طلّاب هذه الجامعة كلهم سيحفظون في قلوبهم، هذه النقاط التي تكمن في هذا الشعار الصغير لهذه الجامعة، ليكبروا صالحين، وإنّ ازدهارهم وترقيتهم ستؤدي إلى تعزيز شهرتهم وشهرة أسرتهم وشهرة الإنسانية جمعاء كذلك.

أيها الأطفال! كونوا صالحين،استيقظوا وأوقظوا. ولا تعرفون كم من المهام تجزونها بهذه الأيادي الناعمة، وكم من الطاقة كامنة في هذه الأيادي الناعمة، جرّبوا تلك الطاقة لتكونوا سببًا لجلب اليمن والبركة للآخرين.

وفي هذا العام، ابتدأ عمل جديد، وهو بيت الحكمة، والذي قام بإنشائه الشيخ عبيد الله السندهي، عندما عاد إلى الهند من المنفى الذي استمر عدة سنوات، وذلك نزولًا عند رغبة الدكتور ذاكرحسين، ليقضي بقية أيام حياته في الأجواء الحرة في حرم الجامعة الملية الإسلامية، فإنّ الشيخ السندهي هو الذي أطلق هذا المعهد، وكان يدرس فيه الطلّاب فلسفة الشاه ولي الله وتفسير القرآن الكريم، وكان من أهم رفقائه السيّد محمد سرور الذي كان ناظرًا لهذا المعهد، وكان السيّد سرور قد حصل على درجة ممتازة في مواد الدراسات الإسلامية والعربية لمرحلة البكالوريوس. وكان لديه رغبة شديدة في منهج التعليم الذي كان يتبعه الشيخ السندهي، لذا قام بنشر آراء الشيخ السندهي في شكل كتاب، وسمّاه بـ"الحركة السياسية للشاه ولي الله"، كان السيّد محمد عرفان النوري أيضًا من رفقائه. وقد تلّقى التعليم في مدرسة نور العلوم الكائنة في محافظة بهرائج. وكان لديه شغف بالدراسات الإسلامية.

وفي هذا العام، توافد الضيوف بقدر فاق حجم الضيوف الذين حضروا خلال 19 سنة ماضية.

وتم تقديم كلمات الشكر والتقدير إلى كلّ من سعادة النوّاب مهدي يار جنك بهادر، وزير التعليم مدير الجامعة العثمانية، والسيّد بير إلهي بخش وزير التعليم لولاية سندھ،

وهو طالب سابق للجامعة أيضًا.

وألقى كلّ من السيّد نور الحسن برلاس، أستاذ في اللغة الأردية بجامعة طوكيو، اليابان، وحرمه السيدة برلاس، والدكتور آر. إيس. أغروال، والسيّد مولانا حفظ الرحمن السيوهاروي، والمولانا آزاد السبحاني، خطبهم في حفلات جمعية الاتحاد، حيث التقى السيد مولانا حسين أحمد المدني بالشيخ عبيد الله السندهي، وشاهد أنشطة الجامعة. ووصل وفد مكوّن من طلّاب دار العلوم التابعة لندوة العلماء إلى دلهي في زيارة تاريخية تحت إشراف الشيخ عبد السلام الندوي الجامعي، وعاين أعمال الجامعة وأنشطتها.

وفي نفس السنة، وصل إلينا خبر بأنّ أستاذ الجامعة السابق السيّد عبد الكريم الفاروقي انتقل إلى ذمة الله، كان الطلّاب يألفون به كثيرًا بسبب دماثة خلقه وظرافته.

وفي شهر يناير عام 1939م، منحت جمعية سانغ التعليمية مبلغًا قدره 800 روبية لمكتبة مدرسة المعلّمين. كما أنها قدّمت مبلغًا قدره ألفا روبية في دفعة واحدة لتنظيم ورشة عمل في شهر يونيو عام 1940م. وقد اكتمل بناء جزء من مبنى هذه الكلية، حيث تجري الدراسة حاليًا، واقترب اكتمال المبنى الثاني مقابل مبنى المدرسة الابتدائية. وأولًا، تم بناء المبنى الأول على حساب حكومة ولاية حيدر آباد والتي قدّمت في دفعة واحدة تبرعًا قدره 50 ألف روبية. كما أنها أعطت مئة ألف روبية لبناء المبنى الثاني في شهر يونيو عام 1939م.

وقام السيّد مائنس بإعداد خرائط مباني الجامعة، فكان الناس يتعجبون برؤية هذه المباني، ظنًا منهم كيف تمكن هولاء الفقراء من بناء هذه المباني الشامخة، بما يجذب الأنظار، وكان بالإمكان أن ننفق هذا القدر من المبلغ لبناء المبنى الثقيل، ولكن عندما لم يكن لدى الجامعة أي نقود لبناء المباني، كان أصحاب الجامعة يفكرون ذلك الوقت أيضًا، في رسم خريطة جيدة، بينما لم يكن هناك روبية ليتم صرفها مقابل إعداد الخريطة ومع ذلك تولّدت فكرة لتحقيق ذلك مجانًا، فتم إعداد خريطة من قبل مهندس

حكومي كبير، كما قام مهندس شابّ من مدينة علي غراه، بإعداد خريطة أخرى، حيث بذل أصحاب الجامعة كذلك جهودهم في هذا الشأن، وفي ذلك الوقت، كان الدكتور ذاكر حسين يزور حيدرآباد، فصادف أن قابل مهندسا شيكيا كارل هائنس، وسمعنا أنه وصل إلى حيدرآباد برفقة أمير تركي اسمه الأمير عبد الكريم، وليس من المعلوم كيف نزل ضيفًا لدى أستاذ من الجامعة العثمانية، ولعل الأمير توجه إلى اليابان، وظل المهندس هائنس مقيمًا هناك. وهو رجل لا يعبأ بشيء. لا يتكلم إلا عن فن مهنته، ويأتي بعشرات الآراء الجديدة، وتطوّرت العلاقة بسرعة بينه وبين الدكتور ذاكر حسين حيث الدكتور يجيد اللغة الألمانية، واغتنم الدكتور ذاكر هذه الفرصة فالتمس منه إعداد خريطة للجامعة، فقدّم عليه السيد هائنس عدة اقتراحات خلال لقاءاته في حيدرآباد، وقال إنه يقوم بتغييرها بعد مناقشتها مع الدكتور ذاكر، وعندما يلتقي به في اليوم التالي يجده قد مزق الخريطة. والثانية جاهزة، هكذا كان يتم إعداد خريطة جديدة كلّ يوم. ولكن لم يتم اتخاذ أيّ قرار. وقد وصل الدكتور ذاكر إلى دلهي، بعد أربعة أيام جاء السيّد هائنس أيضًا، يقال إنه وصل إلى منزل الدكتور ذاكر في منطقة قرول باغ ودقّ الباب ليلًا، ولم تكن زوجة الدكتور ذاكر موجودة في تلك الأيام، وكان الدكتور ذاكر والسيّد مجيب فقط في البيت، ولم تتوافر الكهرباء هناك حتى ذلك اليوم. وكان مصباح زيتي يتلألأ بشكل ضئيل. وكان المطر ينزل وحضر الضيف، كان مبلّلًا تمامًا من قمة الرأس إلى أخمص القدمين مثل الدجاجة المبلّلة، وبات ليلًا على سرير مصنوع من القصب والقش، وإنه واجه، لقضاء الحاجة في الصباح، نفس المشاكل التي كان يواجهها الهنود في أوروبا في البداية، ولكن هائنس كان رجلًا فنيًا، فتحمل كل المشاقّ، استمتاعًا بها. وتعزّزت الصداقة بينه وبين الدكتور ذاكر من هنا، هذا هو الزمن الذي قام هائنس فيه بإعداد هذه الخريطة. وتمّت الموافقة عليها لاحقًا بعد إجراء الترميمات البسيطة عليها. وكان نوع العمارة جديدًا،

يحمل في طيّه، ملامح الأنماط الموجودة، وفيه علامة إسلامية وجمال وقوة كذلك. والسيّد هائنس ماهر في إعداد الأنماط الجديدة من العمارة، لقد تلقّى تعليمَه في باريس ولكنه لا يحاكي الآخرين، ويقول إنّ العمارة لها غرض وهدف فهي تعرض ثقافتها، وإذا تحلّى المعمار بجمال الإحساس فيتشكل كل شيء في معدل صحيح. ولا يحاكي المعمار الماهر الآخرين. وسأله أحد عن طراز العمارة في مباني الجامعة، فأجاب قائلًا: إنها من طراز الجامعة، ومن الجدير بالذكر هنا بأنّ السيّد هائنس قدّم هذه الخدمات كلها مجانًا، بينما كان يحصل على أموال كثيرة من الأماكن الأخرى، إذ إنه كسب روبيات دثمة من حيدرآباد، وبهوبال وكشمير، إلا أنه قدّم خدماته للجامعة مجانًا في البداية. وكان يتحلى بصفة الاستغناء عن الأموال إلى حدّ ما، فإذا حصل على مال فلا يعرف كيف يمسك به. ولا يريد أن يأخذه معه كذلك. وكان يوزع كل الأموال بين الأصدقاء والأقرباء، وفي النهاية لا يكون إلا صفر اليدين.

وقد سبق ذكر المهندس خواجه لطيف حسن في قصة السنة السابعة عشرة. وكان المعمار عبد الله يحظى بمهارة جيدة في القيام بأعمال البناء وتشغيل العمّال، وذلك من خلال فهم خريطة المهندس هائنس. وكانت له نظرة جيدة في أعمال بناء المباني، يفهم نقاط الخرائط، ومن ميزات بناء سقف دار السكن الأول والثاني والذي يبلغ طوله 55 قدمًا، أنْ استخدم طوب بشكل عمودي بـ9 بوصة عرضًا، على نحو لا يُرى أثر القضبان الحديدية في أي مكان. وكان يبدي كلّ مَنْ له إلمام بأعمال البناء، حيرته برؤية أعمال هذا السقف. ويقول البناء بإنه لم يوجد هذا العمل في المباني المشيدة قبل عام 1935م، هذه أول مرة، قمتَ ببناء هذا السقف على هذه الصيغة.

في هذه المرة، كان السيّد سعيد الأنصاري مراقبًا لأعمال المباني، واكتملت هذه العمارة في زمنه.

ومع بداية أعمال بناء مباني الجامعة، قام البروفيسور محمد مجيب ببناء بيته من بين

الأساتذة أولًا، وفيما يخص إكمال الرغبة، فأنا الشخص الثاني، ثم اكتمل بناء منازل كلّ من السيّد بركت علي، والسيّد مجتبى حسين، والسيّد صغير أحمد، والسيّد نور محمد، والسيّد محمد سرور، والسيّد منشي مختار أحمد، والبروفيسور محمد عاقل والمولانا محمد أسلم على الترتيب حتى نهاية هذا العام، كما قام كلّ من الحافظ محمد فياض والدكتور ذاكر حسين أيضًا، بإكمال بناء بيوتهما.

وفي هذه الجهة، تظهر مقبرة جميلة جدًا للدكتور مختار أحمد الأنصاري، من هنا يتجه الشارع إلى الجنوب الشرقي، وفي الجهة اليمنى، تظهر مبانٍ أخرى، وتقع بيوت الأساتذة ومدرسة المعلّمين في مكان ينتهي إليه الشارع، وهذه قرية أوكهلا، ومن هنا تبدأ منطقة النهر، هذا النهر يدعى بـ"نهر جَمُنا" الغربي، ويشتهر هذا النهر باسم نهر آغره، ومن هنا يقع النهر على بعد ميل، ويبدو هذا مثل حديقة تزينها كثرة الأشجار وأغصان الأعشاب وأرضيات الأزهار والشوارع، وها هو ذا، نحن قد وصلنا إلى نهر جَمُنا، هيّا نجلس على هذه المقاعد المريحة، هذا وقت لطيف في الصباح، يهبّ النسيم، وتطير الطيور، وتنعكس أشعة الشمس في الماء، وقد خفّفت الموجات شدتها، يتمتع أساتذة الجامعة وطلّابها بهذه الأشياء، وتقع مبانينا على قرب من هنا، بعيدة من ضوضاء المدينة، وعلى بعد نصف ميل من المدينة، وزد على ذلك في أجواء أوكهلا اللطيفة، وما أجمل المكان لمؤسسة تعايمية.

من هؤلاء؟ طلّاب يمشون في الطوابير تحت إشراف الأساتذة، هذا موسم الصيف، سيتمتعون بالسباحة في الصباح، وسيكون بمثابة الرياضة البدنية أيضًا، وكنا نتخذ الحيطة والحذر في هذا الشأن، يتوجه إلى هنا، الطلّاب تحت رعاية السباحين، ويتم تسجيل الحضور بشكل منتظم. ثم يتم تقسيمهم إلى فرق صغيرة، ليتم تسليمهم إلى كلّ سباح، يعلّمهم السباحة ويراقبهم، وتوافرت سترة النجاة، والحبال، والقمصان المطاطية وغيرها من المستلزمات الأخرى. وتم إنشاء جمعية السباحة أيضًا في هذا العام تحت السيّد ضياء

الدين، والذي كان من سكّان حيدرآباد، حيث تتوافر فيها البرك والمستنقعات بكثرة، فإنه سبّاح ماهر، وفي تلك الأيام، كان السيّد ناظم جميل ناظرًا لشؤون الألعاب، فقد أدّى واجباته عدة سنوات بكل سعادة وبهجة، مركزًا على أن يتعلم الأطفال الألعاب، وكانت طلاقة وجهه وضحكاته تملأ الميدان فرحة ومسرّة.

ليس من الضروري الإفادة بأنّ السيّد أيه. جى. كيلات هو أمير لجنة تنظيم أمور الألعاب للمدرسة الثانوية والكلية، وسبق أن ذكرنا اسمه في عدة أماكن.

وكان يزداد عدد الحدائق بفضل الجهود المبذولة من قبل السيّد عبد الحميد، وهو طالب سابق من الجامعة، وبالتالي هو رجل مثقّف إلا أنه يقوم برغبته، بالأعمال الشاقّة كحفر الأرض وتهيئتها مثل الفلاح، ويقوم البستاني المدعو فقيرًا بتزيين الحديقة بجهد كبير.

فلنلاحظ أنشطة الصفوف واهتماماتهم.

افتتحت حفلة جديدة على يد أستاذ المدرسة السيّد عبد القادر، أي مثل البنك، تم توجيه طلاب الصف الخامس بتنظيم حفلة الدكان، حيث تحدث الطلاب عما تعلّموا من مشروع الدكان، وكان أمين هذا الدكان هو صاحب الأمانة الأستاذ عبد القادر، وهذا عمل شهير، فبدلًا من ذكره باختصار، لا نذكر هنا إلا جزءًا من "شغل الورق المقوى" للمركز التعليمي الأول، وكان التدريب جاريًا بموجب التعليم الأساسي في مدرسة المعلّمين، بدأ تقديم التعليم من خلال الحرف والمهن، حول ما جاء ذكره ما عدا مشروع النوع الأول ضمن الأنشطة التعليمية للمركز التعليمي الأول.

وقد تولّى السيّد عروج الحسن مسؤولية هذه المهام الجديدة بعد الحصول على تدريب "واردها". وفيما يلي نموذج من العمل كخلاصة:

في أغلب الأحيان لا يكون في الصفوف تجهيزات لوضع أدوات الطلاب مثل

المساحة وقلم الرصاص وغيرها بنظام وترتيب، لنفترض بأننا نريد أن نطرح على طلّاب الصف الرابع، ما هي الطريقة لوضع الأشياء المذكورة أعلاه بنظام! فتظهر النتيجة، بأن يصنع كل طالب صينيتين، واحدة لنفسه والثانية للبيع في دكان الأطفال.

وليس الهدف هنا بيان طريقة صنع الصينيات من قبل الطلاب، إنما الهدف أن نخبر بإيجاز، عن أنشطة الكتابة والقراءة من خلال الأعمال وعند الانتهاء منها.

1. المعلومات العامة (العلوم الاجتماعية والعلوم): فيما تستخدم الصينيات؟

   بم تصنع الصينيات؟

   ستقص قصة الورق المقوى بهذه المناسبة.

   أين صنع الورق المقوى أولًا؟ كيف تم تصنيعه؟ كم نوعًا للورق المقوى؟

   كيف نحافظ على نظافة الغرفة ونظافة الأيدي أثناء العمل.

2. لغة:

   سيكتب الطلاب عمل تصنيع الصينية على دفاترهم.

   سيكتبون مقالًا حول الصينية.

   سيتم الإملاء على موضوع الصينية.

3. رياضيات:

   (خلال تصنيع الصينية والتكلفة الأصلية في حال بيع وشراء، نفع وخسارة) يطلب من الطلاب أن يحسبوا تكلفة الصينية. (الورق المقوى، ورق عادي، الغراء) من المفترض أنه إذا بلغ السعر 25 بيسة، وتم البيع بـ30، فكم يكون الربح؟ وإذا بلغ عدد الصينيات المباعة رقمًا معينًا، فكم يكون الربح، وهكذا.

   وسيتم حلّ الأسئلة بهذه الطريقة.

4. رسم:

سيطلب من الطلّاب رسم هذه الصينيات التي جهّزوها ويقوموا بتلوينها بنفس ألوان النايلون الملون المستخدم في الصينية. ويتم إعلامهم بالألوان الرئيسية (الأحمر، الأزرق، الأصفر) وسيتم إفادتهم بأنه يمكن إعداد ألوان أخرى من خلال خلط هذه الألوان فيما بينها.

5. دراسات إسلامية:

ويمكن سرد هذا الأمر حسب السياق، بأن الأمانة جزء هام لمعاملة البيع والشراء، وكم لها أهمية في السلوك والسيرة.

وكان للسيّد عروج الحسن ملكة فائقة في الأعمال اليدوية، وكان يعتني بالنظافة والتكميل، وبفضله تولد الجو المناسب لهذا العمل في المدرسة.

واحتفل طلّاب الثانوية بيوم الشاعر "إقبال"، فقد بحثوا وحقّقوا كل ما يتعلق بحياته وشعره على مدى أسبوعين، ثم كتبوا المقالات وقدّموها في حفلة بنظام وترتيب، وعرضوا قصيدتين للشاعر إقبال كمسرحية في الليل، حيث كان المنظر واللباس معجبًا للغاية، إذ أدّى الطلاب حق الأداء في شرح أشعار الشاعر إقبال، وتمت هذه الأعمال كلها تحت إشراف السيّد محمد مجيب، وكتبت المقالات بفضل الجهود التي بذلها كلّ من السيّد وقار عظيم والسيّد قاسم حسن. حيث زاد تواجد هؤلاء الشخصيات إنجازات الطلبة معنى وروحًا، وكانت الأنشطة العملية والأدبية وأنشطة التسلية تجري بشكل منسجم.

هذا العام، جرى تعديل في المقرر الدراسي للكلية، ينصّ على جعل الأنشطة التي جرت طول السنة، جزءا لازمًا لأجل الامتحانات السنوية والأخيرة، وتم توجيه الطلّاب بكتابة المقالات بعدة لغات. ويتم الإعلان عن نتائجها من خلال ضم

درجات تلك الامتحانات، وبهذه الطريقة، ينشغل الطلّاب طوال السنة.

وتم تنظيم المسابقة الخطابية في كلية العربية فشارك فيها طلّاب كلية الجامعة كذلك، وفازوا بالأوسمة، وهكذا حصل طلاب المركز التعليمي على وسام المنتدى العثماني بباني بت.

وألقى المولانا أسلم جيراج بوري مقاله الواضح المعنون بالركن الأخير للإسلام في حفلة جمعية الاتحاد. وكانت له مطالعة راسخة في الدراسات الإسلامية، كان يفضل الأصول على الفروع، وكان يفسّر القرآن الكريم تفسيرًا سهلًا، مما كان يؤثر على تلامذته الشباب، وكان يتخذ المولانا قرارًا حاسمًا في المعاملات سواء كانت دينية أو دنيوية.

وأتحف السيّد بهزاد لكنوي الطلاب بشعره الجديد، في حفلة جمعية الاتحاد. وقد تم ذكر أسماء الأشخاص الذين تولّوا منصب نائب الرئيس في جميعة الاتحاد حتى عصر الرئيس أحمد جعفري في قصة السنة الثانية عشرة، القائمة التالية كالتالي حسب الترتيب:

السيّد نجم الدين، والسيّد كنك جنديكا، السيّد بدر الحسن، السيّد محمد طيب، السيّد إسمعيل محمد مدها، الحافظ ضمير الدين، الحافظ أحمد علي، السيد صاحب علي والحافظ محمد عرفان.

وبدأت الأعمال ذات الاهتمام التعليمي في جميعة اتحاد العمال أيضًا مثل الجمعية الطلّابية، إذ عقدت الجمعية حفلة عيد ميلاد النبي تحت رعايته هذا العام، فيما كتب جميع أركان الجمعية مقالاتهم حسب ملكاتهم، وقدموها، وترأس المولانا أحمد سعيد هذه الحفلة، حيث أعرب عن أرائه في الختام.

يتعين علينا تحمل المسؤولية طبيعيًا، عن إصلاح القرى التي تقع في ضواحي منطقة جامعة نغر، انتقلت مدرسة المعلّمين إلى جامعة نغر العام الماضي، وتقع في قربها، كل من قرى أوكهلا، خوغابائي، وجولينا، لم تكن في أوكهلا أي مدرسة. حيث تأسّست مدرسة بفضل الجهود التي بذلها أركان مدرسة المعلّمين في 7 أكتوبر

1939م. في البداية كان عدد الطلّاب يبلغ عشرين طالبًا، وقد وافق مجلس البلدية لدلهي، على مصرف لأستاذ واحد، على سقف 25-1-30 من معدل الرتبة.

وعندما انضم السيّد سلامت الله إلى مدرسة المعلّمين هذا العام، فتم تكليفه بمسؤولية العناية بهذه المدرسة للقرية، كما توجّه السيّد نور محمد، أستاذ آخر لهذه المدرسة، إلى إصلاح القرية، وبدأ يهتم بشؤون المسجد أيضًا.

ليس بعض أعضاء هيئة التدريس بل معظمهم، كانوا قد انضموا إلى الجامعة وهم يحملون فكرة ما، وتجنبًا للإطالة، ذكرنا فقط أستاذًا أسندت إليه مهامّ خاصة، وإلا كان كل الأشخاص الجيدين يخدمون الجامعة. لم نتكن من ذكر أسماء جميعهم في هذه القصة، بينما ذكرنا قائمة للعاملين في الجامعة، ضمن المرفقات في قصة عام 1924م، وأما القائمة الثانية الكاملة للعاملين بمناسبة الذكرى ال25، سيتم ذكرها لاحقًا، وكان الحديث عن الأستاذ سلامت الله بشأن مدرسة القرية... نذكر هنا سبب مجيئه:

كان الدكتور ذاكر حسين يبحث بدوره، دومًا عن الأشخاص الذين سيدفعون بأنشطة الجامعة إلى الأمام، وكان الدكتور ذاكر قد أدرك الذكاء والمواهب التي كان يتحلّى بها السيّد سلامت الله، في عدة لقاءات بمدينة علي غراه، وعندما نجح السيّد سلامت الله في امتحان بي. تي. حيث سأل الدكتور ذاكر، ماذا تريد أن تفعل الآن؟ فقال سلامت الله: أريد أن أعمل عملًا للإصلاح القومي، فقال الدكتور ذاكر بلهجته المميزة: حفر الأرض أيضًا يمكن أن يكون إصلاحًا، فصل جوابك، فقال: أريد إنشاء مدرسة، فطلب منه السيّد ذاكر أن يتجه إلى دلهي وسيحصل هناك على عمل يناسبه. وحينما كان أي شخص ينضم إلى الجامعة لغرض العمل في ذلك الزمن، لم يكن أحد يخبره شيئًا عن الراتب والأمور ذات الصلة بالسكن والنفقات، ليكون هذا أوّل اختبار له، وبدأ السيّد سلامت الله يسكن في غرفة جنب المستودع، حيث كانت أسر أخرى تسكن هناك، فلم يكد يجد مساحة لسرير، ثم انضم إليه السيّد سعيد

الأنصاري، والسيّد أبو الكلام، والسيّد تلارام. بفارق سنة أو سنتين، وهكذا واصلنا إطلاق المهام الجديدة حتى في هذه الظروف الصعبة وعدم وجود الإمكانيات.

وكان أعضاء الجامعة يقترحون تنظيم مهرجان الأطفال منذ فترة، ولاسيما كانت السيّدة آباجان تمنى ذلك بشدة، وذات مرة، قد أعلنت عن ذلك، ولكن ظهرت بعض المشاكل التي حالت دون تحقيق أمنيتها.

هذه المرة، في شهر رمضان المبارك، قرّر كل من الأساتذة والطلبة من الحي الجديد جامعة نغر، (أوكهلا) بأنه يجب تنظيم مهرجان الأطفال، ويتم الاحتفال باليوم الثاني من العيد في دلهي، بشكل خاص، حيث يخرج الناس للتنزه من مكان إلى آخر، ويبدو أنّ هناك مهرجانًا في أوكهلا بشكل خاص، ويسمّى هذا اليوم بـ"تر" بشكل عام، لذا تقرّر عقد هذا الحفل في يوم تر ليحضر سكّان مدينة دلهي أيضًا هذا الحفل. وقبل هذا، كان السيّد أكبر علي المغفور له، المشرف على المدرسة الابتدائية، كان قد بدأ فكرة عقد المهرجان المحلي، متخيلًا بأنّ الاهتمامات الخاصة بالعيد ستكون محدودة (لأنه لم تكن هناك إلا المدرسة الابتدائية آنذاك) ثمة عدة دكاكين للمأكولات والمشروبات، وكما كان هناك ترتيب لعرض الأنشطة البهلوانية ليتم ترويح قلوب الأطفال، ويمكن أن نسمّيه بالمهرجان المحلي، ولكن بدأ توجيه الدعوة إلى سكّان المدينة، وتنظيم هذا الحفل على شكل مهرجان من هذا العام، والهدف هنا ذكر أحوال هذا المهرجان.

لقد ملأ خبر تنظيم المهرجان، الأطفال حماسًا ومسرة، فقاموا بأداء كافة الأشغال المتعلقة بالمهرجان بأنفسهم، ولم يكن عمل الأساتذة إلا الإشراف والتوجيه، أولًا، تم وضع جدول البرنامج ليتم تحديد ما هي الأنشطة التي ينبغي تنفيذها في المهرجان، وتم تقسيم هذه الأنشطة كلها بين أعضاء لجنة الطلّاب، وفيما يلي أسماء هذه اللجان:

لجنة التزيين: أسندت كافة أعمال التزيين إلى هذه اللجنة.

لجنة الألعاب: تم تكليف هذه اللجنة بكافة أعمال اللعب.

لجنة تشرف على المأكولات والمشروبات.

لجنة معنية بإدارة شؤون دكاكين الألعاب والدمى والأشياء الأخرى.

لجنة المسرحية.

لجنة معنية بترتيب الألعاب البهلوانية والسحرية.

لجنة مشرفة على أمور المهرجان وغيره.

وأدّت هذه اللجنان واجباتها بكل حماس وجهد، لأجل إنجاح المهرجان.

انطلقت فعاليات المهرجان في الساعة العاشرة، اليوم الثاني- يوم تر- من العيد، أولًا، قام شيخ الجامعة برفع العلم، وأنشد الطلّاب أنشودة العيد وفق المناسبة، وكان السيّد شفيع الدين نير قرض هذه الأنشودة للمهرجان، وذكر فيها كافة براج المهرجان، ونال هذا البرنامج قبولًا، وتم توزيع الأنشودة المنشورة في خط جميل بين الأطفال والكبار من قبل لجنة المهرجان.

كما كتب مدير مجلة "بيام تعليم" في موضع:

"وصلنا إلى جامعة نغر في تمام الساعة العاشرة، حيث كان بعض الطلّاب المتطوعين يوزّعون جدول برنامج المهرجان المنشور على مسافة من البوابة، واتجهنا ونحن نقرأ جدول البرنامج، إلى البوابة أي نحو الباب الرئيسي... ووضعت الرسومات الجذابة والمثيرة للاهتمام على البوّابة وفي كلا الجانبين من الطريق، فتنطلق القهقهة بمجرد رؤيتها دون تمالك. وقام الطلّاب أنفسهم برسمها كلها، ما أجمل الرسوم! ولم نمش إلا قليلًا حتى أحاطنا طفل صغير: سيّدي، تفضلوا أولًا، هذا علم الجامعة، بيسة واحدة بيسة واحدة! وبعد أن فرغنا منهم، اتجهنا نحو اليسار. فنظرنا إلى دكاكين الألعاب والكتب والحلويات والفواكه وغير ذلك. وكانت تسمع أصوات راعي الغنم. وكانت هناك لوحة

المنتزه على الباب داخل المبنى. ولاحظنا بعد الوصول إلى المكان أنّ الطاولات وضعت بنظام، كان هناك ترتيب للمأكولات والمشروبات. كانت الأطعمة لذيذة جدًا وسعرها مناسب أيضًا، واجتمعنا مع اثنين أو ثلاثة من الزملاء وأكلنا وشربنا الشاي. وبعد أن فرغنا من هنا، اشترينا بعض الفواكه من دكان الفواكه. ثم اتجهنا إلى اليمين، فإذا هو دار المطالعة والقراءة، حيث وضع عدد كبير من الصحف والمجلات على الطاولات بنظام، وكان عدد كبير من عباد الله يقرؤون الصحف باهتمام حتى اليوم في هذه الضجة، وكان هناك دكان آخر جنب غرفة القراءة جهة الثانوية، وكتب على لوحة، كلمة- مقهى. فسررنا كثيرًا بأننا سنجد القهوة، التي ستهضم كل ما أكلنا وشربنا. وبعد الدخول، اتضح بأنه لا توجد قهوة بل الشاي ومشروبات الليمون والسودا، وإذا اشتد الشوق فها هو كباب وخبز من نوع براتا، واكتفينا بشرب الشاي فقط، وكان لذيذًا جدًا، ثم اتجهنا نحو اليسار، فرأينا دكان صناعة الكيماويات للجامعة، بينما كان هناك زيت واق للبعوض، وكريم فازلين، وحبر القلم، ومسحوق تنظيف الأسنان، وغيرها من الأشياء الأخرى أيضًا، وكانت بجواره زاوية النجارة، وتوافرت فيها طاولة التجميل، والدواليب، والكراسي وغير ذلك، وكان كل شيء في شكل جديد، وكنا نشاهد هذه الأشياء كلها حتى أشارت الساعة إلى الساعة الثانية عشرة والنصف، وكنا نفكر أن نستريح في مكان ما، فصادفنا لقاء صديق قديم يسكن في منطقة جامعة نغر، فاسترحنا برهة بعد صلاة الظهر، ثم اتجهنا إلى مكان المهرجان، حيث كانت البرامج قد انطلقت، وكان يقدم البهلوان، العروض البهلوانية، بعد ذلك، قدم أصحاب الثعابين عرضهم، ثم أعلن مكبر الصوت بأن يتجه الجميع إلى الميدان خلف الدكاكين حيث سيتم إجراء المناورة الشاملة، ووصل الناس جميعًا إلى ذلك الجانب، حيث تم رفع العلم أولًا، ثم أنشد الأطفال أنشودة، وبدأت المناورة، وكانت الفرقة الموسيقية للمدرسة الثانوية تزف الموسيقى الخاصة بها، كان المنظر أنيقًا وبهيجًا جدًا، وكان روح البرامج كلها، بعد المناورة، قدم الأطفال مهاراتهم الحرفية، ثم بعد صلاة العصر، عرض الأطفال لعبة

البنوت[1] تحت رعاية السيّد محمود أخضر، أستاذ لعبة البنوت. كما بدأت العروض البهلوانية بين الشجعان الصغار في الجهة الثانية، كما جرت لعبة المصارعة الهندية (كبادي) بشكل جيد، وبعد هذه اللعبة، صلّينا المغرب، وفكرنا في مشاهدة المسرحية، وقد سبق أن تم شراء تذكرة المسرحية. وكانت هناك مسرحيتان، إحداهما للصغار وثانيتهما للكبار. شاهدنا كلتا المسرحتين، وكان عنوان المسرحية للصغار "الأمانة"، كتبها السيّد عتيق، على كل، لقد انقضى اليوم حافلًا بالارتباطات، وكان الناس يسرّهم جميعًا حسن التنظيم وإدارة المهرجان، وكان توافد الناس ومغادرتهم بدأ يزداد على المهرجان منذ وقت الظهيرة، وفي المساء كان الزحام شديدًا، ومع ذلك، كان هناك نظام جيّد للإسعاف والشرطة والدعم الفوري على نحو لم يشتك أحد من شيء، كان سكّان المدينة أيضًا مسرورين جدًا برؤية إدارة الدكاكين من قبل الأطفال وبأخلاقهم. كما توافد طلّاب المدارس الكثيرة الكائنة في المدينة أيضًا، على هذا المهرجان إلى جانب الكبار، وتبعد منطقة جامعة نغر حوالي 8-9 أميال من المدينة، وكان نظام الأياب والذهاب مناسبًا جدًا، وفي هذا الصدد، ساعد أصحاب شركة الهند لخدمات الباص، لجنة المهرجان مساعدة كبيرة، فوفّروا حافلات أخرى إضافة إلى حافلاتهم العامة.

وجّه جميع الأساتذة طلّابهم في هذا المهرجان، بينما نفخ السيّد ألطاف علي، المشرف على شؤون التربية الجسدية، في مدرسة المعلّمين، روحًا في المناورة الشاملة، وكان السيّد عبد الواحد السندهي مشرفًا عامًا على هذا المهرجان. كما لعب السيّد سندهي دورًا بارزًا في التوعية بالحياة العامة للمدرسة، وكان له أنشطة ومجهودات مماثلة خلال زمن الحياة الطلابية، كما أنّ السيّد ألطاف أدى برفقة السيّد الصديقي دورًا ملموسًا في أداء مسؤوليات النشاط الكشافي.

وكان الطلّاب قد أنشدوا عند رفع العلم، قصيدة "استيقظوا وأيقظوا" كتبه السيّد نير،

[1] لغبة شعبية تلعب بقطعة نقدية منديل.

وكانت مطبعة تعليم وترقية قامت بنشر هذه القصيدة وتوزيعها كهدية.

في البداية، اشتهر المهرجان باسم مهرجان الطلّاب، إلا أنّ بعض الجهات الأخرى من الجامعة أرادت أن تساهم فيه، لذا تحوّل المهرجان لاحقًا، إلى شكل مهرجان تعليمي، مما زاده إفادة ومنفعة وتلونًا، وأصبح المعرض التعليمي حدثًا مستقلًا، وسنح لأقسام الجامعة فرص أخرى لعرض إنجازاتها، ولم يكن إنجاز كل ذلك ممكنًا في برنامج يوم واحد، خلال بضع سنوات في البداية، استمرّ على مدى يومين، ثم بدأ تنظيمه على مدى ثلاثة أيام. ليشمل المهرجان اهتمامات سكّان المناطق الريفية كذلك، وبدأ يشارك فيه طلّاب كلية دلهي، وبدأ تنظيم المحافل والنوادي الأدبية، وتجلى أمام أعين الناس، نماذج من المؤتمرات، وبدأ اهتمام النساء أيضًا، وثمة سهولة في دلهي بأنّ دورات مجلسي البرلمان تنعقد فيها، فتم توجيه الدعوات إليهم أيضًا، وتم تقديم المسرحيات على كل المستويات من المدرسة الابتدائية حتى الكلية، ومن عادة وتقاليد الهند تنظيم المهرجانات والطقوس، وقد قدّم هذا المهرجان التعليمي الفريد نموذجًا جديدًا ضمن ميزات هذه الجامعة، وثمة مشاريع جديدة كل سنة، ومعروضات الإنجازات التعليمية الجديدة، مسرحيات جديدة، حفلات جديدة، ستظهر هذه الفعاليات كلها لاحقًا، كقصة سنة بعد الأخرى.

وفي الأسبوع الثاني من شهر أبريل، عقدت فعاليات المؤتمر السنوي الثاني لجمعية التعليم القومي الأساسي، شارك فيها ما يقارب من 150 عضوًا من أعضاء وفود مناطق الدولة، تضمنت الوفود مندوبين من حكومات الولايات المختلفة والمنظمات الوطنية، وكان هذا المؤتمر كاملًا من حيث التمثيل.

وقبل تدشين فعاليات المؤتمر، ألقى الدكتور ذاكر حسين كلمة ترحيبية باللغة الأردية، وقام السيّد راجندربابو بافتتاح هذا المؤتمر.

وفي اليوم الثاني من المؤتمر، قام السيّد جى. سي. تشاترجي، المسؤول عن الشؤون

التعليمية لولاية دلهي، بافتتاح معرض هذا المؤتمر.

وتم تزيين معروضات بعض الولايات والحكومات ومدارس الجامعة في المعارض بنظام، ولقد أُعجب الناس بالمعارض ولعل هذه أول مرة أقيمت فيها مثل هذه المعارض التعليمية الهامّة والأولى من نوعها، على أرض الهند.

وقد أقام معظم أعضاء الوفود في منطقة جامعة نغر.

وتم خلال المؤتمر مناقشة القضايا المختلفة ذات الصلة بالتعليم الأساسي، كما قدم المسؤولون من المناطق المختلفة، تقاريرهم عن مناطقهم.

وضمن هذا المؤتمر، عقد حفل في أحد الأيام تحت رئاسة السيّد كاكاكا ليلكر، في قاعة تاؤن.

وألقى السيّد خواجه غلام السيدين، مدير الشؤون التعليمية لكشمير، كلمته حول عنوان: التعليم الأساسي.

اختتمت فعاليات المؤتمر في ليلة اليوم الرابع عشر من أبريل، وقال الدكتور ذاكر حسين، مودعًا الضيوف الكرام، آمل أن يتم العمل بشكل حماسي ونشيط، على كافة الأمور التي تناولناها تفكيرًا وتدبرًا خلال اجتماعنا هنا، من العام القادم. ولم نتمكن من تقديم حق الضيافة لضيوفنا كما كان يجب، ولكن ذلك ليس بسبب أيّ إهمال منا، بل كانت هناك بعض الأسباب والاضطرار. وبالتالي نؤكد لكم أن كلما وجدتموه سواء الراحة أو الإزعاج، كله تعبير عن محبتنا وإخلاصنا، آملًا أنكم ستصفحون عن تقصيراتنا.

وأعرب مندوب من قبل الجهات الحكومية وشخص من جهة الولايات، عن كلمات الشكر لمن استضافوهم، كما تقدم السيّد كاكاكا ليلكر في كلمته الوجيزة، بكلمات الشكر إلى المستضيفين، قائلًا: إنّ هناك شكوى موجهة إلى مضيفنا الدكتور ذاكر حسين خان، أنه دفعنا إلى حضور الحفلات مرتين يوميًا، وأجلسنا إلى أوقات

متأخرة كثيرًا، والحق بأنّ مثل هذه المهام العظيمة والهامة كانت تتطلب مثل هذا الرئيس النشيط. انتهت الحفلة في الساعة الحادية عشرة ليلًا.

وكان كل من حضر للمشاركة في المؤتمر يعتبرون ضيوفنا لهذا العام، إلى جانب ذلك، حضر السيّد الفاضل رضي الدين وهو أستاذ شهير في الرياضيات من الجامعة العثمانية، أيضًا في مناسبة.

ولأجل ترويح نفوس المشاركين في هذا المؤتمر، قدم طلّاب المدرسة الابتدائية مسرحية باسم: "طالب محبّ للوطن"، وأعجب الجميع بالحفاظ على الموعد، والنظام، والإدارة، والأعمال الإدارية. فيما لعب المدعو مجتبى أحمد دور طالب محبّ للوطن، والمدعو حفيظ دلاوري دور قاطع الطريق، والمدعو عبد الرب خان دور شرطة السجن، والمدعو محمد إسماعيل دور المجنون، بشكل جيد، وتم تقديم هذه المسرحية برعاية السيّد عتيق أحمد.

ومن أخصّ التبرعات لهذا العام، تبرع قدّمته ولاية رامبور، في العام الماضي، كانت تتبرع هذه الولاية بمبلغ قدره 100 روبية شهريًا، والآن بلغ هذا التبرع 200 روبية شهريًا.

وكما سيأتي الذكر في الصفحات القادمة بأنّ الأصدقاء من حيدرآباد دكن تولّوا المسؤولية عن إدارة قسم الشؤون التعليمية والتطويرية، فقدّم منهم، المولوي حسين، مساعد في شؤون البناء، مبلغًا قدره ألف روبية، والمولوي محمد سجاد مرزا، مدير الكلية العثمانية للتدريب مبلغًا قدره خمسمئة روبية دفعة واحدة.

ISSN: 2321-7928

الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(1865-1935م)

- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي[1]

ترجمة من الأردوية: د. محفوظ الرحمن[2]

وصلتُ إلى الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله في عام 1931م أو 1932م، بعد وفاة الشيخ حميد الدين الفراهي (رحمه الله) عام 1930م، وأردتْ أن أتلقّى علم الحديث من العالم الكبير لفن علوم الحديث، كما درستُ القرآن على يد أستاذ فنّ لعلوم القرآن، ولقد كان فضلاً خاصًا من الله تعالى عليّ، كما حصلت على رفقة الفراهي (رحمه الله) دون أيّ بحث أو عناء، كذلك حصلتُ على رفقة الشيخ المباركفوري دون أيّ ترتيبات خاصّة وأيّ صعوبة.

كان الشيخ من المنطقة التي أسكنُ فيها، وتقع قريتي وبلدته على مسافة ميلين تقريبًا. ورغم هذا القرب، لم تتح لي فرصة الحضور في خدمته، لكن كثيرًاما كان يتردد في أذني ذكر علمه وفضله وزهده وتقواه. وعلى الرغم من أنّ والدي الراحل كان من أتباع المذهب الحنفي، إلا أنه كان يحبّ الشيخ المباركفوري كثيرًا على الرغم من كونه من أهل الحديث. عندما كنت أزور البيت، كان كثيرًاما يذكر مزايا الشيخ أمامي وأمام الأشخاص الذين كانوا يجلسون معه. وكان يحبّه المسلمون الطيبون في قريتي بغض النظر عن المذهب الحنفي والوهابي. وخطرت لي فكرة في أحد الأيام قلت في قلبي أنني أرغب في تلقّي علم الحديث فلماذا لا أتلمذ للشيخ المباكفوري. ويتفق الجميع على

[1] كاتب ومفسر هندي له مؤلفات عديدة ترجم البعض منها إلى العربية والإنجليزية

[2] أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

أنه صاحب الكمال والفن في علم الحديث وهو يسكن قرب قريتي، لا داعي للقلق بشأن أيّ سفر. فلما ذكرت هذه الرغبة لوالدي، فرح جدًا. وبدا لي أنه كان يحمل في نفسه بالفعل رغبة عميقة في هذا الشيء، لكنه لم يذكر لي ذلك، معتقدًا أنني قد لا أحبّ، ولكن عندما عبّرت عن ذلك بنفسي فرح كثيرًا، وفي الواقع لم يفرح مثل هذا أبدًا بأيّ شيء مني. قال: "تعال معي غدًا صباحًا، سوف أذهب بك إلى الشيخ بنفسي". وهو سيعلمك بحبّ كبير. كثيرًاما يسألني عنك، وسيفرح جدًا برؤيتك". لقد كنت سعيدًا جدًا بسعادة والدي، وفي الوقت نفسه، أزال حديث والدي هذا اللامباة الذهنية إلى حد ما، والتي نشأت بيني وبين الشيخ رحمه الله بسبب عدم مقابلته. دار هذا الجديث في المساء وفي الصباح أخذني والدي معه ووصل إلى حضرة الشيخ رحمه الله. وكان فصل الشتاء في تلك الأيام، وكان الشيخ جالسًا على سرير خشبي داخل المنزل. كانت الكتب مبعثرة أمامه وكان بعض تلاميذه ومريديه يجلسون بالقرب منه. كان الشيخ قد أصبح كفيفًا تقريبًا في ذلك الوقت ولكنه فرح جدًا عندما شعر بوجود والدي. عرّفني به والدي وذكر أيضًا غرض الحضور بأسلوبه القروي البسيط. وفي الواقع أنه كان رجلًا مشغولًا على غير العادة، وكان يمكنه أن يعتذر بشغله الكثير. لقد كان ضعيف البصر، ويمكنه أنْ يقدّم عذرًا لذلك. وكان بإمكانه أن يذكر كبر سنّه وسوء صحته، لكنه لم يذكر شيئًا من ذلك. قال: جيّد جدًا، أنا حاضر لأيّ خدمة تروني أهلًا لها. عندي علم. وأريد أنْ يكون وريثه شخصٌ من جواري"، قال وهو يشير إليّ. وإذا هو مستعد لذلك فما الأفضل من ذلك.

لقد شجّعتني كلمات الشيخ هذه وقرّرتُ أن أبدأ الدرس من اليوم التالي ورجعت إلى بيتي. وأتذكر جيدًا أنه في ذلك الوقت نشأ في قلبي حبّ عميق للشيخ، ولقد شعرت بهذا النوع من الحب لشخصيتين فقط من قبل. الأولى أستاذي الشيخ عبد الرحمن النكرامي رحمه الله، والثانية أستاذي ومعلّمي (لا أستخدم هذه الكلمة بالمعنى العام) الشيخ الفراهي رحمه الله. وبعد هذين الشخصين، فإنّ الشيخ المباركفوري هو الشخص

الثالث الذي حصل على مكانة من الاحترام والحبّ في قلبي لا يحصل عليها شخص رابع بعده. وعندما حضرت الشيخ في اليوم الثاني وظهر السؤال ماذا أفعل وكيف أفعل ذلك، وفهمت بعد محادثة قليلة أنّ الشيخ لديه سوء الفهم بشأني. كان يعتقد أنني أتيت إليه مثل الطلّاب الذين يأتون إليه للحصول على شهادة الحديث منه. لذلك أراد بكل كرم أن يكرّمني بأن أكون من تلاميذه بمنحه أقربَ سنده للحديث، لكنني قلت له بأدب واحترام إنّ هذا العاجز لا يستحق أن يضع تاج الملوك هذا على رأسه. وأنا لم أحضر إليك أبدًا مع أيّ رغبة من هذا القبيل. إنما أريد أن أتعلم منك منهج فهم الحديث. لقد تفاجأ الشيخ رحمه الله عندما سمع مني هذا الجواب غير المتوقع على الإطلاق. شجّعني الشيخ رحمه الله وقال: "لقد درست الدراسات العربية والحديث أيضًا". ولا تحتاج إلى مزيد من التعليم والدراسة. لكنني مازلت أكرر كلامي. وعندما رأى الشيخ أنني لستُ مستعدًا للانحراف عن كلامي بأيّ صورة، قال: "على أية حال، أنت لا تحتاج إلى مزيد من التعليم والدراسة ولكن إذا أردت أن تدرس، فأنا مستعد لك، أيًا كان الكتاب الذي تختاره". سأبدأ الدرس. كنت أرغب في دراسة كتاب الجامع الصحيح للبخاري، لكن الشيخ اقترح لي أن أدرس سنن الترمذي قبل البخاري. وكان الشيخ مشغولًا في تلك الأيام بإكمال شرحه الشهير للترمذي. لقد أعجبني اختيار الشيخ كثيرًا من وجهة نظري أنني بهذه الطريقة أحصل على فرصة دراسة أعظم أعمال المؤلف من المؤلف نفسه. في الواقع في اليوم الثاني، عندما بدأ الدرس باهتمام كبير وتحضير خاص ففهمت أنّ ما قال الشيخ المباركفوري رحمه الله عن شهادة سند الحديث كان لامتحاني. وإنه كان يريد أن يعرف أنني قد جئت إلى حضرته لتلقّي علم الحديث أو لمجرد الحصول على أن أكون تلميذه مثل الآخرين. لو رأى الشيخ رحمه الله أنني أريد شهادة فحسب، لكان على الأرجح قد أعطاني شهادة وفقًا للطريقة المعتادة، لكن عندما رأى أنني لم أكن طالبًا مثل الآخرين وأريد أن أتلقّى علم الحديث منه، فرضي التدريس بانتظام وبحماس كبير. وعلى الرغم

من تزايد انشغاله بشكل كبير في ذلك الوقت، حيث أن شرح الترمذي كان في مرحلته النهائية من الاكتمال. لكنه منحني الوقت بسخاء لم أكن أتخيله من رجل مشغول أنه يعطيني الوقت مثل هذا.

منهج درسه: إنّ منهج الشيخ لتدريس الحديث الذي اختاره لي، كان مفيدًا وحكيمًا للغاية. وركّز الشيخ على أن أطالع الدرس الذي سأدرسه غدًا بعناية واجتهاد مقدمًا. ولولم يصر الشيخ على هذا الشيء، فكنت أدرسه ولكن بعد هذا الإصرار من الشيخ، لم يبق لي مجال أن لا أطالع الدرس الذي أدرسه غدًا. على الرغم من أنها كانت ليالي شهر رمضان، كنت أقرأ ما لا يقلّ عن خمسين صفحة من الترمذي كل ليلة. ثم كنت أمشي في الصباح ميلين وأحضر عند الشيخ. كان الشيخ يقوم بتدريس الترمذي لمدة ثلاث ساعات تقريبًا كل يوم. وبعد ذلك كنت أعمل معه ساعة في بحث رجال الترمذي. وكنت أتعب بعد هذا العمل الشاقّ وكنت أحاول أن أخرج من عنده، لكن لم أجده يشكو التعب أو إرهاق العمل من لسانه. وعلاوة على هذه الأعمال، إنه قد كلّفني أيضًا ترجمة كتاب الحديث الشهير "نخبة الفكر" وأكد على أنّ الترجمة يجب أن تكون مفهومة وأنيقة ولكن لا تكون الكلمات كثيرة مقارنة بالأصل. لقد وجدت هذا الكتاب لغزًا كبيرًا وكانت ترجمته مع القيود التي فرضها الشيخ كان عملًا صعبًا. ولكني قمت بهذه الخدمة وأثنى عليها الشيخ رحمه الله عندما رأى الترجمة. وما كنت أعتبر بحث رجال الترمذي وترجمة نخبة الفكر جزءا من دراستي، ولكن بسبب اعتقادي كنت أظن أنّ الشيخ رحمه الله يستعين بي في مؤلفاته. وكما أعرب الشيخ عن مثل هذا الأمر قبل ذلك.

لكن لم يمض وقت قليل قبل أن تتضح لي الحقيقة أنّ كل هذه الأعمال كانت في الواقع جزءًا من دراستي. وأشركني الشيخ بهذه الطريقة في متن الحديث والسند وأصول الحديث في وقت واحد، وتحت توجيهاته، وضع عليّ عبء العمل بأكمله حتى أتمكن بسرعة من تجربة فن الحديث بطرقه المختلفة. والحقيقة أنني في وقت قليل

بدأت أشعر أنّ هذا الفن أصبح تحت سيطرتي، ولكن للأسف تدهورت صحتي من كثرة العمل إلى حد أنني لم أستطع الاستمرار في هذا العمل المبارك لفترة طويلة.

إتقانه للفن: لقد كان الشيخ بالفعل عالمًا كبيرًا وخبيرًا بفن علم الحديث. وعندما التحقت به، ذلك الوقت ما كنت قد أكملت دراستي في الدراسات العربية العامة فحسب، بل اكتسبت ثقة كاملة في الأدب العربي وعلوم القرآن. وقد درست جوانب كثيرة من علم الحديث، بعضها في الفصول وبعضها خلال دراستي العامة. ولهذا السبب، كانت لديّ ثقة كبيرة في نفسي، وأستطيع أن أقول بصراحة، لقد كنت أعتقد في قلبي عندما يبدأ الشيخ الدرس، سيعرف كل شيء أنّ لدي إلمامًا كبيرًا بكل العلوم، ولكن في الدرس الأول من الترمذي شعرت بأنني سواء كنت أعرف شيئًا أم لا، لكني لا أعرف أيّ شيء عن علم الحديث. مرّت بي أول تجربة مريرة وهي كانت قراءة أسماء الرواة وعندما بدأ الشيخ رحمه الله ينبّه على كل اسم، كان أسلوبه في هذا الأمر متعاطفًا للغاية، لكن الحقيقة هي أنّ حالة مختلطة من الإحراج والخجل والذعر أصابتني لدرجة أنني بدأت أتعرق من رأسي إلى أخمص قدميّ. لقد كان الشيخ رحمه يراعي في قراءة صحة كل اسم الراوي وكان يبيّن اختلافات دقيقة بين الأسماء المتشابهة، وفي الحقيقة اعتقدت في البداية أنني لن أتمكن أبدًا من إتقان هذا الفن. ولكن الشيخ نجّاني من صدمة اليأس. قال إنك تواجه هذا الأمر لأول مرة في حياتك. ولا شك في أنّ هذا الأمر صعب جدًا، وكان علماء الحديث يرتبون له ترتيبًا عظيمًا، ولكن لا يصح أن يعتقد أنه لا يمكن ضبطه. وبعد مرور بعض الوقت من الممارسة، سيصبح الأمر مألوفًا لك أيضًا. وثبت قول الشيخ رحمه الله صحيحًا، ومرّت فترة لا تزيد عن أسبوع أو أسبوعين حتى أصبحت ماهرًا في رجال الترمذي، وكنت أخاف من هذا الفن لكن أصبح هذا الفن فنًا محببًا لدي وكنت أبحث أسماء رجال الترمذي وأشعر بالفرح فيها. وإلى جانب أسماء الرجال كان الشيخ يعتني كثيرًا بقراءة جودة النصوص. ولم يكن من

الممكن أن تخرج كلمة من اللسان أثناء القراءة ولا ينبه الشيخ هذا الخطأ. ذات مرة قرأت كلمة عرف من باب سمع. فقال لي الشخ ذلك الوقت: "لا أعرف عَرِفَ يعني لا يأتي هذا الفعل من باب سمع، ولا أعرف لماذا تأكدت من أنني قرأت بشكل صحيح". فأجبت بإصرار شديد لا أعرف عَرَفَ الذي تقرأه، لو كان شخص آخر بعد هذا القول الوقح فيغضب غضباً شديداً ولكن الشيخ قال لي فقط "راجع القاموس"، وكان القاموس بجانبي وتناولت المجلد الذي كان يتعلق به بشدة وقرأت جدول باب عرف من البداية إلى النهاية ولكن ما وجدت هذا الفعل من باب سمع الذي كان راسخًا في ذهني. وفهم الشيخ أنني فشلت فشلاً ذريعًا في تفكيري، ومن الطبيعي أن يكون ردّ فعله على شكل إهانة شديدة لي. لكن لطفه لم يسمح له بالانتقام مني بسبب وقاحتي وتركي أشعر بالخجل. فقال على الفور باللغة العربية ليسلو عني: "لا بأس، لكل جواد كبوة". وبعد ذلك عزمت أن لا أتلفظ بمثل هذه العبارة أمام الشيخ رحمه الله باسم معرفتي باللغة العربية. وبكونه شيخ الحديث، كان الشيخ رحمه الله يهتم بحفظ نصّ الحديث كثيرًا ويمكن تقديره أيضًا من خلال حادثة، ذات مرة قرأت نص حديث بطريقة خاصة أثناء القراءة، ونبه الشيخ عليها وقرأها بطريقة مختلفة. وأصررت على صحة قراءتي وشرحت تركيبها وفق قواعد النحو، فأجاب الشيخ أنّ قراءتك ليست خاطئة من ناحية النحو، ولكن هذا ما سمعته من شيخي. لقد رسمت أمام أعين الشيخ صورة من عظمة نص الحديث، ونشأت في قلبي رغبة في أن أحصل أنا أيضًا على شرف تدريس الحديث، وأن أخبر طلابي أيضًا أنني سمعت رواية هذا الحديث من شيخي هكذا.

ويأتي بعد الأسماء والكلمات دور المعاني والحقائق. لكنني لست بحاجة إلى أن أقول أيّ شيء عن ذلك. وإنّ كتاب الشيخ العظيم "تحفة الأحوذي" شهادة خالدة على فضله وكماله، ويمكن للعلماء أن يقدروا مكانة الشيخ وسموّه في حل مسائل الحديث، وفيه مواضع كثيرة بذل فيها الشيخ أبحاثه وجهوده الكبيرة حيث يمدحها العلماء والباحثون

والمحققون، لقد ناقش في كل باب لهذا الكتاب بمثل هذه الدقة والشمول بحيث لا يمكن للمرء أن يتخيل أكثر من ذلك. وقد اتخذ المتأخرون في شروح الحديث التي كتبوها لونًا من دفاع مذهبهم الفقهي حتى أصبحت كتبهم كتبًا للمناظرة، ولكن أسلوب الشيخ في المناقشة أكاديمي وعلمي في كل مكان. قد حاول بالتأكيد دفاع مدرسة أهل الحديث في بعض الأماكن، لكن أسلوبه في المناقشة ليس مثيرًا للجدل في أيّ مكان. لقد درست هذا الكتاب من الشيخ درسًا بعد درس ولذلك أتيحت لي فرصة جيدة أن أعرف إعداد هذا الكتاب وترتيبه. ولا شك في أنّ الشيخ رحمه الله أملى معظم هذا الكتاب بسبب ضعف بصره، ولكن كانت عيونه على جميع كتب الفن الأصيلة واسعة جدًا وذاكرته جيدة جدًا لدرجة أنّ إعاقة عينيه لا يمكن أن تكون حاجزًا كبيرًا في تأليف الكتاب، ولقد أتيحت لي فرصة في كثير من الأحيان مثل هذه المناسبة لدرجة أنه أخرج كتابًا لبعض الحاجة ووجد بسهولة كبيرة الحديث المطلوب أو معنى النص فقط باستخدام ذاكرته وتخمينه. في بعض الأحيان كان يقول إنّ نص كذا وكذا أو حديث كذا وكذا سيكون في جانب أو جزء من الصفحة. وأكثر ما كان استحضاره يفاجئني.

المسامحة: كان الشيخ رحمه الله عالمًا لمذهب أهل الحديث ولم تكن أيّ عصبية عنده، على الأقل لم يكن لديّ أيّ تجربة من هذا القبيل خلال فترة وجودي عنده كطالب، وكان الناس من جميع المذاهب الفقهية يأتون إليه بسبب عظمته وشهرته للاستفتاء، فيخبر الشيخ الجميع الفتوى حسب مذهبه الذي يختاره صاحب السؤال. وطالما بقيت معه كنت أتبع طريقتي الفقهية. لكنني لم أشعر، ولا حتى تلميحًا أنه سيحب كثيرًا إذا تركت طريقي واتبعت طريقه. كانت معظم اعتراضاتي خلال الدرس على تلك الأمور التي تتعلق بشكل خاص بمذهب أهل الحديث، وكان أسلوب اعتراضاتي أيضًا سيئًا بسبب السن، لكن الشيخ رحمه الله بسبب طبيعته النبيلة، لم يغضب عليّ أيضًا، لم يحاول أبدًا التنمر علي في الرد ولم يقدم أبدًا إجابة

اتهامية، كانت إجابته دائمًا مهذبة وعلمية للغاية، وإذا شعر أنني غير راضٍ عن إجابته، كان ينهي المحادثة بالقول إنّ هذه إجابتي التي فهمتها، إذا لم تكن راضيًا عن هذا الجواب، فاختر ما يرضاه قلبك. تذكرت مرة واحدة فقط أنني أصررت على أمر كثيرًا، ثم قال الشيخ رحمه الله إنّ إمامكم (الإمام أبوحنيفة رحمه الله) يقول نفس الشيء ثم قلت ومتى أكون حنفيًا بالمعنى الذي يكون الناس فيه أحنافًا؟ وأتذكر أنّ الشيخ رحمه الله لم يقل شيئًا مثل هذا القول في ردي بعد ذلك.

ذات مرة خطر ببالي قلق شديد بشأن حديث الجامع الصحيح للبخاري. وقد أعربت عن هذا القلق أمام الشيخ رحمه الله، وبالصدفة أنّه كان يجلس عند الشيخ رحمه الله في ذلك الوقت عددٌ من علماء مذهب أهل الحديث. وقد أشار أحد هؤلاء الشيوخ إلى إحدى الصحف التي تناولت هذا الحديث وأجابت على السؤال الذي طرحته. ولكن ما التفت إليه ولكنه تدخل وتوقع بعض المدح من قبل الحضور لتوجيهاته، فأجبت بسرعة ليس من وظيفة كل صحفي وكل مناظر مناقشة مثل هذه القضايا، ولا بد أنه نقل معظم ما كتبه ابن حجر رحمه الله، ولو كنت راضيًا ببحث ابن حجر رحمه الله فلماذا طرحت هذه المسألة أمام الشيخ رحمه الله؟ أصبح ذلك الشيخ غاضبًا من كلامي. فخاطبه الشيخ المباركفوري رحمه الله وقال إنه على حق، وقد نقل فيها كلام ابن حجر، وهذا لا يرفع الاعتراض الأصلي. نهض قائلًا هذا لدرسي وخاطبهم وقال لا تأخذوا كلامه بشكل سيئ، وإنه أيضًا عالم ويحترم البخاري وابن حجر وغيرهما من العلماء. ثم قال عن الصعوبة التي عرضتها لي أنه سينظر فيها في وقت آخر. ذكرته ذلك مرات، لكن الشيخ ربما لم يتمكن من توفير الوقت بسبب أعماله الأخرى.

الخلق: كان الشيخ رحمه الله زاهدًا بالمعنى الحقيقي. لم يفكّر في كسب المال طول عمره. وفي آخر حياته، نسي حقًا كل الأشياء واعتزل إلى غرفته مع فن الحديث، وكانت حياته كالزهاد والدراويش، مع أنه لو يريد ليعيش حياة ترف كبير. وفي

الواقع إنه كان مركزًا لعلماء أهل الحديث والناس من بيشاور إلى كولكاتا وكانت الحكومة السعودية أيضًا ترغب في الحصول على خدماته في وقت ما، لكن الشيخ تولّى كتابة شرح الترمذي وقطع نفسه عن الدنيا وما أبعده شيء آخر عن حجرته إلا الموت. وكان الشيخ يتحدث دائمًا مع العلماء عن مشكلات الحديث، ولم أسمع غيبة أو قذفًا بأحد من لسانه. وما سمعت من لسانه شكاوى عن سوء صحته وضعف بصره وكثرة عمله وقلة زملاء العمل له. على الرغم من أنّ كل هذه المعاناة كانت في الواقع له، ولو لم يواجه هذه المشكلات وكان يبين أمام الناس فكان الناس يستمعون إليه بإخلاص عظيم، لكنه كان صبورًا وصالحًا جدًا، ولم يتفوه بكلمة شكوى أبدًا. وكان وجهه بريئًا جدًا. لم أرَ وجهًا أكثر براءة إلا وجه الأطفال. عندما رأيته، أردت أن أحبه بشكل عفوي. وكان وجهه يشهد أنه بريء من الكبرياء والفساد والأنانية، ولم أسمع من لسانه قط كلمة واحدة تشير على الأقل إلى أنه يعتبر نفسه عالمًا.

ولو يكون صريحًا مع أيّ شخص فيحترم الشريعة من كل جانب، كان يأتي إليه رجل زمن دراستي. وما وجدت أحدًا أكثر بهرجة وصراحة أمام الشيخ منه. وحينما يأتي إلى الشيخ رحمه الله يبدأ التحدث ويُسمع الشيخ رحمه الله عباراته ونكاته وكلمات المزاح، وحينما يأتي ذلك الرجل يفرح الشيخ رحمه الله كثيرًا ويترك جميع أعماله ويتحدث معه ويسمع كل ما يذكر ذلك الرجل ويشارك معه الشيخ رحمه الله في الحديث حسب الاحتياج، وكنت اعتقد بأنّ ذلك الرجل لم يتعلم لكن بسبب رفقة طفولته، قدم له الشيخ تنازلات كبيرة. كان اضطرابي وقلقي أنه عادة يأتي خلال وقت درسي ثم لا يذهب حتى يضيع وقتي بالكامل. كنت أغضب في قلبي ولكن أكون صامتًا عندما أرى اهتمام الشيخ به. كان هذا الشخص خبيرًا بسياسة المدينة كلها، وكان يتحدث عن كل القضايا أمام الشيخ رحمه الله لكن كان من عادة الشيخ رحمه الله بأنه كان يستمع إلى جلّ كلامه ويقدّم له النصائح المفيدة

بين الحين والآخر ويحفظ نفسه من كل إثم. كنت أحسده في كثير من الأحيان على مدى الامتياز الكبير الذي يتمتع به الرجل أن يكون رفيق الطفولة لرجل عظيم. لكن رغم هذا الأمر، لم أحاول أيضًا معرفة اسمه أو أحواله منه أو من أيّ شخص آخر. كان ذلك لأنني كنت غاضبًا منه بنفس القدر لإضاعة وقتي. لقد مرّ الآن ربع قرن على هذا التاريخ. أدعو الله أن يغفر له، وأن يرزقه صحبة الشيخ في الجنة. ولا يمكن للشيخ أن تكون له هذه العلاقة معه دون أيّ صفة جيدة، ولا يمكن أن ينجذب إلى الشيخ رحمه الله بدون أيّ سبب. اللهم اغفر لهما.

ISSN: 2321-7928

كتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية" للأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجّار (دراسة نقدية للأفعال المتعدّية بأحرف الجرّ)

- د. أورنك زيب الأعظمي[1]

مدخل إلى الموضوع: الكتب والكتيبات عن الأخطاء الشائعة في اللغة العربية عدّتها تزهو على العشرين كتابًا. صدرت هذه الكتب عن مختلف مطابع ومؤسّسات العالم العربي. قمتُ أولًا بنقد كتاب "نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية"[2] لمكّي الحسني الذي نشره مجمع اللغة العربية في 2008م ثم انتقدتُ بعض مباحث "معاني النحو"[3] للدكتور فاضل السامرّائي الذي نشرته دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع في 2000م. وبعد ذلك قمتُ بنقدِ ودراسةِ كتاب "أكثر الأخطاء اللغوية والإملائية شيوعًا"[4] للدكتور ضرغام الأجودي الذي صدر عن دار الأمل للنشر في 2019م. والآن أريد القيام بالدراسة النقدية لكتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية" للأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجّار الذي صدرت طبعته الأولى عن دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع بعمان في 2023م وهو يشتمل على 223 صفحة. وأخصّ دراستي هذه بالأفعال التي تتعدّى بأحرف الجرّ صارفًا النظر عن المباحث الأخرى التي لا تجلّ عن وقوع الكتاب في الأخطاء.

[1] مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

[2] مجلة التلميذ الشهرية، 3/1/24-39

[3] مجلة التلميذ الشهرية، 3/29/8-13

[4] مجلة الهند الفصلية، 11/2/342-389

نتف عن مؤلّف هذا الكتاب: الدكتور السيّد أسعد محمد علي بن محمد بن حسن بن محسن بن حسن بن مراد آل يحيى الموسوي، المعروف بـ"النجّار" نسبة لمهنة والده وأسرته، ولد بالحلة من أسرة أدبية في 1952م؛ فوالده هو الشاعر الكبير محمد علي النجار، وعمّ أبيه هو السيّد أحمد النجّار الموسوي الذي كان وكيلًا للسيّد أبي الحسن الأصفهاني.

حصل الدكتور النجّار على شهادة البكالوريوس من كلية الآداب بجامعة البصرة في 1975م كما حصل على شهادة الماجستير من نفس الكلية في 1990م، وعنوان رسالته للماجستير "منهج أبي عبيدة البكري". أتمّ النجّار الدكتوراه على موضوع "الحسن اليوسي وجهوده في اللغة" من كلية الآداب بجامعة بغداد في 1998م، وعمل رئيسًا لقسم اللغة العربية لكلية الآداب فيها. كما اشتغل رئيسًا لقسم اللغة العربية لكلية المعلّمين بجامعة بابل، وشارك في العديد من المهرجانات والندوات العلمية وهو عضو جمعية إحياء تراث الحلة، وعضو جمعية الروّاد الثقافية في بابل.

صدر له من الدراسات والتحقيقات: "فرهود المعروف .. حياته وشعره"، "همسات نقدية"، "هادي جبارة الحلي .. حياته وشعره"، "ديوان صبري عبد الرزاق"، "ديوان عبد العظيم الصفار"، "الدرس النحوي في الحلو" و"ديوان محمد علي النجار". وصدرت له مجموعة شعرية بعنوان "أزاهير ملونة". وله العديد من الدراسات اللغوية والأدبية.

قال من قصيدته في الحسين :رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

يومٌ على رغمِ الطغاةِ يُعادُ كالبدرِ يسطعُ ما عليه سوادُ
يومٌ بقلبِ المؤمنينَ مُخلّدٌ يحلو به الإنشاءُ والإنشادُ
يومٌ تعالى فاستضاءَ بنورِهِ دربُ الجهادِ فكانَ منهُ جهادُ
ذكراكَ يا سبطَ الرسولِ تثيرُنا ويشعُّ منها كوكبٌ وقّادُ
يا سيّدَ الشهداءِ أنتَ منارُها بكْ نقتدي بلْ أنتَ أنتَ عِمادُ

وزرعتَ في دربِ الجهادِ معالمًا كشفتْ دلالةَ سرِّها الأكبادُ
ووقفتَ يومَ الطفِّ تُعلنُ ثورةً تزهو بها الأجيالُ والأحفادُ
في كربلاءَ حشودُ إيمانٍ ترى صرخاتُ إيمانٍ وذاكَ سدادُ
يا ثورةً بالحقِّ شعَّ بريقُها فرحتْ بها الأغوارُ والأنجادُ
عظمتْ مبادؤها وفاحَ عبيرُها لمْ يثنِها ظلمٌ ولا استبدادُ
بعثتْ بنا روحَ الجهادِ حماسةً فتصاغرَ الأعداءُ والحُسَّادُ
يا سادتي يا ليتني في دربِكمْ أمضي وعن دربي يزولُ رقادُ
بكمُ الشفاعةُ سادتي نحظى بها بعدَ المماتِ يضمُّنا ميعادُ[1]

وكما قلت إنّ دراستي هذه ستكون مركّزة على الأفعال التي تتعدّى بأحرف الجرّ والتي تناول العديدَ منها الدكتور أسعد آخذًا من الكتب والرسائل الجامعية فانتقدها وبيّن خطأها وأشار إلى الصواب منها. ولكنني وجدتُ أنّ حديثه في معظم الأماكن جانبه الصواب ولم يحالفه الحقّ فالذي يعتبره الدكتور خطأ هو الصحيح والصواب بل في بعض الأحيان أنّ الذي يعتبره صوابًا هو الخطأ. بنيتُ دراستي هذه على كلام العرب في عصور الاحتجاج واستفدتُ بالقرآن الكريم حيث مسّت الحاجة. اخترت من هذه الأفعال ثمانين فعلًا الذي يتعدّى بالأحرف الجارّة، ولو أنّ الكتاب لا يخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية الأخرى.

كتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية"

(دراسة نقدية للأفعال المتعدّية بأحرف الجرّ)

1. قال الدكتور أسعد محمد علي النجّار: "أثّر عليه الفقرُ، وأثّر به العَوَزُ، الصحيح: أثّر الفقر فيه، وأثّر فيه العوز". (الأغلاط النحوية والصرفية في الكتب

[1] الحسين في الشعر الحلي، 2/194-196

والرسائل الجامعية[1]، ص 16)

أقول إنّ التأثير بـ"على" أيضًا بهذا المعنى كما قال جرير:

سنشكر مَنْ له أثرٌ علينا كآثار الوليّ على العِهاد[2]

كما أنّ "في" تدلّ على نفس المعنى كما قال الأخطل:

وحدّثتُهنّ أنني ذو أمانةٍ كريمٌ فما يخشين خُلفي ولا غدري

فقمنَ إلى جبّانةٍ قد علمنَها لنا أثرٌ فيها كمنزلة السفر[3]

بل، والباء أيضًا تصرح عن نفس المعنى كما قال أعشى باهلة:

لم ترَ أرضٌ ولم يسمع بها أحدٌ إلا بها من نوادي وقعه أثر[4]

2. وقال الدكتور أسعد علي: "هذا العمل يأنفه الكريم، الصحيح: يأنف منه الكريم". (الأغلاط، ص 27)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال أمية بن أبي الصلت:

من كان ذا عضد يُدرك ظلامتَه إنّ الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذاما قلّ ناصرُه وتأنف الضيمَ إن أثرى له عضُد[5]

وقال آخر:

ودارَ هوانٍ أنفتُ المُقام بها فخلتُ محلًّا كريما[6]

[1] أشير فيما بعد إلى هذا العنوان بـ"الأغلاط" فقط.

[2] ديوانه، ص 92، العهاد: الوسمي، الولي: المطر بعد الوسمي وهو أول مطر يصيب الأرض.

[3] ديوانه، ص 176

[4] ديوان الأصمعيات، ص 90

[5] ديوانه، ص 548

[6] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 195/1

وقال بِشر بن عمرو بن مرثد:

فأنفتُ مما قد رأيتُ وساءني وغضبتُ لو أنّي أرى لي مغضبا[1]

وقال العطّاف بن أبي شفقرة:

ولا تغضبوا مما أقول فإنما أنفتُ لكم مما يقول المعاشر[2]

وقال معبد بن علقمة المازني:

سأحمي حِماءَ الأخضريّينَ، إنه أبى الناسُ إلّا أنْ يقولوا ابن أخضرا

وهل لي في الخُمر الأعاجمِ نسبةٌ، فآنفَ مما يزعمون وأُنكِرا؟[3]

3. وقال الدكتور أسعد: "هو بعيدٌ عنّا، الصحيح: بعيدٌ منّا. قال تعالى: "وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ"، هود: 89". (الأغلاط، ص 40)

أقول إنّ كليهما صحيح سوى أنّ الأوّل روحي والثاني مادّي فقال عنترة بن شداد العبسي:

لئن أكُ أسودًا، فالمسكُ لوني، وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاءُ عني كبعدِ الأرض عن جوِّ السماء[4]

وقال زهير بن أبي سلمى:

تُهوِّنُ بُعدَ الأرض عني فريدةٌ كِنازُ البضيع سهوةُ المشي بازل[5]

---

[1] ديوان المفضليات، ص 274

[2] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 205

[3] لسان العرب: خضر

[4] شرح ديوانه، ص 22

[5] ديوانه، ص 98 وأما قول ابن منظور (لسان العرب: سها): "وعدّى الشاعر تهوّن بعنّي لأنّ فيه معنى تخفّف وتسكّن" ففيه نظر.

وقال رؤبة بن العجاج:

قلّلَ غربي وابترى من نصلي
مِرَّةَ أيّامٍ نقضنَ حبلي[1]
بعد القُوَى عن مستمرّ الفتل
فإنْ ترى بعدَ الشبابِ الرسل[2]

وهما متضمّان العفّة والنأي كما قال وضاح اليمن:

إنّ طرفي ممازحٌ ولساني وضميري عن الفسوق عفيف[3]

وقال رؤبة بن العجاج:

ما كنتُ من تكرّم الأعراض
والخُلُقِ العَفِّ عن الأقضاض
تمتاح دلوي مُكرَهَ البضاض
ولا الجدَى من مُتعَبٍ حيّاض[4]

وقد جمع رقيع الوالبي كلتا الصلتين:

فتُخبِرُنا ما أحدث الدهرُ بعدنا وإنّ الذي بيني وبينك صالح
بعيدٌ عن الفحشاء عفٌّ عن الأذى ذليلُ دلالٍ عند ذي اللبّ رابح[5]

[1] نقضن حبلي: ذهبن بقوتي
[2] شرح ديوانه، 334/2
[3] ديوانه، ص 58
[4] شرح ديوانه، 376/1
[5] عشرةُ شعراء مقلّون، ص 144

وقال نصيب بن رباح:

ولي كرمٌ عن الفحشاء ناءٍ كبُعدِ الأرض من جوِّ السماء[1]

وأما معنى الحرمان عن الشيء فقال ضابئ بن الحارث:

وقلتُ: تعلّمْ أنني غيرُ نائمٍ إلى مستقلٍّ بالخيانة أنْيَبَا

بَعيدَ المطاف لا بعيدٌ عن الغنى ولا يأتلي ما اسطاع أنْ يتكسّبا[2]

وأما بَعُدَ منه فيعني النأي عن الشيء كما يعني الصيانة عنه والأمان، ولكن (مِنْ) أكثر شيوعًا للبعد المادّي كما قال امرؤ القيس:

ألا أبلغْ بني جُحر بن عمرو وأبلغْ ذلك الحيّ الجديدا

بأني قد هلكتُ بأرضِ قومٍ بعيدًا من دياركم بعيدا[3]

وقال عصام بن عبيد الزماني اليمامي:

لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرمَهم ميتًا وأبعدهم من منزل الذام[4]

وقال الحطيئة:

تنحّي فاجلسي منا بعيدًا أراح الله منك العالمينا[5]

وقال مالك بن الريب:

بعدتُ وبيت الله من أهل قرقرى ومن أهلِ موسوج وزِدتُ على البعد[6]

---

[1] شعره، ص 59

[2] نوادر أبي زيد، ص 373، أنيب: طويل الناب.

[3] ديوانه، ص 55

[4] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 204

[5] ديوانه، ص 187

[6] مجلة معهد المخطوطات العربية، 1/15، ص 101

وقال عمر بن أبي ربيعة العامري:

همّوا ببعدٍ منك غيرِ تقرّبٍ شتّان بين القرب والإبعاد[1]

وقال جران العود النميري:

ألا ليتنا من غير شيء يصيبنا بتهلكَ لا عينٌ تُحِسّ ولا ذكر
بعيدًا من الواشين أن يمحلوا بنا وراء الثريا والسماك لنا ستر[2]

وقال الشاعر:

عشيّة لا عفراءُ منك قريبةٌ فتدنو، ولا عفراء منك بعيد[3]

وقال أبو الوليد:

فما بعُدتْ أحسابُنا غير أنكم بعيدون من برٍّ بنا ولَيَان[4]

وعمر بن لجأ التيمي:

الأبعدون من الإحسان منزلة والأخبثون عصاراتٍ إذا اعتصروا[5]

وقال: "فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾". (سورة هود)

وقال أيضًا: "وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾". (سورة هود)

4. وقال الدكتور أسعد: "تاب عنه، الصحيح: تاب عليه وتاب إليه. قال تعالى: "عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ"، التوبة: 102". (الأغلاط، ص 46)

[1] ديوانه، ص 170
[2] ديوانه، ص 30
[3] لسان العرب: بعد
[4] كتاب الوحشيات، ص 29
[5] الحماسة الشجرية، ص 436

أقول إنّ التوبة أيضًا تتعدّى بـ"عن" كما قال يزيد بن الصقيل:

ألا قل لرعيان الأباعر: أهملوا فقد تاب عمّا تعلمون يزيد
وإنّ امرأ ينجو من النار بعدما تزوّدَ من أعمالها لسعيد[1]

غيرَ أنّ التوبة تتعدّى بـ"منْ" عادة كما أنشد أبو الجرّاح:

فإنْ يك هذا من نبيذٍ شربتُه، فإني، من شربِ النبيد، لتائب
صُداعٌ وتوصيمُ العظام وفترةٌ وغمٌّ مع الإشراق، في الجوف لاتب[2]

وقال ابن الدمينة:

يقولون: تُبْ من حبِّ ليلى وودّها وما أنا من حبّي لليلى بتائب[3]

5. وقال الدكتور أسعد: "أتبع القولَ بالفعل، الصحيح: أتبع القول الفعلَ". (الأغلاط، ص 47)

أقول إنّ "أتبع القولَ بالفعل" أيضًا صحيح كما قال عنترة بن شدّاد:

ضمِنتُ لكِ الضمانَ ضمانَ صدقٍ وأتبعتُ المقالةَ بالفعال[4]

وقال ابن الرقاع:

فتًى يُتبِعُ النعمى بنعمًى تربُّها ولا يتبع الإخوان بالذم زاريا[5]

6. وقال الدكتور أسعد: "أجاب على السؤال، الصحيح: أجاب عن السؤال". (الأغلاط، ص 53)

[1] لسان العرب: بعر وموسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 345
[2] لسان العرب: لتب، واللاتب: ثابت.
[3] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 82/2
[4] شرح ديوانه، ص 129
[5] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 182/1

أقول إنّ الإجابة أيضًا تتعدّى بـ"على" كمثل الجواب كما قال الفرزدق:

فأيّهْ بهم شهرينِ أنّى دعوتَهم أجابوا على مرقومةٍ بالقوائم[1]

وقال الكميت الأسدي:

هنيئًا لكلبٍ إنّ كلبًا يسبّني وإنيَ لم أردْ جوابًا على كلب

لقد بلغتْ كلبٌ بسبّي حُظوةً كفتْها قديماتُ الفضائح والوصْب[2]

7. وقال الدكتور أسعد: "تجاوز على القانون، الصحيح: تجاوز القانونَ". (الأغلاط، ص 53)

أقول إنّ التجاوز يتعدّى بنفسه كما يتعدّى بـ"عن" فقال هدبة بن الخشرم:

فقُصُّوا عليه ذنبَنا وتجاوزوا ذنوبَهم عند القصيصة والأثر[3]

وقال الأعشى الكبير:

لم ينقص الشيبُ منه فتلَ مِرَّته وقد تجاوز عنه الجهلُ فانقشعا[4]

وقال أبو الأسود الدؤلي:

فكنتُ إذا المولى بدا لي غِشُّه تجاوزتُ عنه واستدمتُ به غدا

لتُحكِمَه الأيامُ أو لتردّه عليّ ولم أبسطْ لسانًا ولا يدا[5]

وقال معاوية بن أبي سفيان:

أو تجاوزْ فأنت ربّ رحيمٌ عن مُسيء ذنوبُه كالتراب[6]

---

[1] ديوانه، ص 604

[2] ديوانه، ص 88، حظوة: مكانة ومنزلة، وصب: شدة التعب ودوامه

[3] أساس البلاغة: قصّ

[4] ديوانه، 289/1

[5] ديوانه، ص 91

[6] ديوانه، ص 53، كالتراب: كثير ولكن العرب لم يعبّر بالتراب عن الكثرة.

وكذا يتعدّى لمفعولين تدخل على المفعول الثاني (عن) فقد روي عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: "تجاوز الله عن أمّتي ما حدّثتْ به أنفسَها، ما لم ينطق به لسان أو تعمله يدٌ".[1]

8. وقال الدكتور أسعد: "هو جاهل في النقد، الصحيح: هو جاهل بالنقد". (الأغلاط، ص 59)

أقول إنّ الجهل أيضًا يتعدّى بـ"في" كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فإنْ تزعميني كنت أجهلُ فيكم فإني شريتُ الحلمَ بعدك بالجهل[2]

9. وقال الدكتور أسعد: "حجّ إلى البيت، الصحيح: حجّ البيتَ الحرام. قال تعالى: "فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ"، البقرة: 158. (الأغلاط، ص 63)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال حريث بن محفّض المازني:

أتطمع في معاوية بن حرب وعمرو إنّ ذا منا قبيح
وقولهما ومن حجّتْ إليه خفاف البزل في البيدا ربيح[3]

وجاء في تلبية تميم:

لبيّك ما نهارُنا نجرّه إدلاجُه وحَرُّه وقَرُّه
لا نتّقي شيئًا ولا نضرّه حجًّا إليك مستقيمًا برُّه[4]

وقال الفضل بن العباس:

جدّي الذي حجّتْ نزارٌ قبرَه جزَعًا عليه فما تريد زبالا

[1] لسان العرب: كذب
[2] ديوان الهذليين، 36/1، والكتاب، 121/1
[3] مجلة المورد، 1988/2/17م، ص 125
[4] نصوص محققة في اللغة والنحو، ص 56

وله تحالفتِ القبائل كلُّها أسفًا عليه يلبسون نعالا[1]

وقال الأعشى الكبير:

لعمر الذي حجّتْ قيشٌ قطينَه لقد كدتَهم كيدَ امرئ غير مُسنِد[2]

10. وقال الدكتور أسعد: "احذر منه، الصحيح: احذره" قال تعالى: "وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ"، آل عمران: 28. (الأغلاط، ص 61)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال عنترة بن شداد العبسي:

وقِفْ لتنظرَ ما بي لا تكن عجِلًا واحذرْ لنفسِك من أنفاسِ نيراني[3]

ومنه حَاذَرَ منه كما قال لبيد بن ربيعة العامري:

كأنّ سحيلَه شكوى رئيسٍ يحاذر من سرايا واغتيال

تبكّيَ شاربٍ أسرتْ عليه عتيقُ البابلية في القلال[4]

وقال عنترة بن شداد العبسي:

احذرْ محلَّ السوء لا تحللْ به وإذا نبا بك منزلٌ فتحوّلِ[5]

وقال الحطيئة:

أتتني لسانٌ فكذّبتُها وما كنتُ أحذرها أن تُقالا[6]

وكذا "حَذَرَ له" لنفس المعنى كما قال أبو قيس بن الأسلتْ الأنصاري شاعر مات

[1] ديوان أبي طالب، ص 149

[2] ديوان، ص 34

[3] شرح ديوانه، ص 196

[4] ديوانه، ص 108

[5] شرح ديوانه، ص 119

[6] ديوانه، ص 153

قبل دخوله في الإسلام:

أحفِزُها عني بذي رونقٍ مُهنَّدٍ كالملح قطّاع
صَدْقٍ حُسامٍ وادِقٍ حدَّه ومُجنأ أسمرَ قَرَّاع
بِزَّ امرئ مُستبسلٍ حاذرٍ للدهر، جلدٍ غيرِ مِجزاع
الحزمُ والقوةُ خيرٌ من الإ دهانِ والفَكَّة والهاع[1]

11. وقال الدكتور أسعد: "حذق بصنعته، الصحيح: في صنعته". (الأغلاط، ص 66)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال الخليل الفراهيدي:

كفاك من يدّعي حذقًا بصنعته أنّى توجّه فيها فهو محروم[2]

وقال كشاجم:

خرجنا أمسِ للصيد وكنّا فيه حذّاقا[3]

بل، ونجد صلة له أخرى وهي "على" كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

يُرَى ناصحًا فيما بدا وإذا خلا فذلك سكّينٌ على الحلق حاذق[4]

وحتى يتعدّى بها كلّ فعل يعني: المهارة في شيء كما قال صخر الغيّ:

فانبُلْ بقومك إمّا كنتَ حاشرَهم فكلُّ حاشرِ مجموعٍ له نَبَل[5]

وقال الفرزدق:

ولو كان في غير الفلاة وجدتُه خَتوعًا بأعناق الجداء التوائمِ[6]

[1] ديوان المفضليات، ص 282-283
[2] شعره، ص 27
[3] ديوانه، ص 298
[4] ديوان الهذليين، 151/1
[5] ديوان الهذليين، 143/1
[6] ديوانه، ص 602

وقال الشاعر:

ليست لقومي بالكتيف تجارةٌ، لكنّ قومي بالطِعان تِجارُ[1]

وحتى تتعدّى المهارة بها كما قال زهير بن أبي سلمى:

ولقد نهيتُكُمُ وقلتُ لكم: لا تقرَبنّ فوارسَ الصيداء

أبناءَ حربٍ ماهرين بها تُغذى صغارُهم بحسنِ غذاء[2]

12. وقال الدكتور أسعد: "حرص بالشيء، الصحيح: حرص على الشيء". (الأغلاط، ص 66)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال أبو الأسود الدؤلي التالي:

فأقسمتُ لو أعطيتَ ما سُمتَ مثلَه وأنت حريصٌ ما غدوتَ برأسها[3]

وقال امرؤ القيس:

تجاوزتُ أحراسًا إليها ومعشرًا عليّ حراصًا لو يسرّون مقتلي[4]

وقال المتلمس الضبعي:

لعلّك يومًا أنْ يسرّك أنني شهدتُ وقد رمّتْ عظامي في قبري

فتُصبحُ مظلومًا تُسامُ دنيةً حريصًا على مثلي، فقيرًا إلى نصري[5]

بل، وكلّ فعل يعني الحرصَ يتعدّى بالباء كذلك كما قال زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم[6]

---

[1] لسان العرب: تجر

[2] ديوانه، ص 23

[3] ديوانه، ص 73

[4] ديوانه، ص 114

[5] ديوان شعره، ص 198

[6] ديوانه، ص 110

وقال عنترة بن شداد العبسي:

ولقد حبستُ الدمعَ، لا بخلًا به، يومَ الوداع على رسوم المعهد[1]

وقال ابن قيس الشرقيات:

خيّرتْني بين أنْ أكـ ـتُمَ سرًّا أو أبوحا
ولقد تعلمُ أني كنتُ بالسرّ شحيحا[2]

وقال الرماح ابن ميادة:

إنْ تُريغا لتعما سرَّ سُعدى تجداني بسرِّ سعدى شحيحا[3]

وقال لقيط بن يعمر:

فإن غُلِبتم على ضِنٍّ بداركم فقد لقيتم بأمر حازمٍ فزعا[4]

وقال أوس بن حجر:

يُجَرِّدُ في السربالِ أبيضَ صارمًا مُبينًا لعين الناظر المتوسّم
يجود ويعطي المال من غيرِ ضِنَّةٍ ويضرب أنفَ الأبلخ المتغشّم[5]

13. وقال الدكتور أسعد: "حنّ لمعلّمه، الصحيح: حنّ إلى معلّمه". (الأغلاط، ص 70)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إذا ذُكِرَتْ قَهقاءُ حنّوا لذكرها وللرَمَث المقرون والسَمَك الرُقْط[6]

[1] ديوانه، ص 62
[2] ديوانه، ص 64
[3] ديوانه، ص 98
[4] ديوانه، ص 53
[5] ديوانه، ص 118
[6] شرح ديوانه، ص 197

وقال الراعي:

يجاوبُ البومَ تهويدَ العزيف به، كما يحنّ لغيثٍ جِلّةٌ خُورُ[1]

وقال الشاعر:

تحنُّ للظمء مما قد ألمّ بالهَجل منها، كأصواتِ الزنابير[2]

وقال المتلمس الضبعي:

حنّتْ إلى نخلةَ القُصوى فقلتُ لها: حجرٌ عليكِ، ألا تلك الدهاريس[3]

وقال أبو دواد الإيادي:

تحِنُّ إلى أرضِ المُغَمَّسِ ناقتي ومن دونها ظهرُ الجريب فَراكِسُ[4]

وقال الشاعر:

أقول لناقتي عجلى، وحنّتْ إلى الوقبى ونحن على الثماد:

أتاح الله يا عجلى بلادًا هواكِ بها مُريّاتِ العهاد[5]

14. وقال الدكتور أسعد: "حوت الرسالة على ثلاثة فصول، الصحيح: حوت الرسالة ثلاثة فصول أو احتوت على ثلاثة فصول". (الأغلاط، ص 70)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال العبّاس بن مرداس:

إني حويتُ على الأقوام مكرمةً قِدمًا وحذّر بي ما يتّقون أبي[6]

[1] لسان العرب: هود

[2] لسان العرب: زنر

[3] ديوان شعره، ص 85 ومختارات ابن الشجري، ص 136

[4] ديوانه، ص 118

[5] لسان العرب: عجل

[6] ديوانه، ص 46

وقال حاتم الطائي:

إن البخيل إذاما مات يتبعه سوء الثناء، ويحوي الوارث الإبلا
فاصدقْ حديثَك إن المرء يتبعه ما كان يبني إذاما نعشُه حُمِلا[1]

وقال الفرزدق:

لقد ضمنتْ أرضٌ بإصطخر ميّتًا كريمًا إذا الأنواء خفّ سحابُها
شديدًا على الأدنين منك إذا احتوى عليك من الترب الهيامِ حجابُها[2]

وكذا يتعدّى الاحتواء بنفسه كما قال امرؤ القيس:

لمّا ركبنا رفعناهنّ زفزفةً حتى احتوينا سوامًا ثَمّ أربابَه[3]

وقال لقيط بن يعمر:

لا تُثمِروا المالَ للأعداء إنهم إنْ يظهروا يحتووكم والتلادَ معا[4]

15. وقال الدكتور أسعد: "خبّرني عن الشيء، الصحيح: خبّرني بالشيء". (الأغلاط، ص 73)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال تأبّط شرًّا:

إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عذلي أن يسئل الحيّ عني أهلَ آفاق
أن يسئل القومُ عني أهلَ معرفة فلا يخبّرهم عن ثابتٍ لاق
سدّدْ خلالَك من مالٍ تجمّعه حتى تلاقي الذي كلُ امرئ لاق[5]

[1] ديوانه، ص 56
[2] ديوانه، ص 82
[3] ديوانه، ص 46، سوام: بهائم مطلقة في المراعي ولكنه يستخدم واحدًا فقال أربابه أي أصحابه
[4] مختارات ابن الشجري، ص 15
[5] ديوان المفضّليات، ص 30

وقال عنترة بن شدّاد:

أنا العبد الذي خُبِّرتَ عنه يلاقي في الكريهة ألفَ حرّ
خُلِقتُ من الحديد أشدَّ قلبًا، فكيف أخاف من بيض وسمر[1]

وقال عنترة أيضًا:

أنا الرجلُ الذي خُبِّرتَ عنه وقد عاينتَ من خبري الفِعالا[2]

وقال الكميت الأسدي:

ولن أخبّر جاري مِنْ حليلته بما تضمّنتِ الأسرارُ والكلل[3]

وقال ابن الدمينة:

فقالت: لعلّي لو سقيتُ بشربةٍ تخبّر أعدائي بها فتبوحُ[4]

16. وقال الدكتور أسعد: "خشي من الفشل، الصحيح: خشي الفشل"، قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ"، الإسراء: 31. (الأغلاط، ص 75)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال عنترة بن شداد العبسي:

أسقي الحسامَ وأسقي الرمحَ نهلتَه وأتبعُ القِرنَ لا أخشى من الدرَك[5]

وقال الفرزدق:

كفاه الذي تخشى من الموت نفسُه وسُدّتْ بإعطاء الألوف مفاقرُه[6]

[1] شرح ديوانه، ص 86
[2] شرح ديوانه، ص 112
[3] ديوانه، ص 294
[4] ديوانه، ص 26
[5] شرح ديوانه، ص 111
[6] شرح ديوانه، ص 242

وقال العباس بن الأحنف:

مَنْ جاورتْه جرى بالسعد طالعُه ومن رآها فلن يخشى من الرمد[1]

وقال الفرزدق:

يقول الأطبّاء المُداوون إذ خشوا عوارضَ من أدواءِ داءٍ يصيبها[2]

وقال أيضًا:

سهلُ الخليقة لا تُخشى بوادرُه يزينه اثنان: حسنُ الخلْقِ والشيم[3]

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فلن أجيبَ بليلٍ داعيًا أبدًا أخشى الغَرورَ كما غُرَّ ابنُ هبّار[4]

17. وقال الدكتور أسعد: "أخطأ بنتائجه، الصحيح: أخطأ في نتائجه"، قال تعالى: "وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ"، الأحزاب: 5. (الأغلاط، ص 72)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال تعالى: "ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥". (سورة الأحزاب)

وجاء في حديث الكسوف: "فأخطأ بدرعٍ حتى أدركَ بردائه".[5]

والباء هنا تضمين الإلحاق لا العثور أو الغلطة كما فهمه ابن منظور فقال: "عدّاه بالباء لأنه في معنى عثرتم أو غلطتم".[6] وذلك لأنّ العثرة والغلطة والخطأ سواء كما قال معن

[1] ديوانه، ص 97

[2] ديوانه، ص 64

[3] ديوانه، ص 512

[4] ديوانه، ص 183

[5] لسان العرب: خطأ

[6] لسان العرب: خطأ

بن أوس المزني:

رأيتُ رجالًا يكرهون بناتِهم وفيهن لا تكذبْ نساءً صوالحُ
وفيهن والأيامُ تعثر بالفتى عوائد لا يملنه ونوائحُ[1]

وأما أخْطَأ فيه فيعني: عثر فيه كما قال خفاف بن ندبة:

فلئن صرمتِ الحبلَ يا ابنة مالك والرأي فيه مخطئ ومصيب
فتعلّمي أني امرؤ ذو مرة فيما ألمّ من الخطوب صليب
أدعُ الدناءة لا ألابس أهلَها ولديّ من كيس الزمان نصيب[2]

وقال ضابئ بن الحارث بن أرطأة البرجمي:

وفي الشكّ تفريطٌ، وفي الحزم قوّة ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب[3]

18. وقال الدكتور أسعد: "لا يخفى عنك، الصحيح: لا يخفى عليك"، قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ"، آل عمران: 5، (الأغلاط، ص 77)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلَمِ[4]

وقال الأعشى الكبير:

وإمّا امرؤ أسدى إليك أمانةً فأوفِ بها إن مِتَّ سُمِّيتَ وافيا
وجارةَ جنبِ البيت لا تبغِ سرَّها فإنّك لا يخفى على الله خافيا[5]

[1] ديوانه، ص 85
[2] ديوان الأصمعيات، ص 27
[3] ديوان الأصمعيات، ص 184
[4] ديوانه، ص 111
[5] ديوانه، 614/2

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أيخفى على ظهرٍ وقوفُ مطيّةٍ براكبها؟ هذا من الأمر أشنع[1]

وقال مروان بن أبي حفصة:

وقال الغواني: قد تولّى شبابُه وبُدِّلَ شيباً بالخضاب يقاتله

يقاتله كيما يحول بياضُه وهيهات لا يخفى على اللحظ ناصله[2]

وقال ذو الرمة:

ما زلتَ في درجات الأمر مرتفعًا تسمو ويمني بك الفرعانِ من مضرا

حتى بهرتَ فما تخفى على أحدٍ إلا على أحدٍ لا يعرف القمرا[3]

وقال ساعدة بن جويّة:

تبيت الليلَ لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرّ ولا قتيل

كمشي الأقبل الساري[4] عليها عِفاء كالعَباءة عفشليل[5]

وقال مسكين الدارمي:

ولقد يحلّ عليّ حلـ ـلته فيعجبني فخاره

ولقد لبستُ جديده حيناً فلا يبعد فخاره

فانظر إلى شعري تبيـ ـين كيف قد فعلت دياره

بيض كلون القطن لا يخفى على أحد خماره[6]

[1] ديوانه، ص 209 (طبعة دار صادر، بيروت)، ظهر: ظهر الأرض وهو ما ارتفع منها.

[2] الحماسة الشجرية، ص 832، لحظ: عين، ناصل: خروج الخضاب من الشعر

[3] ديوانه، ص 94

[4] الساري: الماشي بالليل

[5] ديوان الهذليين، 1/ 216

[6] ديوانه، ص 36-37

وقال جرير:

لا يخفينّ عليك أنّ محمدًا من نسلِ كلّ ضِفنةٍ مِبطان[1]

وقال القتال الكلابي:

أنا ابنُ المضرحيّ أبي شُلَيلٍ وهل يخفى على الناس النهارُ[2]

قال الراعي النميري:

قُبيلةٌ من قيسِ قُبّةَ ساقها إلى أهلِ نجدٍ لؤمُها وافتقارُها

كزائدةٍ، ما بالأصابع حاجةٌ إليها، ولا يخفى على الناس عارُها[3]

وقال سميرة بن الجعد:

ولله لا يخفى عليه صنيعُنا حفيظٌ علينا في المقام وفي السفر[4]

وأما شواهد الخفاء عن الشيء فقال المَرّار الفقعسي:

آليتُ لا أخفي إذا الليلُ جنّني سنى النار عن سارٍ ولا متنوّر

فيا مُوقِدي ناري ارفعاها لعلها تُضيءُ لسارٍ آخرَ الليل مُقتِر[5]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

فاعلمْ أنّ محبًّا زائرٌ، حين تُخفي العين عنه والبصر[6]

وقال أيضًا:

فإني سأخفي العينَ عنه، فلا تُرَى مخافةَ أن يفشو الحديثُ فيُسمَعَا[7]

---

[1] ديوانه، ص 470، ضفنة: حمقاء وقصيرة في عظم خلق

[2] ديوانه، ص 51

[3] الحماسة الشجرية، ص 447

[4] شعر الخوارج، ص 124

[5] شرح ديوان الحماسة، 1009/2

[6] ديوانه، ص 145 (طبعة دار صادر، بيروت)

[7] ديوانه، ص 198 (طبعة دار صادر، بيروت)

وقال الضحاك بن عقيل الخفاجي:

وأني لأخفي حبَّ سمراءَ عنهم ويعلم قلبي أنه سيشيع[1]

وقال آخر:

ينادين مات الجود معْك فلا ترى مجيباً له ما حام في الجوّ حائم

فسبّحتُ في الظلماء لما رأيتُهم نجيًّا وما يُخفَى عن الله يُعلَم[2]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأهل النهر:

"--- والله ما خبلتكم عن أموركم، ولا أخفيتُ شيئًا من هذا الأمر عنكم".[3]

وأورد كلتا الصلتين عمر بن لجأ التيمي في بيته فقال:

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيتْ عنه بنو أسد[4]

19. وقال الدكتور أسعد: "راغ من الطريق، الصحيح: راغ عن الطريق". (الأغلاط، ص 86)

أقول إنّ كليهما صحيح سوى أنّ الثاني أعمّ كما قال ساعدة بن جؤية يذكر قصة وعل يصعد في الجبل مخافة صيده:

حتى أُتيحَ له رامٍ بمُجدَلَة جَشْءٍ وبيضٍ نواحيهن كالسَجَم[5]

فظلّ يرقُبُه حتى إذا دَمَسَتْ ذاتُ[6] العشاء بأسدافٍ من الغَسَم[7]

---

[1] الحماسة الشجرية، ص 538

[2] ذيل الأمالي، 26/3

[3] جمهرة خطب العرب، 28/1

[4] الحماسة الشجرية، ص 439

[5] السَجَم: شجر له ورق كورق الخِلاف، والبيض هي السهام

[6] ذات العشاء أي الساعة ذات العشاء أو ذات زائدة، دمست: التبست الظلمة

[7] أسداف جمعُ سدف: الظلمة، غسم: اختلاط الظلمة

ثم ينوش[1] إذا آد النهارُ له بعدَ الترقّب من نيم ومن كَتَمَ[2]
دلّى يديه له سيرًا فألزَمَه نفّاحةً[3] غيرَ إنباءٍ ولا شَرَمِ[4]
فراغ منه بجَنبِ الرَيد[5] ثم كَبَا على نضيٍّ خلالَ الصدر[6]مُنحَطِم
ولا صُوارٌ مُذَرّاةً مناسِجُها مِثلُ الفريد الذي يجري من النُظُم[7]

أي فحاد وهوى وتسلّل من هناك.

وقال جُشم بن خَيران:

ولم يرغ عن قصدها ولم يُجَمْ في كلّ ما حاول من أمرٍ ورَمْ[8]

وقال العباس بن مرداس لعمرو بن معديكرب:

وما زال منكم رائغٌ عن مَكرّنا وآخر يكسو للجبين ولليَد[9]

وقال أيضًا:

وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها وآخر يهوي لليدين وللفم[10]

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فراغ عن شُزُنٍ يعدو وعارَضَه عِرقٌ يمجّ دمَ الأجواف قلّاس[11]

---

[1] ناش النبتَ: تناوله، آد: مال للزوال

[2] نيم وكَتَمَ: شجرتان و"من" في "من نيم ومن كَتَمَ"، زائدة

[3] نفاحة: تنفح بالدم

[4] غيرَ إنباءٍ ولا شَرَم: لا أفلت من السهم ولا مسّ بعض جلده بل نفذ السهم وخرج من الشق الآخر

[5] "بجنب الريد" أي بناحية ريد الجبل، وكبا: عثر، والنضي هي السهم.

[6] خلال الصدر: دخل بين أطباق الضلوع

[7] ديوان الهذليين، 1/195-197

[8] أسجان الكهان الجاهليين وأشعارهم، ص 240، رمْ من رمّ الشيء: أصلحه

[9] الحماسة الشجرية، ص 135

[10] ديوانه، ص 151

[11] ديوانه، ص 136

20. وقال الدكتور أسعد: "رحل من المحلة، الصحيح: رحل عن المحلة". (الأغلاط، ص 88)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال المُسَبَّب بن عَلَس:

أرحلتَ من سلمى بغير متاع قبل العُطاس ورُعتَها بوداع
من غير مقلية وإنّ حبالها ليست بأرمام ولا أقطاع[1]

وقال العجاج:

رحلتُ من أقصى بلادِ الرُحَّلِ، من قُلَلِ الشِحْرِ فجَنبَي مَوكَلِ[2]

وقال الشاعر:

رحلتْ من أقصى بلاد الرحل، من قُلَل الشحر، فجَنبَيْ مَوْحَل[3]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أمسى شبابُك عنا الغضَّ قد رحلا ولاح في الرأس شيبٌ حلَّ فاشتعلا[4]

وقال الفرزدق:

لو شئتُ لمتُ بني زَبينة صادقًا ومطيّتي لبني زبينة ألومُ
نزلتْ بمائهم وتحسب رحلَها عنها سيحمله السنامُ الأكومُ[5]

وقال آخر:

ولئن رحلنا عن دياركم فبها تعلّلنا عن الكرب[6]

[1] ديوان المفضليات، ص 60-61
[2] لسان العرب: شحر
[3] لسان العرب: رحل
[4] ديوانه، ص 440
[5] ديوانه، ص 595
[6] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 139/1

21. وقال الدكتور أسعد: "رزق الله زيدًا بمولود، الصحيح: رزق الله زيدًا مولودًا"، قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ"، الحج: 58. (ص 89)

أقول إنّ كليهما صحيح سوى أنّ الثاني أعمّ كما قال الشاعر:

فما رَزَقَ الجنود بها فقيرًا وقد سيستْ مطاميرُ الطعام[1]

وقال أعرابي:

رُزِقتُ لبًّا ولم أرزَقْ مروءتَه وما المروءةُ إلا كثرةُ المال
إذا أردتُ مساماةً تقعّدني عمّا يُنوّهُ باسمي رقّةُ المال[2]

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

ما للقباح رُزِقنَ كلَّ خطيئةٍ نَفَلًا، كما ذمن كلَّ جمال[3]

كما تدخل (من) على المفعول الثاني كما قال تعالى: "وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦". (سورة البقرة)

وقال: "وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢". (سورة النحل)

وكذا تدخل على ما يرزق به كما قال تعالى: "أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤". (سورة النمل)

[1] مجلة المورد، 10/3-4/206

[2] ديوان الأعشى الكبير، 218/2

[3] ديوانه، ص 54، نفل: زيادة.

(سورة النمل)

وقال: "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾". (سورة يونس)

22. وقال الدكتور أسعد: "رضي عليه معلّه، الصحيح: رضي عنه"، قال تعالى: "رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ"، التوبة: 100. (الأغلاط، ص 90)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال قُيف العُقَيلي:

إذا رضِيتْ عليّ بنو قُشَيرٍ لَعمرُ الله أعجبني رِضاها
ولا تنبو سيوفُ بني قشيرٍ ولا تمضي الأسنّةُ في صفاها[1]

وقال أكثم بن صيفي: "من رضي على نفسه كثر الساخط عليه".[2]

وقال الحارث بن مُضاض الجرهمي (الأصغر):

رضيتُ عن الأيام دهرًا فخلختْ عليّ الليالي بعدها بالهواجس[3]

وقال الأخطل:

فالله لم يرض عن آلِ الزبير ولا عن قيسِ عيلان حيًا طال ما خربوا[4]

وقال تعالى: "وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾". (سورة البقرة)

[1] نوادر أبي زيد، ص 481
[2] جمهرة خطب العرب، 3118/1
[3] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 333
[4] ديوانه، ص 41

بل، ووجدنا "رضي منه" بنفس المعنى كما قال مروان بن سراقة:

يا آلَ قريشٍ بيّنوا الكلاما
إنّا رضينا منكم أحكاما
فبيّنوا إذ كنتم حكّاما[1]

وقال الفرزدق:

مِدادٌ يُستَمَدُّ العلمُ منه فيرضى المستمدُّ من المداد[2]

وقال الفرزدق أيضًا:

إذاما رضوا مني، إذا كنتُ ضامنًا بأحسابِ قومي في الجبال وفي السهل[3]

23. وقال الدكتور أسعد: "زِدْ إلى ذلك، الصحيح: زِد على ذلك"، قال تعالى: "أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا"، المزّمل: 4. (الأغلاط، ص 99)

أقول إنّ هناك فرقًا بين الزيادة إليه والزيادة عليه فالزيادة إليه تعني الميل إليه بينما الزيادة عليه تعني: الزيادة القليلة كما قال زهير بن أبي سلمى:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر، أو يبدو لهم ما بدا ليا
بدا ليا أنّ الله حقٌّ فزادني إلى الله تقوى الله ما كان باديا
بدا ليا أنّ الناس تفنى نفوسُهم وأموالُهم ولا أرى الدهرَ فانيا[4]

وقال كعب بن زهير:

وحتى رأيتَ الشخصَ يزداد مثلُه إليه وحتى نصفُ رأسيَ واضح[5]

[1] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 298
[2] ديوانه، ص 148
[3] ديوانه، ص 488
[4] ديوانه، ص 139-140
[5] ديوانه، ص 14

أمّا شواهد الزيادة عليه فقال ذو الإصبع العدواني:

عَفَّ يؤوس إذاما خفتُ من بلدٍ هُونًا فلستُ بوقّافٍ على الهون
عني إليك فما أمي براعيةٍ ترعى المخاض، وما رأيي بمغبون
كلُ امرئ راجعٌ يومًا لشيمته وإن تخالق أخلاقًا إلى حين
إني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظة وابن أبيّ أبيّ من أبيينِ
وأنتمُ معشرٌ زيدٌ على مائة فأجمعوا أمركم كُلَا فكيدوني
فإن عرفتم[1] سبيلَ الرشد فانطلقوا وإن جهلتم سبيلّ الرشد فأتوني[2]
لا يُخرِجُ الكرهُ مني غيرَ مأبيةٍ[3] ولا ألين لمن لا يبتغي ليني[4]

وقال مالك اليربوعي:

حَلَولٌ بفردوس الإياد وأقبلتْ سراةُ بني البَرْشاء لمّا تأوّدوا
بألفين أو زاد الخميس عليهما لينتزعوا عرقاتنا ثم يُرغِدوا[5]

وقال سويد بن كراع العكلي:

وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أنْ أطيع وأسمعا[6]

وقال عبد مناف بن رِبع:

إذ قدّموا مائةً واستأخرتْ مائةٌ وَفيًا[7] وزادوا على كلتيهما عددا[8]

---

[1] ويروى: علمتم
[2] ديوان المفضليات، ص 160-161
[3] الكره: الإكراه، المأبية: الإباء
[4] ديوان المفضليات، ص 160-161
[5] مالك ومتمّم ابنا تميم اليربوعي، ص 60، فردوس الإياد: موضع والفردوس: الروضة
[6] عشرة شعراء مقلّون، ص 95
[7] وفيًا أي تمامًا
[8] ديوان الهذليين، 40/2

وقال جران العود:

وعاد الراجعات من الليالي شهورًا أو يزدنَ على الشهور[1]

والصحيح "زاده فيه" كما قال المتلمس:

وإصلاحُ القليل يزيد فيه[2] ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد[3]

وقال عنترة بن شداد العبسي:

ولا تجاورْ لئامًا ذلَّ جارُهم، وخلِّهم في عِراصِ الدار وارتحل

ولا تفرَّ إذاما خضتَ معركةً فما يزيدُ فرارُ المرء في الأمل[4]

وقال حاتم الطائي:

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فنائه ولا البخلُ في مال الشحيح يزيد[5]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

لا تحرصنْ فالحرص ليس بزائدٍ في الرزق بل يشقى الحريصُ ويُتعَب[6]

24. وقال الدكتور أسعد: "زال منه الخوف، الصحيح: زال عنه". (الأغلاط، ص 100)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال الفرزدق:

على ملَكٍ كاد النجومُ لفقده يقعنَ، وزال الراسياتُ من الصخر

ألم تر أنّ الأرضَ هُدَّتْ جبالُها وأنّ نجومَ الليل بعدك لا تسري[7]

[1] ديوانه، ص 26

[2] "فيه" أي في المال

[3] ديوان حاتم الطائي، ص 106 (هامش)

[4] شرح ديوانه، ص 136

[5] ديوانه، ص 106

[6] ديوانه، ص 28

[7] ديوانه، ص 193

وقال أيوب بن عباية:

ويأمنُ رُعيانُها أن يزو ل منها، إذا أغفلوها، الزويل[1]

وقال أعشى همدان:

يا جُملُ ما حبّي لكم زائلٌ عني ولا عن كبدي نازح
حُمِّلتُ وُدًّا لكم خالصًا جدًّا إذاما هزَل المازح[2]

وقال أبو جلدة اليشكر:

ستعلم أنّ رأيك رأيُ سَوءٍ إذا ظلَّ الأمارة عنك زالا[3]

وقال ابن ميادة:

كأنّ القرونَ السُودَ فوق مَقَذّها إذا زال عنها برقعٌ ونصيف
بها زَرَجُوناتٌ بقفرٍ تنسّمتْ لها الريحُ حتى بيهنّ رفيف[4]

25. وقال الدكتور أسعد: "زعم بأنّ الجواب صعب، الصحيح: زعم أنّ الجواب صعبٌ"، قال تعالى: "زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُا۟ "، الأنعام: 94. (الأغلاط، ص 102)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال النابغة الذبياني:

زعم الهمامُ بأنّ فاها باردٌ عذبٌ مقبّلُه، شهيّ الورد[5]

وقال النابغة أيضًا:

ألا زعمتْ بنو سعدٍ بأني -ألا كذبوا- كبير السن فانِ[6]

---

[1] لسان العرب: زول

[2] ديوانه، ص 97

[3] شعره، مجلة المورد، 1984/3/13م/ص 104

[4] ديوانه، شعره، ص 171، مقذّ: ما بين الأذنين من خلف ومنتهى قصّ الشعر من مؤخر الرأس، زرجونة: شجرة العنب، رفيف: إذا تندّى الشجر

[5] ديوانه، ص 108

[6] ديوانه، ص 159

وقال الأعشى الكبير:

كلّا، زعمتم بأنّا لا نقاتلكم إنا لأمثالكم يا قومَنا قُتُلُ
حتى يظلَّ عميدُ القوم مُتَكِّئًا يَدْفَعُ بالرّاح عنه نسوةٌ عُجُلُ[1]

وقال حسّان بن ثابت:

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بدر زعمتم غير مورود[2]

وقال النابغة الذبياني:

زعم الهمامُ، ولم أذُقه، أنه عذبٌ، إذاما ذقتَه، قلت: ازدد[3]

وقال مُساور بن هند يهجو بني أسد:

زعمتم أنّ إخوتكم قريش لهم إلفٌ وليس لكم إلاف
أولئك أُومِنوا جوعًا وخوفًا وقد جاعتْ بنو أسد وخافوا[4]

وقال حسّان بن ثابت:

زعمَ الولائدُ أنها ولدتْ ولدًا صغيرًا كان من عِهر[5]

وقال الفرزدق:

لقد زعموا أني هجوتُ لخالدٍ له كلَّ نهرٍ للمبارك أكدرا[6]

26. وقال الدكتور أسعد: "أزمع على المشاركة في السباق، الصحيح: أزمعَ المشاركةَ أو أزمعَ أن يشارك في السباق". (الأغلاط، ص 102)

[1] ديوانه، 220/1، عُجُلٌ جمعُ عَجُوْل
[2] شرح ديوانه، ص 73
[3] ديوانه، ص 108
[4] شرح ديوان الحماسة، 862/2
[5] شرح ديوانه، ص 189
[6] ديوانه، ص 259

أقول إنّ كلّ هذه صحيح مع أزمع به وله لنفس المعنى كما قال امرؤ القيس:

تذكّرتُ هندًا وأترابها فأصبحتُ أزمعتُ منها صدودا[1]

وقال الأعشى الكبير:

أم ما التصابي وشيب الرأس شاملُه وقلبُه عند سلمى مُثبَتٌ علِقِ

لم أدرِ بالبَيْنِ حتى أزمعوا ظُعُنًا حادي الجِمالِ على آثارهم يسِق[2]

وقال الفرزدق:

وردّ الذي كادوا وما أزمعوا له عليّ وما قد نمّقوا في الصحائف[3]

وقال الكاتبي، وهو ليس من الشعراء المستشهد بهم،:

إنْ كنت أزمعتِ على هجرنا من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميل[4]

وأرى أنه تضمين العزم الذي يتعدّى بـ"على" أيضًا كما قال عبدُ قيس بن خفاف معاصر حاتم الطائي:

واستأن حلمَك في أمورك كلها وإذا عزمتَ على الهوى فتوكّل[5]

وقال زهير بن أبي سلمى:

فأقصرن منه عن كريمٍ مُرزّأٍ عَزومٍ على الأمر الذي هو فاعله[6]

وقال أعشى نهشل:

أجارتنا غُضّيْ من السير أو قِفي وإنْ كنتِ قد أزمعتِ بالبين فاصرفي[7]

---

[1] ديوانه، ص 57

[2] ديوانه، 688/2

[3] ديوانه، ص 378

[4] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 109/4 ومختصر المعاني، ص 427 وفي غيرهما من كتب البلاغة.

[5] ديوان الأصمعيات، ص 229

[6] ديوانه، ص 91

[7] الصبح المنير في شعر أبي بصير، ص 303

وقال المرقش الأصغر:

أزمعتْ بالفراق لمّا رأتني أتلِفُ المالَ لا يذمُّ دخيلي[1]

وقال بشر بن أبي خازم:

ألا آلُ ليلى أزمعوا بقفول ولم يؤذِنوا ذا حاجةٍ برحيل[2]

وقال الأعشى الكبير:

لا تلمني فإنني كدتُ أقضي يومَ قالوا: قد أزمعوا للذهاب
إثرَ برّاقة، خفوقٌ حشاها حرّةٍ، طفلة، لعوب، كعاب
مثلِ شمس النهار أو قمر الليـ ـل بل الشمسُ جسمُها في الثياب[3]

وقال الأعشى أيضًا:

فإذا ربيعةُ أزمعت لعظيمة فزِعتْ إليك، خيولُها ورجالُها[4]

27. وقال الدكتور أسعد: "تزوّجتُ منها، الصحيح: تزوّجتُ بها أو تزوّجتُها"، قال تعالى: "وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ"، الطور: 20. (الأغلاط، ص 103)

أقول إنّ كلّ هذه صحيح مع حروف الجرّ الأخرى التي دخلت على التزوّج كما قال عمرو بن أميّة:

لا بارك الرحمن في عمّتي وزادها في غيّها ضعفه
ما زوّجتْ من رجلٍ سيّدٍ يا زيدُ إلا عجلت حتفه[5]

[1] ديوان المرقشين، ص 92
[2] مختارات ابن الشجري، ص 477
[3] ديوانه، 645/2
[4] ديوانه، 717/2
[5] موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 227

وقال عياض بن الراسبية:

زوّجتها من جندِ سعدٍ فأصبحتْ تطيف بها ولدان بكر بن وائل[1]

وقال الخليل الفراهيدي:

زُوِّجَ حيتانُها الضبابُ بها فهذه كنّةٌ وذا ختن[2]

وقال الراجز:

يا ربّ بيضاءَ تكُزُّ الدُملُجا تزوّجتُ شيخًا طويلًا كَوسَجا[3]

وجاء في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: "وسُئِلَتْ عن امرأة طلّقها زوجُها وتزوّجها رجلٌ فتحسّرتْ بين يديه". أي قعدت حاسرة مكشوفة الوجه.[4]

وأنشد ثعلب:

ولا يلبث الفتيانُ أنْ يتفرّقوا، إذا لم يُزَوَّجْ روحُ شكلٍ إلى شكل[5]

وجاء في الأثر: "وسئلتْ امرأةٌ تزوّجتْ عن زوجها الثاني: أين هو من الأوّل؟ فقالت: مرعى ولا كالسعدان".[6]

وجاء في حديث الزبير أنه قيل له: مُرْ بنيك حتى يتزوّجوا في الغرائب فقد غلب عليهم سِبرُ أبي بكر ونُحُولُه".[7]

28. وقال الدكتور أسعد: "سادَ على قومه، الصحيح: سادَ قومَه". (الأغلاط، ص 106)

[1] موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 244

[2] شعره، ص 28

[3] أساس البلاغة: كزز

[4] لسان العرب: حسر

[5] لسان العرب: زوج

[6] لسان العرب: سعد

[7] لسان العرب: سبر، السبر: شَبَه

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال عنترة بن شداد العبسي:

وعُدنا والفخارُ لنا لباسٌ نسودُ به على أهلِ الزمان[1]

وقال الفرزدق:

ملوكٌ وأبناءُ الملوك وسادةٌ لهم سؤدد عَودٌ على الناس قاهر[2]

وقالت الخنساء:

ألا تبكيان الجريئ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا[3]

وقال المغيرة بن حبناء التميمي:

سخيّ بالنهاب بها وفيّ إذاما ساد أصحابَ النهاب[4]

وكذا تعنيه "في" كما قال المستوغر بن ربيعة:

إذا ساد فيها بعد ذلٍّ لئيمُها تصدّى له ذلّ وقُدَّ أديمُها[5]

29. وقال الدكتور أسعد: "سخر بتجربتي، الصحيح: من تجربتي"، قال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ"، الحجرات: 11. (الأغلاط، ص 108)

إنّ كليهما صحيح كما قال حاتم الطائي:

عطاؤكم زَوْلٌ ويُؤزَأ مالُكم فإني بكم، ولا محالة، ساخر[6]

---

[1] شرح ديوانه، ص 197

[2] ديوانه، ص 279، والعَود: تالد وقديم كما قال الطرماح:

هل المجد إلا السؤددَ العَودَ واللُها ورأبَ الثأى والصبر عند المواطن

ديوانه، ص 282

[3] ديوانها، ص 31

[4] مجلة المورد، 10/3-4/1981م/ص 184

[5] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 533

[6] ديوانه، ص 116

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وقالتْ لأترابٍ لها، حين عرّجوا عليّ قليلًا: إنّ ذا بي يسخر[1]

وقال سويد بن كراع العكلي:

وكنّا بني عمّ فأجرى غواتنا إلى غاية من مثلها كنت أسخر[2]

وقال الأعشى الكبير:

ولا تسخرنْ من بائسٍ ذي ضرارةٍ ولا تحسبنّ المرءَ يومًا مخلّدا[3]

وللسخر صلة أخرى وهي "في" كما قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

فمن يكن من جار ابنِ ضبّاءَ ساخرًا فقد كان في جار ابن ضبّاء مسخر[4]

30. وقال الدكتور أسعد: "أسدى إليه شكرَه، الصحيح: شكره". (الأغلاط، ص 108)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قالت الخنساء:

فرُبّ عُرفٍ كنتَ أسديتَه إلى عيالٍ ويتامًى صغار[5]

وقال عمر بن ربيعة المخزومي القرشي:

فقلتُ إذا كافأتُ من هو مُذنِبٌ مُسيءُ بما أسدى إليّ فما فضلي

لما أرتجي حلمي إذا أنا لم أعد عليكِ ولم يُجمَعْ لجهلكم جهلي[6]

وقال معاوية بن أبي سفيان:

ونطحنَهم طحنَ الرحى بثفالها وذاك بما أسدوا إليك قليل[7]

[1] ديوانه (طبعة دار صادر، بيروت)، ص 172

[2] عشرة شعراء مقلّون، ص 92

[3] ديوانه، 341/1

[4] ديوانه، ص 71

[5] ديوانها، ص 60

[6] ديوانه، ص 419

[7] ديوانه، ص 103

وقال امرؤ القيس:

سأشكرك الذي دافعتَ عني وما يجزيك مني غيرُ شكري[1]

وقال كثيّر عزة:

فلا تكفروا مروانَ آلاءَ أهله بني عبدِ شمسٍ واشكروه فعالَها[2]

31. وقال الدكتور أسعد: "سعى إلى عمل الخير، الصحيح: سعى لعمل الخير. إذا كان السعي بمعنى العمل استعملت اللام معه، قال تعالى: "وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا"، الإسراء: 19 وبخلاف ذلك نستعمل (إلى) لتعديته، قال تعالى: "فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ"، الجمعة: 9". (الأغلاط، ص 109)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال كَهمَس بن شُعَيب الدَوسي:

سعيتُ إليها سعيَ لا واهن القوى ولا عاجزٍ لا يستطيع التحلحلا

فنفّستُ عنه الخيلَ وانتشتُ نفسَه وقد عاين الأبطالَ أخولا أخولا[3]

وقال آخر:

وما أنا بالساعي إلى أمّ عاصم لأضربها، إني إذًا لجهول[4]

وقال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩". (سورة الجمعة)

وقال زهير بن أبي سلمى:

أتى قومَه منه حباءً وكسوةً وربّ امرئ يسعى لآخر قاعد[5]

[1] ديوانه، ص 80

[2] ديوانه، ص 87

[3] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 512

[4] شرح ديوان الحماسة، 933/2

[5] ديوانه، ص 49

وقال الحارث بن حلزة:

بينا الفتى يَسْعَى ويُسْعَى له تاه له من أمره خالج[1]

وقال الأعشى الكبير:

وسعى لكندةَ غيرَ سعي مُوَاكل قيسٌ فضرّ عدوَّها وبنى لها[2]

32. وقال الدكتور أسعد: "سلّم الرسالةَ إليه، الصحيح: سلّمه الرسالة". (الأغلاط، ص 111)

أقول: ليس كذلك بل الصحيح "سلّم الرسالةَ إليه" كما قال ابن الدمينة:

وإلّا فرُدّي العقلَ مني وسلّمي إليّ فؤادي واذهبي بسلامِ[3]

وقال توبة بن الحميّر:

إنْ أمسِ رَمسًا تحت التراب فهل تصرفُ بعدي المنونُ عن أحد

كلُّ امرئ فاقدٌ أحبّتَه ومسلّمٌ وجهَه إلى البَلَد[4]

33. وقال الدكتور أسعد: "أشاد جامعة جديدة، الصحيح: شادَ أو شيّد جامعة جديدة". (الأغلاط، ص 114)

أقول إنّ كلها صحيح كما قال عليّ بن أبي طالب:

تبًا لدار لا يدوم نعيمها ومُشِيْدُها عما قليل يخرب[5]

وقال عنترة بن شدّاد:

أو بِنيةٌ للمجد شِيْدَ أساسُها إلا وقد هدم القضاء وطيدَها[6]

---

[1] ديوانه، ص 66

[2] ديوانه، 159/1

[3] ديوانه، ص 44

[4] ديوانه، ص 85-86

[5] ديوانه، ص 27

[6] شرح ديوانه، ص 51

وقال عبدة بن الطبيب:

فيها الدجاجُ وفيها الأسد مُخدِرةً من كلّ شيء يُرَى فيها تماثيل
في كعبةٍ شادها بانٍ وزيّنها فيها ذُبالٌ يُضيء الليلَ مفتول[1]

وقال عنترة بن شدّاد:

فالموتُ لا ينجيك من آفاته حصنٌ، ولو شيّدتَه بالجندل[2]

وقال الأعشى الكبير:

في مِجدَل شُيِّدَ بنيانُه يزلّ عنه ظُفُرُ الطائر[3]

وللفعل صلة أخرى وهي "في" كما قال عروة بن أذينة:

ورّثوه مجدَ الحياة فثنّى مجدَ بانٍ أشاد في البنيان
بقيامٍ على الجسيم من الأمـ ـرِ وضغمٍ للمُترِفِ الحَيران[4]

34. وقال الدكتور أسعد: "اشتاق للدراسة، الصحيح: إلى الدراسة". (الأغلاط، ص 115)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال محمد بن عبد الملك الفقعسي:

وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا وأزداد شوقًا أنْ تهبَّ جَنُوبُ[5]

وقال سامة بن لؤي بن غالب:

بلِّغا عامرًا وكعبًا رسولًا: إنّ نفسي إليهما مشتاقه[6]

---

[1] ديوان المفضّليات، ص 144

[2] شرح ديوانه، ص 134، الجندل: الصخر العظيم

[3] شرح ديوانه، 354/1، مجدل: حصن.

[4] شعره، ص 396

[5] الحماسة الشجرية، 566/2

[6] لسان العرب: فوق

وقال قس بن ساعدة الإيادي:

ألم ترحماني أنني صرتُ مُفردًا وأني مشتاق إلى أنْ أراكما[1]

بل، ووجدت صلة أخرى وهي "في" كما قال أبو دواد الإيادي:

وهل يشتاق مثلُكَ في ديارٍ عفتْها الريحُ والدِيَمُ الغَوادي[2]

35. وقال الدكتور أسعد: "شكرتُك، الصحيح: شكرتُ لك"، قال تعالى: "وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ"، البقرة: 152. (الأغلاط، ص 120)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال عنترة بن شداد العبسي:

إذا لعب الغرامُ بكل حُرّ حمِدتُ تجلّدي وشكرتُ صبري[3]

وقال الأعشى الكبير:

ثم ولَّوا عند الحفيظة والصبـ ـر كما يطحر الجنوبُ الجهاما

ذاك في جَبْلِكم لنا وعليكم نعمةٌ لو شكرتم الإنعاما[4]

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

يكنْ لك في قومي يدٌ يشكرونها وأيدي الندى في الصالحين قروض[5]

قال جرير:

سنشكر مَنْ له أثرٌ علينا كآثار الوليّ على العِهاد[6]

---

[1] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 509

[2] ديوانه، ص 81

[3] ديوان شعره، ص 82

[4] ديوانه، 515/2

[5] ديوانه، ص 85

[6] ديوانه، ص 92، العهاد: الوسمي، الولي: المطر بعد الوسمي وهو أول مطر يصيب الأرض.

وقال الفرزدق:

لقد كان فينا لو شكرتم بلاءَنا وأيامَنا اللاتي تُعَدُّ جسامُها
لنا فيكم أيدٍ وأسبابُ نعمة إذا الفتنة العشواء شُبّ احتدامُها[1]

وقال الأعشى الكبير:

فذلك من أيامنا وبلاءنا ونُعْمَى عليكم إن شكرتم لأنعم[2]

وقال الأخطل:

ألم تشكر لنا كلبٌ بأنا جَلَونا عن وجوههم الغبارا[3]

وقال تعالى: "إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾". (سورة النحل)

36. وقال الدكتور أسعد: "شكا من زيدٍ، الصحيح: شكا زيداً". (الأغلاط، ص 120)

إنّ كليهما صحيح فقال عنترة بن شدّاد العبسي:

شكا نحرُها من عقدها متظلمًا فوا حربًا من ذلك النحر والعقد[4]

وقال عنترة أيضًا:

أشكو من الهجر في سرٍّ وفي عَلَن شكوًى تؤثّر في صلدٍ من الحجر[5]

وقال الكميت الأسدي:

تضوّر يشكو ما به من خصاصة وكاد من الإفصاح بالشكو يُعرب[6]

[1] ديوانه، ص 562
[2] ديوانه، 324/1
[3] ديوانه، ص 119
[4] شرح ديوانه، ص 61
[5] شرح ديوانه، ص 84
[6] ديوانه، ص 27

وقال ذو الرمة:

تشكو البُرى وتجافى عن سفائفها تجافيَ البيض عن برد الدماليج[1]

37. وقال الدكتور أسعد: "صاح عليهم، الصحيح: صاح بهم". (الأغلاط، ص 122)

أقول: لم يذكر المراد فالصياح بحرف "على" يعني: ضجّ ضدّه وصاح في مكان خاص كما قال كثيّر عزة:

إذاما وردنا منهلًا صاح أهلُه علينا فما ننفكّ نُرمَى ونُضرَب[2]

وقال نابغة بني شيبان:

يصيح نسوانُهم لمّا هزمتَهم كما يصيح على ظهر الصفا الحَجَلُ[3]

وقال أعرابي:

يصيح عليه الدَيدَبانُ فلا أَرَى نهاري وليلي من الخوف أهجع[4]

والصياح بالباء يعني: ناداه كما قال قس بن ساعدة الإيادي:

دعْهم فإنّ لهم يومًا يُصاحُ بهم كما ينبّه من نوماته الصعِقُ[5]

وقال النظار بن هاشم الأسدي:

صاح بهم، على اعتفادٍ، زمانْ مُعتَفَدٌ قطّاعُ بينِ الأقران[6]

---

[1] ديوانه، ص 42

[2] ديوانه، ص 161

[3] ديوانه، ص 101، حجل: طائر.

[4] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 32/2

[5] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 508، ويروى عجز البيت:

فهم إذا انتبهوا من نومهم فُرُق

ديوانه، ص 396

[6] لسان العرب: عفد

وقال سراقة البارقي:

حتى إذا طَمَسَ النجومَ وغمَّها ورْدٌ يُغَيِّبُ لونَها مُتَجوِّبُ

صاحوا بها ليخفَّ حشوُ بطونها وقلوبُهم من حشوِ ذلك تَضْرِبُ[1]

38. وقال الدكتور أسعد: "أصغى له، الصحيح: أصغى إليه"، قال تعالى: "وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ"، الأنعام: 113. (الأغلاط، ص 126)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال عنترة بن شداد العبسي:

وإنْ طرِب الرجال بشربِ خمرٍ وغَيَّبَ رشدَهم خمرُ الدنان

فرشدي لا يغيّبه مدامٌ ولا أصغي لقهقهة القناني[2]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فإن تك ليلى قد نأتْك ديارُها وضنّتْ بحاجات الفؤاد المتيّم

وهمّتْ بصرم الحبل بعد وصاله وأصغت لقول الكاشح المتزعّم

فما حبلها بالرثّ عندي ولا الذي يغيّره نأي وإن لم تكلّم[3]

وقال النابغة الجعدي:

فما نطفةٌ كانت صبيرَ غمامةٍ على متنِ صفوانٍ تزعزعه الصَبا

بأطيبَ من فيها ولا طعمِ ريقها إذا النجمُ أصغى للمغيب وصوّبا[4]

وقال الفرزدق:

بني نهشلٍ أبقُوا عليكم ولم ترَوا سوابقَ حامٍ للذمار مُشَهَّرُ

[1] ديوانه، ص 102

[2] شرح ديوانه، ص 197

[3] شرح ديوانه، ص 323

[4] ديوانه، ص 19

كريمٍ تشكّى قومُه مُسرِعاتِه، وأعداؤه مُصغُون للمتسوّر[1]

وقال عنترة بن شداد العبسي:

إذا كنتَ لم تعبأ برأي ولم تطع لنصح ولا تصغي إلى قولِ مرشد
فلا تتقي ذمَّ العشيرة كلها، وتدفع عنها باللسان وباليد
وتصفح عن ذي جهلها وتحوطُها، وتقمع عنها نخوةَ المتهدّد[2]

وقال الكميت الأسدي:

على توائمَ أصغى من أجنتها إلى وساوس عنها قابتِ القُوَبُ[3]

وقال عتبان بن أصيلة:

فأبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً وذو النصح لو تصغي إليه قريب[4]

39. وقال الدكتور أسعد: "صمّم فلانٌ على الأمر، الصحيح: في الأمر". (الأغلاط، ص 127)

أقول إنّ التصميم بحرف "على" أيضًا يعني ما يعنيه التصميم بحرف "في" فقال عتيبة بن مرداس:

وهذا فما نلقاه إلّا مصمّمًا على مالِ ذي القربى وإنْ كان مُعدِما[5]

وقال كثيّر عزّة:

يقول العدا يا عزَّ قد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مُصمِّم[6]

[1] ديوانه، ص 328، المتسوّر: الوثّاب.
[2] شرح ديوانه، ص 58
[3] ديوانه، ص 46
[4] شعر الخوارج، ص 182
[5] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 133/1
[6] ديوانه، ص 366

40. وقال الدكتور أسعد: "صنع له معروفًا، الصحيح: صنع إليه معروفًا، صنع له قبيحًا، الصحيح: صنع به قبيحًا". (الأغلاط، ص 127)

أقول إنّ فعل الصنع يأتي إيجابيًّا وسلبيًا معًا فصَنَعَ به يعني كلا المعنيين كما أنّ صَنَعَ له يعني: صَنَعَ إليه فقال الخليل الفراهيدي:

وما ربحتْ بالمرء يومًا صنيعةٌ على المرء إلا وهي بالشكر أثقل[1]

وقال الفرزدق:

وصابرٍ بك لولا ما رأى ما صنعتْ يداك بالخيل والأبطال ما صبرا[2]

وقال عمر بن الخطّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "... فإذا عاينتَ العدوّ فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورةَ عدوّك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوّك كصنعه بك".[3]

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يلقي خطابه لإمداد جيش أبي عبيدة: إنّ إخوانكم المسلمين مُعافَون مكلوءون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم".[4]

ومما يزاد عليه أنّ الصنع بحرف "إلى" أيضًا يأتي للمعنى السلبي فقالت امرأة تبكي على أخيها:

ألا من لي بأنسك يا أخيّ ومن لي أنْ أبثّك ما لديّا
طوتْك خطوبُ دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشرًا وطيّا
فلو نشرتْ قواك لي المنايا شكوتُ إليك ما صنعتْ إليّا

[1] عشرة شعراء مقلّون، ص 231
[2] ديوانه، ص 296
[3] جمهرة خطب العرب، 94/1
[4] ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 371

بكيتُك يا أخيّ بدمع عيني فلم يُغنِ البكاءُ عليك شيّا
وكانت في حياتك لي عظابٌ فأنت اليوم أوعظُ منك حيّا[1]

41. وقال الدكتور أسعد: "ضاقت به الأرض، الصحيح: ضاقت عليه الأرض"، قال تعالى: "حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ"، التوبة: 118. ونقول: ضاق به الأمر، بمعنى ضاق عليه، قال تعالى: "وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا"، هود: 77 (الأغلاط، ص 129)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال القحيف العقيلي:

لعمري لقد ضاقتْ دمشقُ بأهلها غداةَ رأوا قيسًا ترفُّ عقابُها[2]

وقال الأسدي:

ذهبتْ بك الأيامُ عُلوًا بعدما كانت بك الأرض الفضاءُ تضيق[3]

وقالت الخنساء:

ضاقتْ بي الأرض وانقضّتْ مخارمُها حتى تخاشعتِ الأعلامُ والبيدُ[4]

وقال عمرو بن الأهتم:

لعمرك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيق[5]

وقال الشاعر يصف سحابًا:

ترى الماءَ منه مُلتقٍ مترابطٌ ومُنحدرٌ، ضاقتْ به الأرضُ، سائحُ[6]

[1] أبو علي القالي- ذيل الأمالي لأبي علي القالي، 3: 4
[2] مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، إيلول، 1986م ص 232
[3] كتاب الوحشيات، ص 150
[4] ديوانها، ص 38، مخرم ج: مخارم: منقطع الأكمة ووالطرق في الغلط
[5] شرح ديوان الحماسة، 2/973-974
[6] لسان العرب: ربط

وقال طفيل الغنوي:

فهيّاك والأمرَ الذي إنْ تراحبتْ مواردُه ضاقتْ عليك مصادره[1]

وقال الفرزدق:

مضى كمضيّ السيف من كفِّ حازمٍ على الأمر إذ ضاقتْ علينا مصادرُه[2]

وقال تعالى: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾". (سورة التوبة)

وقال الحارث بن ذبيان يفاخر طريف بن العاصي: "--- وضاقت عليك الرحاب، وتقطّعت بك الأسباب".[3]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "--- وذلك إذا قلّصت حربُكم، شمّرتْ عن ساق، وضاقت الدنيا عليكم ضِيقا ---".[4]

42. وقال الدكتور أسعد: "طاف على قبيلته، الصحيح: طاف حول قبيلته". (الأغلاط، ص 131)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾". (سورة النور)

[1] ديوانه، ص 143

[2] ديوانه، ص 247

[3] جمهرة خطب العرب، 7/1

[4] نهج البلاغة، ص 137

وقال زهير بن أبي سلمى:

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريش وجرهم
وباللات والعزّى التي يعبدونها بمكة والبيت العتيق المكرّم[1]

وقالت ليلى الأخيلية:

فعفاتُه لهفى يطوفون حوله كما انقضّ عرشُ البئر، والوردُ عاصب[2]

43. وقال الدكتور أسعد: "طرده عن المدرسة، الصحيح: طرده من المدرسة". (الأغلاط، ص 132)

أقول إنه ليس بصحيح بل الطرد أو التطريد لا يتعدّى مفعوله الثاني إلا بـ"عن" كما قالت الخنساء:

يطردنَ عن ليطِ السما ء ظلائلًا والماءُ جامد
مَزًا تطرّدها الريا حُ كأنها خِرَقٌ طرائد[3]

وقال الفرزدق:

وجفنةً مثلَ حوض البئر مُترَعَةً تطرُدُ عمّن أتاها الجوعَ والخَصَرا[4]

وكذا تدخل على التفعيل منه فقال الفرزدق نفسه:

يُطَرِّدُ عنها الجائرين، كأنه، غرابٌ على أنباثها غيرُ أعورا[5]

44. وقال الدكتور أسعد: "طرق على الباب، الصحيح: طرق البابَ". (الأغلاط، ص 132)

[1] ديوانه، ص 105
[2] ديوانها، ص 52
[3] أساس البلاغة: طرد
[4] ديوانه، ص 296 والخصر: البرد الشديد
[5] ديوانه، ص 253

أقول إنّ كليهما صحيح كما أنّه يتعدّى بـ"إلى" أيضًا فقال كثيّر عزة:

فلا تبعد فكلُّ فتًى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي
وكلُّ ذخيرة لا بدّ يومًا ولو بقيتْ تصير إلى النفاد[1]

وقال العطوي:

كأنّ تِجارَ الهند حلّوا رحالَهم عليها طُروقًا ثم أضحوا بها الغدا[2]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

فطرقتُ الحيّ مكتتمًا ومعي عَضبٌ به أثَر[3]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

يا حبذا مقامنا بالكوفة أرضٌ سواءٌ سهلةٌ معروفة
تطرقها جمالنا المعلوفة عمي صباحًا واسلمي مألوفة[4]

وقال زهير بن أبي سلمى:

قد جعل المبتغون الخيرَ في هرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقا[5]

وقال ابن الأبرص الفزاري:

وأطرق أحيانًا بعيني إلى القذى وإني لما يأتي امرؤٌ لبصير[6]

45. وقال الدكتور أسعد: "أعانه على الأمر، الصحيح: أعانه في الأمر". (الأغلاط، ص 138)

[1] ديوانه، ص 222
[2] الحماسة الشجرية، ص 678
[3] ديوانه، ص 278
[4] ديوانه، ص 70
[5] مختارات ابن الشجري، ص 191
[6] موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 8

أقول: بل الصحيح: أعانه عليه كما قال حاتم الطائي:

ألا أعَانُ على جودي بميسرة فلا يُرَدُّ ندى كفي إقتاري[1]

وقال دريد بن الصمة:

وجلدًا إذا الحربُ مرّت به يعينُ عليها بجزلِ الحطب[2]

وقال أبو صعترة البولاني:

أودُّهم وُدًّا إذا خامر الحشا أضاء على الأضلاع والليلُ دامس

بنو رجلٍ لو كان حيًّا أعانني على ضُرِّ أعدائي الذين أمارسُ[3]

وأمّا "في" فهي ظرفية كما قال أمية بن أبي الصلت:

لا أرى من يُعينني في حياتي غيرَ نفسي إلا بني إسرال[4]

46. وقال الدكتور أسعد: "عبث في الشيء، الصحيح: عبث بالشيء". (الأغلاط، ص 138)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

ولا تعبثوا فيما تريدون قصدَه فلن يرشدَ الرحمنُ قصدًا لعابث[5]

وقال عنترة بن شدّاد العبسي:

عبثْتْ بها الأيام حتى أوثقتْ أيدي البلى تحت التراب قيودَها[6]

[1] ديوانه، ص 41

[2] ديوانه، ص 33

[3] شرح ديوان الحماسة، 643/1

[4] ديوانه، ص 445

[5] ديوانه، ص 141

[6] شرح ديوانه، ص 51

وقالت دختنوس ابنة لقيط بن زرارة ترثي أباها:

بكر النعيّ بخير خندف كهلها وشبابها
وقريعها ونجيبها عند الوغى وشهابها
ورئيسها عند الملوك وزينِ يومِ خطابها
عبث الأغرُّ به و كلُّ منيّة لكّابها[1]

وقال العباس بن الأحنف:

وإذا لم أرَ "سحراً" ساعةً عبِث الشوقُ بدمعي فانسكب[2]

47. وقال الدكتور أسعد: "تعجّل في السفر، الصحيح: تعجّل السفرَ". (الأغلاط، ص 139)

إنّ كليهما صحيح كما قال عنترة بن شدّاد العبسي:

تضمّن نعمتي فعدا عليها بكورًا أو تعجّل في الرواح[3]

وقال بلهاء بن قيس:

غشّيته، وهو في جأواء باسلة عضبًا أصاب سواءَ الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجّلتها جبناً ولا فرقا[4]

وقال أبو الأسود الدؤلي:

تقول: حملتَ الدَينَ عيناً، وعامدًا تعجّلتُ مالي وادّكرتُ خلافيا[5]

[1] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 51
[2] ديوانه، ص 41
[3] شرح ديوانه، ص 48
[4] شرح ديوان الحماسة، 13/1
[5] ديوانه، ص 133

وقال الخطيب الجاهلي: "وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غدًا، فأكونَ أوّل قتيل بينها؟ فما أتعجّل الموتَ، ولكن لكم عندي خصلتان ...".[1]

48. وقال الدكتور أسعد: "عرضَ الكتّابَ له، الصحيح: عليه". (الأغلاط، ص 142)

إنّ كليهما صحيح إلّا أنّ الأخير أعمّ فقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إنما الشعرُ عقلُ المرء يعرضه على التجالس إنْ كيسًا وإن حُمُقا[2]

وقال بكر بن النطاح:

عرضتُ عليها ما أرادتْ من المنى لترضى فقالتْ: قُمْ فجئني بكوكب[3]

وقال بعض بني أسد:

إني لأستغني فما أبطَر الغنى وأعرضُ ميسوري على مُبتغي قرضي[4]

وقال تعالى: "وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾". (سورة البقرة)

وقال: "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾". (سورة الكهف) وما وجدتُ أمثلة أخرى لهذه الصلة في المتعدي لمفعولين.

ومن الثاني قول ابن الدمينة:

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدرِ كيف يُجيبُ[5]

فـ"عرض له به" يعني: عرضه له.

---

[1] جمهرة خطب العرب، 277/1

[2] شرح ديوانه، ص 235

[3] عشرة شعراء مقلّون، ص 249

[4] شرح ديوان الحماسة، 715/2

[5] موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 15

49. وقال الدكتور أسعد: "عرف بالموضوع، الصحيح: عرف الموضوع". (الأغلاط، ص 143)

أقول إنّ الفرق بين "عَرَفَه" و"عَرَفَ به" أنّ الأول لا يختص بالمعرفة الدقيقة قال حاتم الطائي:

أتعرفُ أطلالًا ونُؤيًا مُهدَّمًا ... تَخطّك في رَقٍّ كتابًا مُنَمْنَما[1]

وقال عقيل بن عُلَّفة المري:

تمنّى لي الموتَ المُعجَّلَ خالدٌ ... ولا خيرَ فيمن ليس يُعْرَفُ حاسدُه

فخلِّ مقامًا لم تكن لتسدّه ... عزيزًا على عبس وذبيان ذائده[2]

وقال عمرو بن مِخلاة الحمار الكلبي:

وأيامَ صدقٍ كلَّها قد عرفتم ... نصرنا ويومَ المرج نصرًا مؤزرا

فلا تكفروا حُسنى مضتْ من بلاءنا ... ولا تمنحونا بعد لينٍ تجبَّرا[3]

وقال مهلهل بن ربيعة:

فقد تروّيتُم وما ذقتم ... توبيلَه فاعرِفوا بالمذوق[4]

وقال أعشى همدان:

شهدتُ عليكم أنكم سبئيّةٌ ... وإني بكم يا شرطةَ الكفر عارف[5]

وقال الفرزدق:

وجدنا أعزَّ الناس أكثرَهم حصًى ... وأكرمَهم من بالمكارم يُعرَف[6]

[1] ديوانه، ص 80
[2] شرح ديوان الحماسة، 157/1
[3] شرح ديوان الحماسة، 890/2
[4] ديوانه، ص 55
[5] ديوانه، ص 142
[6] ديوانه، ص 390

وقال هدبة بن الخشرم:

وإني بما بين الضلوع من امرئ إذاما تنازعنا الحديثَ لعارفُ[1]

50. وقال الدكتور أسعد: "تعالى على أقرانه، الصحيح: تعالى عن أقرانه"، قال تعالى: "تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ"، النحل: 3. (ص 147)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال الفرزدق:

ولو شاء إذ ولّى الكتائبُ حوله، تعالى على باقي العُلالة مِرجَم[2]

وقال تعالى: "وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠". (سورة الأنعام)

وقال أيضًا: "فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠". (سورة الأعراف)

51. وقال الدكتور أسعد: "أعاقه عن السفر، الصحيح: عاقه عن السفر"". (الأغلاط، ص 150)

أقول إنّ العوق يتعدى لمفعولين يدخل على المفعول الثاني حرفا جرّ هما: عن ومن فقال الشاعر:

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديم[3]

وأنشد ابن الأعرابي لقريط يصف الذئبَ:

حسبتَ بغامَ راحلتي عَناقًا، وما هي، ويب غيرك، بالعَناق

فلو أني رميتُكَ من قريبٍ لعاقكَ عن دعاء الذئب عاقِ[4]

[1] ديوانه، ص 126

[2] ديوانه، ص 571

[3] شرح ديوان الحماسة، 826/2

[4] لسان العرب: عنق، العَناق: أنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليها سنة

وقال العبّاس بن الأحنف:

تسلّيتم عني ولم أسلُ عنكم ولا عاقني، يا منيتي، عنك عائق[1]

52. وقال الدكتور أسعد: "غبطه على ما حصل عليه، الصحيح: بما حصل عليه". (الأغلاط، ص 151)

أقول إنّ كليهما غلط. فالصحيح غبطه إيّاه كما قال المرقش الأكبر:

يأتي الشبابُ الأقورينَ ولا تغبطْ أخاك أن يقال حكَم[2]

وقال عمرو بن قميئة:

لا تغبط المرء أن يقال له أضحى فلانٌ لسنّه حكما

إنّ سرّه طولُ عمره فلقد أضحى على الوجه صول ما سلما[3]

والباء من معدّيات (اغتبط) كما قال عبيد بن الأبرص:

إذ كلّنا ومِقٌ راضٍ بصاحبه لا يبتغي بدلًا فالعيش مغتبط[4]

وقال عُشّ بن لبيد العذري:

وبينما المرء في الأحياء مغتبط، إذا هو الرمسُ تعفوه الأعاصير[5]

وقال الشاعر:

لكنني بلذيذ العيش مغتبط كأنما هو شهدٌ شِيبَ بالحال[6]

53. وقال الدكتور أسعد: "غضب منه، الصحيح: غضب عليه"، قال تعالى: "غَيْرِ

[1] ديوانه، ص 193

[2] ديوان المرقشين، ص 72

[3] ديوان المرقشين، ص 72 (هامش)

[4] ديوانه، ص 79

[5] لسان العرب: غبط

[6] لسان العرب: حول

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، الفاتحة: 7. (ص 153)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال العطّاف بن أبي شفقرة الكلبي:

ولا تغضبوا مما أقول فإنما أنفتُ لكم مما يقول المعاشر[1]

وقالت الخنساء:

تحسبه غضبانَ من عزّه ذلك منه خُلُقٌ ما يحول[2]

وقال نابغة بني جعدة:

فنحن غِضابٌ من مكانِ نسائنا ويسفعنا حرٌّ من النار يُصطَلى[3]

وقال أكثم بن صيفي: "لا تغضبوا من اليسير فربما جنى الكثير".[4]

وقال شمر بن عمرو الحنفي:

ولقد مررتُ على اللئيم يسبّني فمضيتُ ثم قلتُ لا يعنيني

غضبان ممتلئًا عليّ إهابُه إني، وربّك، سخطُه يُرضيني[5]

وقال الحطيئة:

وإنّ التي نكّبتُها عن مَعاشرٍ غضابٍ عليّ أنْ صددتُ كما صدّوا[6]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

غضِب الإله على الزِبعري وابنه وعذابِ سوءٍ في الحياة مُقيم[7]

[1] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 205

[2] شرح ديوان الحماسة، 1046/2

[3] ديوانه، ص 130

[4] جمهرة خطب العرب، 302/1

[5] ديوان الأصمعيات، ص 126

[6] مختارات ابن الشجري، ص 443

[7] شرح ديوانه، ص 288

وقال جرير:

وما شكرتْ تيمٌ لقومٍ كرامةً وما غضِبتْ تيمٌ على من يُهينُها[1]

54. وقال الدكتور أسعد: "غفر عنه، الصحيح: غفر له"، قال تعالى: "نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ"، البقرة: 58. (ص 153)

أقول إنّ كليهما صحيح سوى أنّ الثاني أعمّ كما قال أوس بن حجر:

ألا أعتِبُ ابنَ العمّ إن كان ظالمًا وأغفر عنه الجهلَ إنْ كان أجهلا[2]

وقال عامر بن الظرب العدواني:

إني غفرتُ لظالمي ظلمي وتركتُ ذاك له على علمي
فرأيتُه أسدى إليّ يدًا لما أبان بجهله حلمي[3]

وقال الأحوص الأنصاري:

إذا أنا لم أغفر لأيمنَ ذنبَه فمن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي[4]

وقال الفرزدق:

ولو قطعوا يُمنى يديّ غفرتُها لهم والذي يُحصي السرائرَ كاتبُه
ولكن ديافيّ أبوه وأمُّه بحورانَ يعصرنَ السليطَ أقاربُه[5]

55. وقال الدكتور أسعد: "قرّرت الجامعة غلق أبوابها، الصحيح: إغلاق أبوابها". (ص 153)

[1] ديوانه، ص 483
[2] ديوانه، ص 82
[3] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 396
[4] شعره، ص 129
[5] ديوانه، ص 44

أقول إنّ كليهما صحيح فقال ذو الإصبع العدواني:

إني لعمرك ما بابي بذي غلَقٍ عن الصديق ولا خيري بممنون[1]

وقال المسيّب بن علس:

وكأنّ غزلان الصريمة، إذ متع النهارُ وأرشق الحدقُ
بحرٌ من المدّاد ذو حَدَبٍ سهلُ الخليقة ما به غَلَقُ[2]

والإغلاق مصدر "أغْلَقَ" كما أنشد أبو عبيدة:

وأغلقتْ بابَها في القصر واحتجبتْ عند اليآسة من مالي ومن ذَنَبي[3]

وقال معاوية بن حصن:

لقد علم الأضياف أني منزّل لهم مألف إذ بابُ غيريَ مُغلَق[4]

وقال جرير:

إنّ الفرزدقَ، يا مِقدادُ، زائرُكم يا ويلَ قدٍّ على من تُغلَقُ الدارُ[5]

56. وقال الدكتور أسعد: "لا فائدة منه، الصحيح: لا فائدة فيه، ونقول: أفاد منه". (الأغلاط، ص 156)

أقول: الصحيح "أفاد به" كما قال كثيّر عزة:

ليالي سُعدى في الشباب الذي مضى ونسوتُها بيضُ السوالف غيد
يباشرنَ فأرَ المسك في كل مهجعٍ ويُشرِقُ جاديٌّ بهنّ مُفيد

[1] ديوان المفضّليات، ص 160
[2] ديوانه، ص 108
[3] أساس البلاغة: ذنب
[4] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 306
[5] لسان العرب: قدد

فدَعْ عنك سلمى إذ أتى النأي دونها وأنت امرؤ ماضٍ- زعمتَ- جليد[1]

وكذا "استفاد به" كما قال كعب بن مُعدان الأشقري:

قتلى بقتلى قصاص يستفاد بها تشفي صدور رجال طالما وتروا[2]

وأما "من" فهي الداخلة على المفعول الثاني للاستفادة كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أريتَ امرءًا كنتُ لم أبلُه أتاني فقال: اتخذني خليلا

فخاللتُه ثم أكرمتُه فلم استفدْ من لدنه فتيلا[3]

57. وقال الدكتور أسعد: "فتح الله عليه، الصحيح: فتح الله له". (الأغلاط، ص 156)

أقول إنّ كليهما صحيح كما كتب أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى خالد بن الوليد: "إنِ اللهُ فتح عليك فعارقْ حتى تلقى عياضًا".[4]

ودعا أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لجيش يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام: "اللهم افتح لهم فتحًا يسيرًا".[5]

58. وقال الدكتور أسعد: "فرّ عن صديقه، الصحيح: فرّ من صديقه"، قال تعالى: "يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ"، عبس: 34. (الأغلاط، ص 157)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال يزيد بن المكسر:

مَن فرَّ منكم فرَّ عن حريمه وجارِه وفرّ عن نديمه[6]

---

[1] ديوانه، ص 195

[2] كعب بن مُعدان الأشقري (أموي)، حياته وما تبقّى من شعره، صنعة الدكتور: نوري حمودي القيسي، مجلة المورد، 2/5/صيف 1976م/ ص 95

[3] ديوانه، ص 53

[4] ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 326

[5] ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 365

[6] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 329

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

وكاد نساؤُهم يلقينَ غيًّا تُرِكنَ وفرَّ عنهنّ البعول[1]

وقال أبو جلدة اليشكري:

لعمري لأهلُ الشام أطعن بالقنا وأحمى لما تُخشَى عليه الفضائحُ
هم المُقدمون الخيلَ تدمى نحورُها إذا ابيضّ من هولِ اللقاء المسائحُ
فررنا عِجالًا عن بنينا وأهلنا وأزواجنا إذ عارضتْنا الصفائح
جبُنّا وما من موردِ الموت مهربٌ ألا قبُحتْ تلك النفوسُ الشحائح[2]

وجاء لنفس المعنى في قول الشاعر المخضرم عبد الله بن عَنَمة التالي:

فإن تجزع عليه بنو أبيه لقد فُجِعُوا، وفاتهم خليل،
بمطعامٍ إذا الأشوال راحتْ إلى الحُجَرات ليس لها فصيل
ومقدامٍ إذا الأبطال خامتْ وعَرَّدَ عن حليلته الحليل[3]

وفاتهم: مات قبلهم، وعَرَّدَ عنه: فَرَّ عنه.

وقالت هزيلة بنت مازن:

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساءً لا تفرّوا من الكحل[4]

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

فرّ مني حين لا ينفعه موقر الظهر ذليل المتضع[5]

[1] ديوانه، ص 134، بعل: بعول
[2] شعراء أمويّون، ص 386-387
[3] ديوان الأصمعيات، ص 37-38
[4] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 323
[5] ديوانه، ص 34

وقال الفرزدق:

وأني قد فررتُ إليه منكم إلى ذي المجد والحسب التليد
فرارًا من شتيم الوده وَردٍ، يُفِزَّ الأسْدَ خوفًا بالوعيد[1]

59. وقال الدكتور أسعد: "فشا الفساد في البلاد، الصحيح: تفشّى الفساد في البلاد". (الأغلاط، ص 158)

أقول: "فشا الفساد في البلاد" صحيح كما قال الأعشى الكبير:

قد بنى اللومُ عليهم بيتَه وفشا فيهم مع اللوم القَلَح[2]

وقال رؤبة:

وإنْ فشتْ في قومك المشاعثُ من إصرِ أدآتٍ، لها دآئث[3]

وروي عن النبي، صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أنه ذكر الخوارج فقال: التسبيد فيهم فاشٍ".[4]

وأمّا "تفشّى" فيتعدّى بالباء كما قال الشاعر:

تفشّى بإخوانِ الثقات فعمّهم، فأسكتَّ عني المُعوِلاتِ البواكيا[5]

60. وقال الدكتور أسعد: "قام العميد بتوزيع الجوائز، الصحيح: وزّع العميد الجوائز". (الأغلاط، ص 162)

أقول إنّ الجملة الأولى أيضًا صحيحة فللقيام المتعدّي بالباء دلالات عدة منها:

1. حَمَلَه: قال عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ:

هل المروءة إلا ما تقوم به من الذمام وحفظ الجار إن عتبا[6]

[1] ديوانه، ص 133
[2] ديوانه، 510/2
[3] لسان العرب: دأث
[4] لسان العرب: سبد
[5] لسان العرب: فشا
[6] ديوانه، ص 25

وقال جرير:

وإني قد رميتُك من تميم بعبء، لا تقوم به، ثقيل[1]

2. وأَشْبَهَه: قال حاتم الطائي:

وشكليَ شكلٌ لا يقوم بشكله من الناس إلا كلّ ذي خُلُقٍ مثلي[2]

3. ومَارَسَه: قال الكميت الأسدي:

إنّ الصريمةَ لا يقوم بمثلها إلا القويّ بها وأنت ضعيف[3]

وقال تعالى: "لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥". (سورة الحديد)

4. وجَزَاه: قال المخبّل السعدي:

فلا تدخلنّ الدهرَ قبرَك حوبة يقوم بها يومًا عليك حسيب[4]

5. وتَنَبَّه: قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

حتى إذا الليلُ ولّى قالتا زمرًا قوما بعيشكما قد نَوَّرَ السحرُ[5]

6. وثَارَ عليه: قال ابن حيّة:

لا أحرم الجارة الدنيا إذا اقتربتْ ولا أقوم بها في الحيّ أخزيها

ولا أكلّمها إلا علانية ولا أخبّرها إلا أناديها[6]

---

[1] ديوانه، ص 352

[2] ديوانه، ص 26

[3] ديوانه، ص 241

[4] عشرة شعراء مقلّون، ص 58

[5] ديوانه، ص 209

[6] موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 8

7. وتأتي ظرفية كما قال كعب بن زهير:

لقد أقوم مَقَامًا لو يقوم به، أرى وأسمع ما لو يسمعُ الفيلُ
لظلّ يرعد، إلا أنْ يكون له من الرسول، بإذن الله، تنويل[1]

وقال ساعدة بن جوية:

وقاموا قيامًا بالفِجاج وأوصدوا وجاء إليهم مُقبلًا يَتَوَرّدُ[2]

8. وتأتي للمصاحبة كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

وقام بناتي بالنعال حواسرًا وألصقنَ ضَرْبَ السِبتِ تحت القلائد[3]

9. وتأتي سببية كما قال تعالى: "وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾". (سورة الروم)

10. وتأتي معدّية كما قال الشنفري:

إذاما جئتِ ما أنهاكِ عنه فلم أنكِرْ عليك فطلّقيني
فأنتِ البعلُ يومئذ فقومي بسوطكِ لا أبا لك فاضربيني[4]

فالجملة الأولى صحيحة.

61. وقال الدكتور أسعد: "أقام في المكان، الصحيح: بالمكان". (ص 163)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال امرؤ القيس:

وإذا أذيتُ ببلدةٍ ودّعتُها ولا أقيم بغير دارِ مُقَام[5]

[1] ديوانه، ص 66، تنويل: تأمين
[2] ديوان الهذليين، 239/1
[3] ديوان الهذليين، 122/1
[4] ديوانه، ص 79
[5] ديوانه، ص 158

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فصار المؤمنون بدار خلد أقام لها بها ظلّ ظليل[1]

وقال ساعدة بن جوية:

ولا أقيم بدار الهون إنّ ولا آتي إلى الغدر أخشى دونَه الخَمَجا[2]

وقال عنترة بن شدّاد:

وألثِمُ أرضًا أنت فيها مقيمة لعلّ لهيبي من ثرى الأرض يبرد[3]

وقال زهير بن جذيمة العبسي:

يُقيمون في دارِ الحفاظ تكرّمًا إذاما فُنِيَّ القومِ أضحتْ خواليا[4]

وقال بعضهم:

رأيتُ أخا الدنيا وإنْ كان خافضًا أخا سفرٍ يُسرَى به وهو لا يدري

مقيمين في دارٍ نروح ونغتدي بلا أهبة الثاوي المقيم ولا السفْر[5]

62. وقال الدكتور أسعد: "تقاعس في واجبه، الصحيح: تقاعس عن واجبه". (الأغلاط، ص 166)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال الفرزدق:

وما روضةٌ جاد السِماكُ فُرُوجَها لها حَنوَةٌ بين الحُزُونة والسهل

بأطيبَ من بيت المُلاءة إذ غدتْ تقاعسُ في مِرطِ التصابي على مهل[6]

[1] شرح ديوانه، ص 266

[2] ديوان الهذليين، 210/2، الخَمَج: سوء الثناء

[3] شرح ديوانه، ص 54

[4] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 269

[5] شرح ديوان الحماسة، 711/2

[6] ديوانه، ص 434، سماك: نجم ماطر، ملاءة: امرأة

وجاء في الحديث: أنه مدّ يدَه إلى حذيفة فتقاعس عنه".[1]

ولك أن تقول: تقاعس الأمر به كما قال العجاج:

تقاعس العزّ بنا فاقعنسا فبخس الناسَ وأعيا البُخَّسا[2]

63. وقال الدكتور أسعد: "لم يكترث به، الصحيح: لم يكترث له". (الأغلاط، ص 172)

أقول: كتب ابن منظور في لسانه: "اكترث به واكترث له".[3] وأنا أميل إلى الباء لأنّ الأفعال التي تعني الاكتراث تتعدّى بالباء كما قال الشاعر:

يفديكِ يا زُرعَ! أبي وخالي،
قد مرّ يومانِ، وهذا الثالي
وأنتِ بالهجران لا تُبالي[4]

وقال المختار بن أبي عبيد الثقفي: "لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى".[5]

وقال عبد المسيح بن بُقَيلة الغسّاني:

وكافحتُ الأمورَ وكافحتني فلم أحفل بمعضلة كؤود[6]

وقال عبيد بن الأبرص:

إذا كنتَ لم تعبأ برأي ولم تطع لنصح ولا تصغي إلى قولِ مرشد
فلا تتقي ذمَّ العشيرة كلها، وتدفع عنها باللسان وباليد

[1] لسان العرب: قعس
[2] لسان العرب: قعس
[3] لسان العرب: كرث
[4] لسان العرب: ثلث
[5] جمهرة خطب العرب، 68/2
[6] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 405

وتصفح عن ذي جهلها وتحوطُها، وتقمع عنها نخوةَ المتهدّد[1]

وقال مسكين الدارمي:

ذريني أمّ مسكين ذريني فإن الحق يودي بالبعير
وناجية نحرتُ لشربِ صدقٍ ولم أعبأ بتصريف الأمور[2]

وقال كثيّر عزة:

فلو أبديتِ ودَّكِ أمَّ عمرو لدى الإخوان ساءهم الوليج
لكان لحبّك المكتوم شأنٌ على زمنٍ ونحن به نعيج[3]

وقال نابغة بني شيبان:

فهل شعران: شعرُ غنًا وحُكمٍ وشعرٌ لا تعيج به، سواء؟[4]

فالمبالاة، والحفل، والعبأ والعيج كلها تتعدّى بالباء.

64. وقال الدكتور أسعد: "كشف الأمرَ، الصحيح: كشف عن الأمر"، قال تعالى: "وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا"، النمل: 44. (الأغلاط، ص 173)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال علقمة الفحل:

وقالت متى يخل عليك ويُعتَلْ يسؤك وإن يُكشَفْ غرامُك تَدرَب[5]

وقال عنترة بن شدّاد العبسي بعدما لقي الشاعر عبلة في المنام:

وكشفتُ برقعَها فأشرق وجهُها حتى أعاد الليلَ صبحًا مسفرا[6]

---

[1] ديوانه، ص 58

[2] ديوانه، ص 35

[3] ديوانه، ص 192، وليج: بطانة وخاصة الرجل.

[4] ديوانه، ص 43

[5] ديوانه، ص 21

[6] شرح ديوانه، ص 72

وقال عنترة أيضًا:

إذا كشف الزمانُ لك القناعا ومدّ إليك صرفُ الدهر باعا[1]

وقال تعالى: "فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾". (سورة الأنعام)

وقال أيضًا: "فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾". (سورة الأنبياء)

وقال سعد بن مالك:

كشفتْ لهم عن ساقها وبدا من الشرّ الصُراح[2]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها بأبيضَ ساقٍ إلى الموت يُرقِل[3]

وقال الراعي النميري:

فلما علا ذاتَ التنانير مَريُه تكشف عن برقٍ ثقيلٍ صواعقه[4]

وقال تعالى: "قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ ...". (سورة النمل: 44)

وهو كذا يتعدّى لمفعولين تدخل على المفعول الثاني "عنْ" كما قال تأبط شرًا:

إذا كُشِفتْ عنها ستورُ شحا لها فمٌ، كفمِ العزلاء، فيحان فاغر[5]

وقال عمرو بن كلثوم:

كشفنا الخوفَ والسعَياتِ عنهم فكيف يغرّهم منا الغَرُور[6]

[1] شرح ديوانه، ص 90

[2] شرح ديوان الحماسة، 358/1

[3] شرح ديوانه، ص 270

[4] شعره، ص 110

[5] ديوانه، ص 80، شحا له: انفتح

[6] ديوانه، ص 43

وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك:

وأباك إذ كشف الإله به عنّا العمى، وأضاء كالفجر[1]

وقال تعالى: "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾". (سورة الأعراف)

وقال أيضًا: "وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾". (سورة ق)

65. وقال الدكتور أسعد: "كلّفه بإجراء التجربة، الصحيح: كلّفه إجراءَ التجربة"، قال تعالى: "لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"، البقرة: 286. (الأغلاط، ص 174)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال الأعشى:

فإني وما كلّفتموني بجهلكم، ويعلم ربي مَنْ أعقَّ وأحوبا[2]

وقال جرير:

قلبي حياتي بالحسان مُكلّف ويحبّهن صداي في الأصداء[3]

وقال أبو صخر الهذلي:

مُكَلَّفٌ بنَوَى ليلى ومِرّتها يا طولَ ليلك ليلًا غيرَ منصرم[4]

وقالت الخنساء، والنجم أخوها صخر،:

إذا نجمٌ تغوّر كلّفتني خوالدَ ما تؤوب إلى مآب[5]

[1] ديوانه، ص 234

[2] لسان العرب: عقق

[3] ديوانه، ص 15

[4] شعراء أمويّون، ص 110

[5] ديوانها، ص 17، خوالد: نجوم.

وقالت أيضًا:

أرعى النجومَ وما كُلِّفتُ رِعيَتَها وتارةً أتغشّى فضلَ أتماري[1]

وقال العجلان بن خليد:

فإن تشكروني تشكروا لي نعمةً وإن تكفروني لا أكلّفكم شكري[2]

وقال الشاعر:

وقلتُ لقلبي حين لجّ به الهوى وكلّفني ما لا أطيق من الحبّ

ألا أيها القلب الذي قاده الهوى أفِقْ، لا أقرَّ الله عينَك، من قلبي[3]

66. وقال الدكتور أسعد: "التفت له، الصحيح: التفت إليه". (الأغلاط، ص 181)

أقول إنّ كليهما صحيح. فالْتَفَتَ له يعني: التفت إليه واستمع له فللمعنى الأول قول الكميت بن معروف:

إذا التفتَ ابنُ العمّ للنصر سرّه إذا خاف إضرارَ الخصوم مكانيا[4]

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

لم تلتفتْ للداتها ومضت على غلوائها[5]

وللمعنى الثاني قول كعب بن سعد الغنوي:

وعوراءَ قد قيلتْ فلم ألتفتْ لها وما الكلِمُ العُورانُ لي بقَبُول[6]

[1] ديوانها، ص 54

[2] ديوان الهذليين، 113/3

[3] شرح ديوان الحماسة، 757/2

[4] شعره، ص 169

[5] أساس البلاغة: غلو

[6] أساس البلاغة: عور

ولذا يروى بيت كعب هذا كما يلي:

وعوراء قد قيلت فلم أستمع لها وما الكلمة العوراء لي بقبول[1]

والْتَفَتَ إليه يعني: رجع إليه النظر كما قال الفرزدق:

وهنّ رُدَافى، يلتفتنَ إليكم، لأسوُقها خلف الرجال قَعاقِعُ[2]

وقال أبو كبير:

فسهِرتُ عنها الكالئينَ، فلم أنمْ حتى التفتُّ إلى السِماكِ الأعزل[3]

وقال الشاعر:

فلمّا أعادتْ من بعيدٍ بنظرةٍ إليّ التفاتًا، أسلمتْها المحاجر[4]

67. وقال الدكتور أسعد: "ألقى عليه نظرةً، الصحيح: ألقى إليه نظرة". (الأغلاط، ص 181)

أقول: الصحيح هو الجملة الأولى فإنّ القائل لا يريد سوى أنه ألقى "النظر" على شيء ولم يرد إلقاء "النظرة إلى الشيء" فالإلقاء يتعدّى هنا لمفعولين تدخل على المفعول الثاني "على" لا "إلى" كما فهمه الدكتور أسعد. والدلائل على قولي كثيرة فقال تأبط شرًّا:

فخرّ كأنّ الفيلَ ألقى جرانَه عليه، فتَى شهم الفؤاد أسيل[5]

وقال دُوَيد بن زيد القضاعي:

ألقى عليّ الدهرُ رجلًا ويدا[6]

[1] ديوان الأصمعيات، ص 75

[2] ديوانه، ص 363

[3] لسان العرب: سهر

[4] لسان العرب: لفت

[5] ديوانه، ص 189

[6] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 341

وقال طفيل الغنوي:

فألقى عليه السيفَ حتى أجابه بفوّارةٍ تأتي بماء الأخادع[1]

وقال صِرمة بن أبي أنس الخزرجي:

وأين الذين يحضرون جِفانَه إذا قُدِّمَتْ ألقوا عليها المراسيا[2]

و"ألقى عليه المراسي" أي: أقلع عليه.

وقال الأخطل:

يا بِشرُ لولم أكنْ منكم بمنزلةٍ ألقى عليّ يديه الأزلمُ الجَذَعُ[3]

وقال الفرزدق:

ولا يومَ بِريانٌ تُكَسَّعُ بالقنا ولا النارَ لو يُلقَى عليهم سعيرُها[4]

وجاء في الحديث: "لما أراد الله أنْ يخلق لإبليس نسلًا وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته".[5]

وجاء في الأثر: "دخل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المسجد فدرأ الحصى درأة ثم ألقى عليه رداءه".[6]

وقال تعالى: "ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾". (سورة يوسف)

وقال: "أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾". (سورة طه)

---

[1] ديوانه، ص 134، أي بضربة فوارة-حذف الموصوف.

[2] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 389

[3] أساس البلاغة: جذع

[4] ديوانه، ص 318

[5] أساس البلاغة: شظي

[6] أساس البلاغة: ردء

وقال أيضًا: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾". (سورة ص)

وقال: "إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾". (سورة المزّمّل)

68. وقال الدكتور أسعد: "التقى بأخيه، الصحيح: لقي أخاه". (الأغلاط، ص 181)

أقول إنّ كليهما صحيح فإنّ الالتقاء يأتي لازمًا ومتعديًّا بنفسه أيضًا فاللازم يتعدّى بأحرف جرّ مختلفة منها الباء بمعنى: لقيه كما قال أمية بن أبي الصلت:

فسبّح ثم اغترّها فالتقتْ به غلامًا سويَّ الخلقِ ليس بتوأم[1]

وقال الحطيئة:

فما نِلتَنا غدرًا ولكن صبحْتَنا غداة التقينا بالمضيق بأخيل[2]

وقال الشاعر:

كأنّ عليها القسطلانيّ مُحملًا إذاما التقتْ شُقّاتُه بالمناكب[3]

وقال آخر:

كأنّ مُغيراتِ الجيوش التقتْ بها، إذا استحمشتْ غَليًا، وفاضتْ عُكُوبُها[4]

ومن شواهد تعدّي الالتقاء بنفسه ما قال عنترة بن شداد العبسي:

إذا التقيتُ الأعادي، يومَ معركة تركتُ جمعَهم المغرور يُنتَهَبُ[5]

وقال العباس بن مرداس:

فلم أر مثل الحيّ حيًّا مصبَّحًا ولا مثلَنا لما التقينا فوارسا

[1] ديوانه، ص 486

[2] ديوانه، ص 167، أخيل: شقراق يتشاءم به

[3] لسان العرب: قسطل

[4] لسان العرب: عكب

[5] شرح ديوانه، ص 24

أكرَّ وأحمى للحقيقة منهم وأضربَ منا بالسيوف القوانسا[1]

وأنشد الكسائي:

لما التقيتُ عُمَيرًا في كتيبته عاينتُ كأسَ المنايا بيننا بِدَدا

وَلَّيتُ جبهةَ خيلي شطرَ خيلهم وواجهونا بأسْدٍ قاتلوا أسْدا[2]

ومن شواهد تعدّي اللقاء بنفسه ما قال تأبط شرًّا:

فَهمٌ وعَدْوانُ قومٌ إن لقيتَهم خيرُ البرية عند كل مصبَّح

لا يفشلون ولا تطيش رماحُهم أهلٌ لغرّ قصائدي وتمدّحي[3]

وقال عنترة بن شدّاد:

فلو لاح لي شخصُ الحمام لقيتُ بقلبٍ شديد البأس كالجبل الراسي[4]

وقال حسّان بن ثابت:

تركتَ الدينَ والإيمانَ جهلًا غداة لقيتَ صاحبةَ النصيف[5]

وشواهد أخر كثيرة.

69. وقال الدكتور أسعد: "هذه لمحةٌ عن حياة ضيفنا، الصحيح: هذه لمحة إلى حياة ضيفنا". (الأغلاط، ص 182)

أقول إنّ كليهما خطأ، بل الصحيح: هذه لمحة من حياة ضيفنا كما قال النابغة الذبياني:

ألمحةٌ من سنا برقٍ رأى بصري أم وجهُ نُعمٍ بدا لي، أم سنا نار؟

[1] ديوان الأصمعيات، ص 205

[2] أساس البلاغة: بدد

[3] ديوانه، ص 75

[4] شرح ديوانه، ص 88

[5] شرح ديوانه، ص 223

بل وجهُ نُعمٍ بدا، والليلُ معتكر، فلاح من بين أثوابٍ وأستار[1]

وقال ذو الرمة:

وكنتُ أرى من وجهِ ميّة لمحةً فأبرقُ مغشيًا عليّ مكانيا[2]

70. وقال الدكتور أسعد: "يميل للشعر، الصحيح: يميل إلى الشعر". (الأغلاط، ص 187)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال عنترة بن شداد العبسي:

إذ أقبلتْ حدَقُ الفرسان ترمُقُني وكلَّ مقدامِ حربٍ مال للهرب[3]

وقال الفرزدق:

وتقول كيف يميل مثلُك للصبا وعليك من سمة الحليم عِذارُ[4]

وقال ابن الدمينة:

خليليّ روحا واذكرا اللهَ ترشُدا ومِيلا لوادي السَفح حيث تميل[5]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "--- فصغا رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره".[6]

وقال النابغة الذبياني:

أقول، والنجم قد مالت أواخره إلى المغيب: نثبت نظرة، حار[7]

وقال الكميت بن معروف:

ألا ليت حظّي من عُثيمةَ أنها تميلُ إليها أعينٌ وقلوبُ[8]

---

[1] ديوانه، ص 20-21

[2] ديوانه، ص 289

[3] شرح ديوانه، ص 36

[4] ديوانه، ص 323

[5] ديوانه، ص 37

[6] نهج البلاغة، ص 49

[7] ديوانه، ص 20

[8] شعره، ص 169

وقال وضاح اليمن:

صبا قلبي ومال إليك ميلا وأرّقني خيالُكِ يا أثَيلا[1]

وقال عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في خطبته بعد البيعة:

"ألا وإنّ الدنيا خضِرةٌ قد شُهِّيتْ إلى الناس، ومال إليها كثيرٌ منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا، ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة".[2]

71. وقال الدكتور أسعد: "مررت على مدنٍ جميلة، الصحيح: مررتُ في مدن جميلة". (الأغلاط، ص 188)

أقول إنّ كليهما صحيح، ولكنّ المرور بـ"في" يعمّ للانضمام إلى الشيء كما قال امرؤ القيس:

فعيناك غربا جدول في مفاضة كمرّ الخليج في صفيح المصوَّب[3]

وقال الفرزدق:

فذرْ عنك وصلَ الغانيات، وإنما تمرّ التوالي في طريق الأوائل[4]

وقال نهار بن توسعة:

اظعني من هراة قد مرّ فيها حججٌ مذ سكنتُها وشهور[5]

وقال قيس بن الملوّح:

فوالله ما أنساك ما هبّت الصبا وما ناحت الأطيارُ في وضح الفجر

وما اغطوطش الغربيبُ واسودّ لونُه وما مرّ طولَ الدهر ذكرُك في صدري[6]

---

[1] ديوانه، ص 77

[2] جمهرة خطب العرب، 101/1

[3] ديوان علقمة الفحل، ص31

[4] ديوانه، ص 454

[5] شعره، مجلة المورد، 4/4/شتاء 1975م/ص 98

[6] ديوانه، ص 34، غربيب: غراب شديد السواد، اغطوطش: اسودّ

ودليل المرور في المدينة قول الطرماح:

لئن مَرَّ في كِرمانَ ليلى، لربّما حلا بين شَطَّيْ بابلٍ فالمُضَيَّح[1]

وللمرور بـ"على" بمعنى البلد شواهد تالية:

قال امرؤ القيس:

سقى وارداتٍ والقليبَ ولعلعا مُلِثٌّ سماكيّ فهضبةَ أيهبا

فمرّ على الخَبتينِ خبتِ عنيزةٍ فذاتَ النقاعِ فانحى وتصوّبا[2]

وقال النابغة الذبياني:

أسائلُ عن سُعدى، وقد مرّ بعدنا، على عرصاتِ الدار، سبعٌ كوامل[3]

وقال أعشى طرود:

يا دارُ بين عَنازاتٍ وأكباد أقوتْ ومرّ عليها عهدُ آباد[4]

وقال المتلمس الضبعي:

خليليّ إمّا متُّ وزُحزحتْ منايا كما فيما يزحزحه الدهر

فمرّا على قبري فقوما فسلّما وقولا: سقاك الغيث والقطر يا قبر[5]

وقال تعالى: "أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ..."، (سورة البقرة: 259)

وجاء في سورة يوسف: "وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾".

[1] لسان العرب: مرّ

[2] ديوانه، ص 45

[3] ديوانه، ص 152، "سبعٌ كوامل" أي سبع سنين كوامل.

[4] الصبح المنير في شعر أبي بصير، ص 285، أبد ج: آباد

[5] ديوان شعره، ص 256

72. وقال الدكتور أسعد: "ماهر بكتابة المقال، الصحيح: ماهر في كتابة المقال". (الأغلاط، ص 191)

أقول إنّ الصحيح "مهر بكتابة المقال" كما قال زهير بن أبي سلمى:

أبناءَ حربٍ ماهرين بها تُغذى صغارُهم بحسنِ غذاء[1]

وقال رقيع الوالبي:

تسوفُ لطِرف العين أمًّا ورِقبةً شديدَ حزيمِ الزَور بالسير ماهر[2]

وقال الحطيئة:

فكفاكها سمحُ اليديـ ـنِ بصالح الأخلاق ماهر[3]

وقال العجاج:

بكلِّ أخلاقِ الشجاع قد مهرْ مُعاودَ الإقدام قد كرَّ وكرْ[4]

بل، وكلّ فعلٍ يعني المهارة يتعدّى بالباء كالحذق والخبر والطبّ والعلم وما شابهها.

73. وقال الدكتور أسعد: "نبحتْ عليه الكلاب، الصحيح: نبحته الكلاب". (الأغلاط، ص 195)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال العباس بن الأحنف:

حتى الكلابُ إذا رأتْ ذا ثروةٍ خضعتْ لديه وحرّكتْ أذنابَها

وإذا رأتْ يومًا فقيرًا عابرًا نبحتْ عليه وكشّرتْ أنيابَها[5]

[1] ديوانه، ص 23

[2] قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب، ص 34

[3] ديوانه، ص 92

[4] ديوانه، 50/1

[5] ديوانه، ص 63

وقال امرؤ القيس:

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحتْ كلابُك طارقًا مثلي[1]

وقال الأخطل:

فجاء وقد بلّتْ عليه ثيابُه سحابةُ مُسودٍّ من الليل أظلمَا

وفي ليلةٍ لا ينبحُ الكلبُ ضيفَها إذا نُبِّهَ المبلودُ فيها تغمغما

فلما أضاءتْه لنا النارُ، واصطلى أضاءتْ هِجَفًا مُوحِشًا قد تهَشَّمَا[2]

74. وقال الدكتور أسعد: "نهض من مكانه، الصحيح: عن مكانه". (الأغلاط، ص 202)

أقول: بل، الصحيح: نهض من مكانه كما قال زهير بن أبي سلمى:

بها العِينُ والآرام يمشين خِلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثَمَ[3]

75. وقال الدكتور أسعد: "هبط إلى الوادي، الصحيح: هبط الوادي"، قال تعالى: "ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا"، البقرة: 61. (الأغلاط، ص 205)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال العباس بن الأحنف:

فإذا هبطتِ إلى بلادٍ لم تزلْ تجري كواكبُ أهلها بالأسعُد[4]

وقال النابغة الذبياني:

وإن هَبَطَا سهلًا أثارا عجاجةً وإنْ عَلَوَا حزنًا تشظّتْ جنادل[5]

وقال دريد بن الصمة:

إذا هَبَطَ الأرضَ الفضاءَ تَزَيَّنَتْ لرؤيته كالمأتم المتبدِّد[6]

---

[1] ديوانه، ص 131

[2] ديوانه، ص 314

[3] ديوانه، ص 103

[4] ديوانه، ص 89

[5] ديوانه، ص 153

[6] ديوانه، ص 72

وكذا يعني: هبط به كما قال كعب بن مالك الأنصاري:

ولو هبطتم ببطنِ السيل كالفكم ضربٌ بشاكلة البطحاء ترعيل[1]

وجاء في حديث عطاء في مهبط آدم: "هبط بالعَلاةِ".[2]

76. وقال الدكتور أسعد: "أهدى إليّ كتابًا، الصحيح: أهداني كتابًا". (الأغلاط، ص 206)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال الأعشى الكبير:

إلى هوذة الوهّاب أهديتُ مِدحتي أرجّي نوالًا فاضلًا من عطائكا[3]

وقال العباس بن مرداس:

أبلغ أبا سلمى رسولًا يروعه ولو حلّ ذا وأهلي بعسجل

رسول امرئ يُهدي إليك رسالة فإنْ معشرٌ جادوا بعرضك فابخل[4]

وقال الشماخ:

نُبِّئتُ أنّ ربيعًا أنْ رعى إبلًا يُهدِي إليّ خناه ثاني الجيد[5]

ويعنيه "أهْدَى به إليه" كما قال المسيّب بن علس:

إني امرؤ مُهدٍ بغيبِ تحيّةٍ إلى ابن جُلَندَى فارسِ الخيل جَيْفَرِ[6]

ودليل المتعدّي لمفعولين قول مضرّس بن ربعي:

يا أيها الرجلُ المُهدِي قَوارصَه أبصرْ طريقَك لا يشخصْ بك البصرُ[7]

---

[1] ديوانه، ص 256، شاكلة: طرف، ترعيل: ضرب سريع

[2] لسان العرب: علو

[3] ديوانه، 263/1

[4] شرح ديوان الحماسة، 166/1

[5] ديوانه، ص 115

[6] ديوانه، ص 76

[7] الحماسة الشجرية، ص 237

بل توجد في اللغة العربية حروف جرّ أخرى تؤدّي هذا المعنى مثلًا: أهْدَاه عليه: قدّم له هدية كما قال عامر بن الطفيل:

لعمري لقد أهدى زيادٌ مقالةً علينا فهل إنْ كان ذا مِرّةٍ ضرر[1]

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

والله أبرحُ في مُقَدَّمةٍ أهدي الجيوشَ عليّ شِكّتيه

حتى أُفجّعَهم بإخوتهم وأسوقَ نسوتَهم بنسوتيه[2]

وأهْدَاه له: قدّم إليه خاصة كما قال النابغة الذبياني:

أَلِكْنِي إلى النعمان حيث لقيتَه فأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا[3]

وقال الأعشى الكبير:

وإذا بدتْ بين النساء رأيتَها كالشمسِ بازغة خلالَ غُيُوْم

أهدى لها العينينِ أحورُ شادنٍ والجيدَ، وائتزرتْ بدِعصِ صريم[4]

وقالت امرأة إسلامية قالت لزوجها تعاتبه:

أتهدي لي القرطاسَ والخبزُ حاجتي وأنت على باب الأمير بطين

إذا غبتَ لم تذكر صديقًا ولم تُقِم فأنت على ما في يديك ضنين

فأنت ككلبِ السَوء ضبّع أهلَه فيُهزِلُ أهلَ البيت وهو سمين[5]

77. وقال الدكتور أسعد: "هزأ مني، الصحيح: هزأ بي"، قال تعالى: "ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

[1] ديوانه، ص 71

[2] ديوانه، ص 100

[3] ديوانه، ص 47

[4] ديوانه، 720/2

[5] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 204

بِهِمْ"، البقرة: 15 (الأغلاط، ص 206)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال ذو الإصبع العدواني:

لا تهزئي مني زُنَيبُ فما في ذاك من عجبٍ ولا سخر[1]

وقال قيس بن الخطيم:

رضيتُ لعوفٍ أنْ تقول نساؤكم ويهزأنَ منهم: ليتنا لم نحارب[2]

وقال صُخَير بن عُمَير من بني تميم:

تهزأ مني أختُ آلِ طيسله
قالتْ أراه مُلِقًا لا شيء له
وهزِءتْ مني بنتُ موءَله[3]

وقال النمر بن تولب العكلي:

وهازئةٍ مني تودّ لَوَ ابنُها على شيمتي أو أنّ قِيّمَها مثلي[4]

وقال أعرابي:

فقلتُ لها: لا تهزئي بي فقلّما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا[5]

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

ألا هزِئتْ بنا قرَشيْـ ـيةٌ يهتزّ موكبها[6]

[1] ديوانه، ص 40
[2] جمهرة أشعار العرب، ص 513
[3] ديوان الأصمعيات، ص 234 وموسة شعراء العصر الجاهلي، ص 168
[4] ديوانه، ص 110
[5] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 112/1
[6] ديوانه، ص 121

وأنشد ابن الأعرابي:

لها عُكَنٌ تردّ النبلَ خُنسًا وتهزأ بالمعابل والقِطاع[1]

وقالت جارية من بني عامر بن صعصعة:

فلئنْ هزأتَ بسحقِ ثوبٍ ناحلٍ إني لمن قومٍ ذوي أخطار

لا يبطرون لدى اليسار ولا هم دُنُسُ الثياب يرون في الإعسار[2]

78. وقال الدكتور أسعد: "أوحى له، الصحيح: أوحى إليه"، قال تعالى: "فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ"، النجم: 10. (الأغلاط، ص 211)

أقول إنّ كليهما صحيح فقال تعالى: "إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣"، (سورة النساء)

وقال أيضًا: "وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١"، (سورة الأنعام)

وقال العجّاج:

الحمدُ لله الذي استقلّت بإذنه السماءُ واطمأنّت

بإذنه الأرضُ وما تعتّت أوحى لها القرارَ فاستقرّت[3]

وقال تعالى: "يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥"، (سورة الزلزلة)

79. وقال الدكتور أسعد: "وقاهم من الخطر، الصحيح: وقاهم الخطر"، قال تعالى: "فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ"، الإنسان: 11. (الأغلاط، ص 215)

[1] أساس البلاغة: عكن

[2] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 202

[3] ديوانه، 408/1

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال الحجاج بن يوسف:

وما لامرئ بعد الخليفة جُنّةٌ تقيه من الأمر الذي هو كاسبُه[1]

وبها يتعدّى الاتّقاء كما قال ابن مقبل:

فأخطلُ إنْ تسمعْ خواتي تَوَقّني كما يتّقي فرخُ الحُبارى من الصقر[2]

وأما شاهد المتعدّي بنفسه فقال النابغة الذبياني:

فإذا وُقيتِ، بحمد الله، شرّتَها فانجي، فزار، إلى الأطواد، فاللوب[3]

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

ألا إنّ خيرَ المال ما كفَّ أهلَه عن الذم، أو مالٌ وقى سوءَ مطعم[4]

وقال تعالى: "فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾". (سورة الطور)

80. وقال الدكتور أسعد: "أومأ له، الصحيح: أومأ إليه". (الأغلاط، ص 216)

أقول إنّ كليهما صحيح كما قال الراعي النميري:

بكى معوز من أن يلام وطارقٌ يشدُّ من الجوع الإزارَ على الحشى

فألطفتُ عيني هل أرى من سمينة ووطّئتُ نفسي للغرامة والقرى

فأبصرتُها كوماءَ ذات عريكة هجانًا من اللائي تمتّعن بالصُوى

فأومأت إيماءً خفيفًا لحبترٍ ولله عينا حبتر أيّما فتى

كأني وقد أشبعتهم من سنامها جلوتُ غطاء عن فؤاديَ فانجلى[5]

[1] موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 111

[2] ديوانه، ص 92

[3] ديوانه، ص 37

[4] ديوانه، ص 136، أهل: مالك

[5] شعره، ص 175-178، حبتر: اسم ولده. وفي لسان العرب (حبتر وأيا): "خفيًّا" بدل "خفيفًا".

وأنشد الأخفش في كتابه الموسوم بالقوافي:

إذا قلَّ مالُ المرء قلَّ صديقُه، وأومتْ إليه بالعيوب الأصابعُ[1]

ملخّص الدراسة: ظهر مما قدّمناه من الدراسة النقدية لكتاب "الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية" الذي ألّفه الأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجّار ونَشَرَتْه دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع بعمان في 2023م مشتملاً على 223 صفحة:

1. أنّ الكاتب استفاد بالكتب الكثيرة على هذا الموضوع والتي يبلغ عددها 66 مصدرًا ومرجعًا.
2. وأنه اكتفى بالإحالة إلى القرآن الكريم حيث أحال علمًا بأنّ القرآن ليس معجمًا ولا شاملاً كلَّ ما ورد في اللغة العربية.
3. وأنّه لم يستفد بكلام العرب مباشرة. فلو راجع كلام العرب واستفاد به مباشرة لما وقع في الأخطاء التي أشرتُ إليها.

فأشير على القرّاء لا سيّما الباحثين ألّا يخرّوا عميانًا على هذا الكتاب فإنه لا يخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.

[1] لسان العرب: ومأ

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م
3. أسجاعُ الكُهّان الجاهليين وأشعارهم، جمع وتحقيق ودراسة: ياسين عبد الله جمول، جامعة دمشق، العام الدراسي 2011-12م
4. الأشباه والنظائر في النحو للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد العادل سالم مكرّم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م
5. الأغلاط اللغوية والنحوية في الكتب والرسائل الجامعية للأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجّار، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م
6. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
7. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1933م
8. الحماسة الشجرية لابن الشجري، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحميصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م
9. خير المقال في صلات الأفعال للدكتور أورنك زيب الأعظمي، جمع وترتيب: د. محمد معتصم الأعظمي، مركزي ببليكيشنز، نيو دلهي، يناير، 2022م
10. ديوان ابن الدمينة، تحقيق: أحمد راتب النفّاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، غرة المحرّم، 1379هـ
11. ديوان ابن مُقبِل، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1995م

12. ديوان أبي الأسود الدُؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998م
13. ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، صنعة: الدكتور محمد شفيق البيطار، مطبوعات مجمع اللغة السعيدة، الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط1، 2020م
14. ديوان أبي دواد الإيادي، جمع وتحقيق: أنوار محمود الصالحي ود. أحمد هاشم السامرّائي، دار العصماء، سورية، ط1، 2010م
15. ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وشرح: د. أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، ط1، 2003م
16. ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة أبي هفان المهزمي البصري وعلي بن همزة البصري التميمي، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2000م
17. ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م
18. ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
19. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3
20. ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
21. ديوان الحارث بن حلزة بشرح الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م
22. ديوان الحطيئة، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة، درا الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م

23. ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
24. ديوان الرماح ابن ميادة، جمع وتحقيق: د. حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م
25. ديوان الشعراء المعمّرين، للدكتورة شمس الإسلام أحمد حالو، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2010م
26. ديوان الشماخ بن ضرار الشيباني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، د.ت.
27. ديوان الشنفري، جمع وتحقيق: د. إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 1996م
28. ديوان الطرماح، د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
29. ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954م
30. ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمع وتحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1991م
31. ديوان العجّاج، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م
32. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
33. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
34. ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م
35. ديوان المسيّب بن علس، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003م
36. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6

37. ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م
38. ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
39. ديوان النمر بن تولب العُكلي، شاعر مخضرم، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
40. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، بيروت، 1996م
41. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
42. ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الحميد السطلي، دمشق، 1974م، د.ت.
43. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988م
44. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م
45. ديوان بِشر بن أبي خازم الأسدي، تقديم وشرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م
46. ديوان تأبط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
47. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
48. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، 1981م

49. ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم: الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
50. ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
51. ديوان ذي الإصبع العَدواني، جمع وتحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدُلَيمي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973م
52. ديوان ذي الرمة، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
53. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار التب العلمية، بيروت، ط: 1، 1988م
54. ديوان سراقة البارقي الأصغر، تحقيق وشرح: حسين نصّار، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1947م
55. ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، مراجعة: محمد جبار المعيبد، دار الطباعة الحديثة، بصرة، العراق، ط1، 1972م
56. ديوان شعر المتلمس الضُبعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1970م
57. ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م
58. ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1979م
59. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د.ت.
60. ديوان عبيد بن الأبرص، بشرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م
61. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

62. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق وتقديم: د. فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، 1980م
63. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحقّقه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتّاب العربي، بيروت، ط1، 1991م
64. ديوان قيس بن الحطيم، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1962م
65. ديوان قيس بن الملوّح- مجنون ليلى، دراسة وتعليق: يُسري عبد الغني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م
66. ديوان كُثيِّر عَزّة، جمع وشرح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
67. ديوان كشاجم، دار العرب للبستاني، 1989م
68. ديوان كعب بن زهير، تحقيق: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م
69. ديوان كعب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق، سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966م
70. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
71. ديوان لقيط بن يعمر، تحقيق: د. عبد المعيد خان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م
72. ديوان ليلى الأخيلية، جمع وتحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية، دار الجمهورية، بغداد، 1967م
73. ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م
74. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصرى، بغداد، ط:1، 1970م

75. ديوان معاوية بن أبي سفيان، جمع وتحقيق وشرح: الدكتور فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م
76. ديوان معن بن أوس المزني، صنعة: د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، 1977م
77. ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د.ت.
78. ديوان وضاح اليمن، جمع وتقديم وشرح: د. محمد خير الدين البقاعي، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م
79. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمع وترتيب: بشير يموت، المطبعة الوطنية، ط1، 1934م
80. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
81. شرح ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، ط1، 2011م
82. شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
83. شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي، جمع: حاتم الضامن وضياء الدين الحيدري، مطبعة المعارف، بغداد، 1973م
84. شعر الخوارج، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م
85. شعر الراعي النميري وأخباره، جمع وتقديم وتعليق: ناصر الحاني، دمشق، 1964م
86. شعر الكميت بن معروف الأسدي، حاتم صالح الضامن، مجلة المورد، 4/4/شتاء 1975م
87. شعر عروة بن أذينة، تحقيق: د. يحيى الجبوي، دار القلم، الكويت، ط2، 1981م

88. شعر هدبة بن الخشرم العذري، صنعة الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986م
89. شعراء أمويون، د. نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م
90. شعرالأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1990م
91. الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آدلف هلزهوسنين، بيانة، 1927م
92. عشرةُ شعراء مقلّون، صنعة: أ.د. حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، 1990م
93. علقمة الفحل، شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م
94. قس ابن ساعدة الإيادي للدكتور أحمد الربيعي، مطبعة النعمان، بغداد، 1974م
95. قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك البغدادي، د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م
96. كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
97. كتاب الوحشيات، أبو تمام الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزيادة: محمود محمد شاكر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968م
98. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
99. مالك ومتمّم ابنا نويرة اليربوعي لابتسام مرهون الصفّار، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م
100. مجلة المورد الفصلية الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ للنشر، العراق

101.مختارات شعراء العرب لهبة الله بن علي أبي السعادات العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م

102.موسوعة شعراء العصر الجاهلي لعبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م

103.نصوص محقّقة في اللغة والنحو، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1991م

104.نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط4، 2004م

105.النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م

ISSN: 2321-7928

تعليم اللغات الأجنبية والثانية
في منظور العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي

- د. موسى عيسى زين الدين[1]

مستخلص البحث

هذا بحث عنوانه: (تعليم اللغات الأجنبية والثانية في منظور العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي). وقد هدف هذا البحث إلى بيان أعمال العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي فيما يخص تعليم واكتساب اللغات الأجنبية والثانية، واستخدم في إجرائه المنهج الوصفي. وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- وضع تشومسكي قواعد ثابتة قادرة على تفسير طبيعة اللغة.

2- تحدث تمشوسكي عن بعض المصطلحات، مثل: القدرة والإنجاز، والبنية السطحية والبنية العميقة، إلخ.. غير أنها خضعت لمجموعة من التطورات والتعديلات.

3- نتيجة الإصداء والانتقادات التي تلقاها من تلامذته أو علماء اللغة بصفة عامة، استدرك من خلالها النقائص التي عرفها النموذج الذي قبله.

الكلمات المفتاحية: اللغة الأجنبية، اللغة الثانية، منظور، تشومسكي.

مقدمة

قد عرف القرن الماضي ثورة علمية كبيرة مسّت مجال اللغة بشكل خاص؛ إذ

[1] محاضر في قسم اللغة العربية، جامعة الإعلام والفنون والاتصالات بدولة غانا، وقد أشرف على هذا البحث الأستاذ إلياس أبوبكر، معيد في قسم اللغة العربية، جامعة الإعلام والفنون والاتصالات بدولة غانا والأستاذ سليمان شمس الدين أحمد مدرس في مدرسة عباد الرحمن الثانوية في كوماسي

اكتسحت اللغويات مختلف الحقول المعرفية، حتى غدا هذا القرن قرن اللسانيات بامتياز. فبعدما ذاع صيت اللسانيات البنيوية، وأصبح الباحثون والدراسون على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم العلمية والفكرية يتعاملون مع أعمالهم المعرفية، وفق أسس وقواعد النهج البنيوي اللساني الذي قعّد له دي سوسير، ظهر تشومسكي ليؤسّس مدرسة لغوية جديدة، قائمة على مبادئ مغايرة لما سبقها من المدارس اللسانية، ولاسيما المدرسة البنيوية، ومستثمراً في الوقت نفسه، جهود بعض أساتذته المنتمين إلى التيار التوزيعي، مثل زيليك هاريس. وهذه المدرسة التي نتحدث عنها، هي المدرسة التوليدية التحويلية التي أضحت حديث زمانها، وما زالت قائمة تطور مشروعها اللساني، عبر جهود وأعمال الساهرين والقائمين على العمل في هذا التخصص.[1]

فأصبحت نظرية تشومسكي اللسانية بمثابة طفرة حقيقية غيّرت من مسار اللسانيات، ورسمت لها طريقًا نحو تحقيق نجاحات باهرة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الوقوف على جهود العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي في اكتساب اللغة وتعلها لغة ثانية أو أجنبية.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعرف على شخصية وإنجازات العالم اللغوي تشومسكي.

2- التعرف على نظريته التوليدية التحويلية.

3- التعرف على قصد تشومسكي بالنحو الكلي (Universal Grammar).

4- الوقوف على أهم الانتقادات التي وجّهت إليه.

[1] - https://www.alukah.net/literature_language/0/107383/

أهمية البحث:

إن لكل علم رجاله الذين بذلوا جهدًا كبيرًا في الارتقاء به، فإنّ العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي من أهم الرجال الذين كرّسوا حياتهم لخدمة اللغة, ويجدر الإشارة إلى أنّ هذا البحث أجري للوقوف على جهود العالم اللغوي تشومسكي في مجال اكتساب اللغة وتعلمها.

الفصل الأول: التعريف بالعالم نعوم تشومسكي

تعريف العالم نعوم تشومسكي:

ولد نعوم تشومسكي في مدينة فيلاديلفيا في تاريخ 7 ديسمبر/ كانون الأول من عام 1928م، نشأ مع شقيقه الأصغر ديفيد ضمن عائلته والتي كانت من الطبقة الوسطى، كان نعوم تشومسكي عبقريًا حيث نال درجة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة بنسلفانيا، ومنذ عام 1955م أصبح أستاذًا في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وأنتج نظريات رائدة ومثيرة للجدل حول القدرات اللغوية البشرية وارتباطها بالدماغ، كما يتم نشر أعمال تشومسكي على نطاق واسع سواء في المواضيع التي تتعلق بمجاله أو بقضايا المعارضة والسياسة الخارجية للولايات المتحدة.[1]

أهم إنجازات نعوم تشومسكي:

يعتبر نعوم تشومسكي مؤسّس علم اللسانيات الحديث، وهو أحد أكثر العلماء الذين استشهد بهم في التاريخ الحديث بما يخص مجال علم اللسانيات، حيث ألّف نعوم الكثير من الكتب ذات العلاقة والتي أحدثت فرقًا في هذا العلم، ومن بين كتبه الرائدة كتاب "الهياكل النحوية" و"اللغة والعقل" و"جوانب نظرية بناء الجملة "، وكذلك ألّف أكثر من 100 كتاب عن الحروب والسياسة ووسائل الإعلام، وكان آخرها

[1] - Noam Chomsky", 2022. Biography, Michegan, USA Retrieved Edited.

"قداس الحلم الأمريكي: المبادئ العشرة لتركيز الثروة والسلطة".[1]

تعليم نعوم تشومسكي:

نال تشومسكي تعليمه الأساسي في مدرسة أوك لين كونتري دي، وانتقل في سن الثانية عشرة للمدرسة الثانوية في سنترال فيلاديفيا وهناك انضم لنوادٍ ومجتمعات مختلفة، ثم بدأ بدراسة الفلسفة واللسانيات في جامعة بنسيلفينيا في عام 1945م.[2]

الخلافات السياسية التي انخرط بها نعوم تشومسكي:

أفكار تشومسكي لم تقتصر على اللغة وحدها بل اكتسب أيضًا سمعة بسبب آرائه السياسية، والتي يُنظر إلى بعضها على أنها مثيرة للجدل ومنفتحة للغاية، وفي عام 1979م وقّع تشومسكي على عريضة لدعم حقوق حرية التعبير، حيث وجد نفسه وسط جدل محتدم، وأكد أنّ آراءه تتعارض تمامًا مع استنتاجات غيره.[3]

المدخل لدراسة أعمال نعوم تشومسكي:

للأشخاص المهتمين بمعرفة أعمال نعوم تشومسكي والقضايا التي ناقشها فإنّ كتاب روبرت بارسكي "نعوم تشومسكي: حياة المعارضة" يعتبر البداية للدخول في عالمه، والذي ناقش فيه أدبيات تشومسكي وعصره وما قدّمه من قضايا فكرية، حيث جعل مساهمات تشومسكي في النظرية اللغوية والعناصر الرئيسية لنظرته السياسية للعالم واضحة لعامة القراء، كما غطّى بارسكي في كتابه معظم الأحداث والقضايا التي يعتبرها أصدقاء تشومسكي أساسية في الستينيات والسبعينيات.[4]

---

[1] - Noam Chomsky" 2017. Linguistics Arizona, Arizona University, USA, Retrieved

[2]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] - Noam Chomsky", 2022. Biography, Michegan, USA Retrieved Edited.

[4] - Robert F Barsky, 2022. "Noam Chomsky A Life of Dissent, Mitpress, Ohio, USA, Retrieved Edited.

الفصل الثاني: تعريف اللغة عند تشومسكي ودي سوسير

تعريف اللغة عند تشومسكي:

- تمثل اللغة ظاهرة معقدة، وتعريفها أكثر تعقيدًا، فمنذ العصور التوراتية، سعى الناس للعثور على إجابات للسؤال: ما هي اللغة؟ وكيف يتم تحقيق التواصل؟ وحاول العديد من الفلاسفة والمنظّرين معالجة هذا السؤال من خلال الملاحظة والتجريب والدراسة.
- نتيجة هذه الدراسة تتكون من مزيج معقد يتبعه فهم، فقد تمكن اللغويون من إيجاد إجابات متنوعة لهذا السؤال مثل تحديد سمات اللغة البشرية المختلفة والعمليات المشتركة في التحدث والاستماع ومراحل التطور ليس فقط في اللغة بشكل عام، بل في اللغات الفرعية أيضًا، وهناك الكثير مما يحتاج إلى توضيح؛ على سبيل المثال، لماذا نستخدم اللغة وكيفية استخدامها في التواصل والتحكم والإعلام والاستفسار أو القيام بكل هذه الأمور.

تعريف اللغة عند دي سوسير:

- أصرّ دي سوسير على الطبيعة المنهجية للغة.
- أوضح أنّ اللغة تشبه الهيكل، حيث يتم تحديد العناصر المختلفة فيها بواسطة بعضها البعض، وتشمل العناصر المدمجة في اللغة صيغ المشروط واللغة.
- تشير اللغة إلى ما يتعلق بالكلام والإفراج المشروط والأداء الفعلي للمتحدثين عند التحدث أو الكتابة، بالإضافة إلى علم اللسانيات، الذي يمثّل المعرفة أو الكفاءة التي يمتلكها جميع المتحدثين بلغتهم.
- تحدّث جميع التغييرات في اللغة في الإفراج المشروط أثناء الكلام الفعلي، ولكن تُصبح فقط بعض هذه التغييرات مؤسسية في اللغة.

- يشير دي سوسير إلى أنه لا ينبغي الخلط بين اللغة والكلام البشري، فهي نظام أو بنية من الرموز اللغوية، كما يؤكد أنّ العناصر اللغوية مترابطة وأنّ وجهة النظر هي التي تحدّد موضوع الدراسة اللغوية. وبسبب اعتماد الكثير على وجهة النظر، فإنّ طبيعة الإشارة اللغوية متغيرة وعرضة للتحكم.[1]

التعريف اللغوي للغة:

- **علم اللغة:** علم اللغة هو دراسة اللغة، وكيفية تجميعها وعملها، والفروق بينه وبين علم اللسانيات. يتم دمج العديد من العناصر الأساسية من أنواع وأحجام مختلفة لتكوين اللغة. يتم جمع الأصوات معًا، وأحيانًا يتغير شكلها وتقوم بأشياء ممتعة. يتم ترتيب الكلمات بترتيب معين، وأحيانًا يتم تغيير بدايات الكلمات ونهاياتها لتعديل المعنى. ثم يمكن أن يتأثر المعنى نفسه بترتيب الكلمات ومعرفة المتحدث بما سيفهمه المستمع. وعلم اللغة هو دراسة كل هذا. هناك العديد من فروع علم اللغة التي تم تسميتها، واللسانيون هم الأشخاص الذين يدرسون اللسانيات.
- **علم الصوتيات:** هو دراسة أصوات الكلام. تشمل فهم كيفية تشكيل الأصوات باستخدام الفم والأنف والأسنان واللسان، وأيضًا فهم كيفية استقبال الأذن لتلك الأصوات وتمييزها. تشمل دراسة الصوتيات التدريب على إنتاج أصوات غريبة أحيانًا وفهم الصوت الذي يسمع. يمكن تحليل شكل الموجة لكل صوت بمساعدة برامج الكمبيوتر. في لغة الإشارة، تستخدم الأصوات للإشارة إلى الأشكال والحركات والاستخدامات الممكنة للمساحة المادية.

يستفيد علم الأصوات من أجل معرفة كيفية ترتيب الأصوات أو العلامات في نظام لكل لغة. في علم الأصوات، من المهم أن تكون الأصوات متناقضة أم

[1] - https://mqalla.com/ 25/02/2024/ 12:18am.

لا، أي ما إذا كان استبدال صوت بآخر يعطي معنى مختلفًا أو "تباينًا". على سبيل المثال في اللغة الإنجليزية، [r]و [l] صوتان مختلفان وتختلف الكلمتان "road"و "load" وفقًا لأيّ من هذه الأصوات يتم استخدامه. لكن في بعض اللغات، [r]و [l] هي اختلافات في الصوت نفسه. لا يمكنهم أبدًا إحداث فرق في المعنى في الكلمات التي تختلف من خلال هذا الصوت فقط.

يدرس العلماء أصوات الحروف الساكنة والمتحركة المتناقضة في اللغة، وكيف يؤثر موضع الصوت في الكلمة والأصوات المجاورة على النطق، ويهتمون أيضًا بالمقاطع والعبارات والإيقاع والنغمة والتنغيم.

- **علم الصرف:** يهتم علم الصرف بتفكيك الكلمات إلى وحدات أصغر تسمّى الصرفيات، وتشمل ذلك إضافة وحذف الأصوات والحروف والكلمات الأخرى لتشكيل كلمات جديدة. فمثلاً، تتكون الكلمة الإنجليزية untied من ثلاثة أجزاء، حيث يعني واحد منها العكس والآخر يشير إلى الحركة السابقة والأخير يدل على الماضي.
- تتباين طرق تجميع الكلمات معًا بين اللغات المختلفة، ويتفاعل علم التشكيل بطرق مهمة مع علم الأصوات، حيث يمكن أن يؤدي تجميع الأصوات معًا إلى تغييرها وبناء الجملة، وهذا يتطلب الانتباه إلى شكل الكلمة عند تجميعها مع كلمات أخرى.
- **بناء الجملة:** هي دراسة كيفية بناء الجمل ودمجها في لغات معينة. وتتطلب كتابة القواعد تحديد القواعد اللغوية التي تحكم بناء الجمل، وتشمل هذه القواعد ترتيب الكلمات وشكل الكلمات في مواقعها المختلفة الممكنة. وهناك أنماط شائعة حتى بين اللغات غير المرتبطة، ويعتقد العديد من اللغويين أنّ هذا الأمر يرجع إلى المبادئ العامة التي تنطبق على معظم، إن لم يكن كل اللغات.[1]

[1]- المرجع السابق، الموقع نفسه.

نظرية تشومسكي في اكتساب اللغة:

في الستينيات، اقترح اللغوي نعوم تشومسكي فكرة ثورية وقال: لقد ولدنا جميعًا ولدينا معرفة فطرية بالقواعد التي تشكل أساسًا لاكتساب اللغة بالكامل. بعبارة أخرى، تعتبر اللغة غريزة أساسية للبشر. لكن النظرية قوبلت منذ فترة طويلة بانتقاد واسع النطاق حتى الآن. تقدم دراسة جديدة أدلة دامغة تشير إلى أنّ تشومسكي ربما كان على حق طوال الوقت.

من الواضح أنّ القدرة على المشي منتصبة لفترات طويلة هي قدرة بشرية، إنه يميزنا عن أقرب أقربائنا من الناحية الجينية. ومع ذلك، فإنّ المشي فطري ومكتسب على حد سواء، وبينما يولد كل طفل بالآليات الأساسية اللازمة للقيام بذلك، فإنّ المهارة لن تظهر أبدًا بدون إرشادات وأمثلة مناسبة.

أشار تشومسكي إلى أنّ اللغة تشبه القدرة على المشي إلى حد كبير. وعلى الرغم من أنّ الإنسان يتعلم اللغة بالقدوة والفطرة، فإنه اقترح أننا جميعًا نولد بفهم أساسي للآليات الأساسية للغة.

عمل تشومسكي المعروف بالقواعد العامة هو السبب في تعرف البشر على العبارات الصحيحة نحويًا والتي لا معنى لها، مثل الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بشراسة`. أظهرت الأبحاث السابقة قدرتنا على التمييز بين الكلمات وغير الكلمات حتى بدون فهم اللغة، وهذه المهارة تمتلكها الأطفال غير اللفظيين أيضًا. لقد فشل الباحثون منذ فترة طويلة في إثبات وجود هذه المعرفة الغريزية في القواعد أيضًا.

تشير وجهة النظر الأكثر شيوعًا حول اكتساب اللغة إلى أنّ البشر يتعلمون اللغة من خلال ملاحظة وحفظ الإشارات النحوية. تفترض هذه النظرية أنّ فهمنا للغة مبني فقط على الخبرة، وليس على ميزة معالجة اللغة الداخلية. ومع ذلك، استخدم

باحثون من جامعة نيويورك مؤخرًا تقنية جديدة لإثبات أنّ نظرية تشومسكي ربما كانت واقعية طوال الوقت على عكس هؤلاء العلماء الآخرين الذين كانت أفكارهم سابقة لعصرهم.[1]

الفصل الثالث: نظرية النحو التوليدي لتشومسكي

مفهوم نظرية النحو التوليدي لتشومسكي:

لقد نالت هذه النظريّة رواجًا كبيرًا، ولم تكن هذه القصيدة وليدة العصر الحديث، بل ظهرت جذورها لدى العرب القدامى، وكان يمثّلها ابن خلدون الذي قال إنّ اللغة هي ملكة لسانية ظهرت في البداية على شكل طبع وفطرة، ثمّ تحصل هذه الملكة بممارسة الكلام, إلا أنّ العرب لم يضعوا مصطلحًا لتأسيس هذه القاعدة، وقد صرّح تشومسكي أنّه استفاد من العرب في نظريته، وذلك من خلال اهتمامه بدراسة النحو العربي، ومفهوم نظريّة تشومسكي حول اكتساب اللغة بأنّ الطفل يولد ولديه استعداد فطري يساعده على اكتساب اللغة, انتقد قولهم إنّ اللغة هي سلوك تجريبي يتقنه الطفل عن طريق المؤثرات الخارجيّة أو التّقليد.

مراحل تطور نظرية تشومسكي: لقد مرّت هذه النظرية بعدة مراحل, وهي كالتالي:

مرحلة البنى التركيبية:

في هذه المرحلة اقترح تشومسكي ثلاث طرائق للتّحليل النحوي، وهذه الطرائق هي: "قواعد بنية العبارة" وتشمل قواعد الحالات المحدودة التي تبيّن عدم قدرتها على التفسير، ولا سيّما في التراكيب غير البسيطة، وهي القوانين الشّكلية التي تضبط الجملة وتحكمها، وذلك على النحو الآتي: الجملة مركب اسمي + مركب فعلي، مثال: أكل الطفل التفاحة. المركب الاسمي أداة + اسم، مثال: الـ + تفاحة المركب الفعلي فعل

[1] الموقع نفسه. المرجع السابق

+ مركب اسمي، مثال: أكل + الطفل اسم طفل، وتفاحة الأداة أل فعل أكل.[1].

مرحلة القواعد التحويلية:

ظهرت هذه القواعد لضبط ترتيب الجمل ترتيباً صحيحًا، وذلك للتبسيط النحوي والتغلب على القصور الواقع في قواعد بنية العبارة، والقول بالتحويلات يفترض بدايةً وجود جملة رئيسة أساسية هي الجملة الخبرية المبنية للمعلوم؛ أي التي لم تجر عليها أيّ تحويلات.

مرحلة القواعد الصرفية الصوتية:

في هذه المرحلة تُوظف القواعد في الأمور التي تنتج عن قواعد بنية العبارة والقواعد التحويلية، ويكون عمل هذه القواعد كاملًا مختصرًا في إعطاء الجملة المكتوبة صورتها المنطوقة.

مرحلة النظرية النموذجية:

في هذه المرحلة يتناول تشومسكي ثلاثة مكوّنات، وهي كالآتي: المكوّن النظمي هذه المرحلة توازي المرحلتين الأولى والثانية من المرحلة السّابقة، وفيها قواعد إعادة الكتابة، والمكوّن المعجمي الذي يُعنى بإدراج المفردات المعجمية في مكانها، والعلاقة الواقعة بين الكلمة ومعناها. المكوّن الفونولوجي وهو ما يعنى بتتابع عدد من الفونيمات يميّز كلًّا منها مجموعة من الملامح الفونولوجية. المكوّن الدّلالي وهو الإضافة الجديدة للنظريّة، ويقصد به أنّ التّكوين النحوي والترتيب النحوي للكلمات هو الذي يشير إلى المعنى الدلالي للكلمات.

مرحلة النظرية النموذجية الموسعة:

في هذه النظرية أضاف تشومسكي مجموعة من الإضافات على النظرية السابقة، وقد اعتمد في بناء هذه النظرية على فرضيّتين، وهما على النحو الآتي: الفرضية المعجمية هذه الفرضية تُبنى على اعتبار معاني المفردات الأصليّة، إضافة لاعتبار كل ما يشتق

[1] عبد الرحمن الشيخ، 2014. عبد الحليم بونات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه، دار الفكر، بيروت، لبنان. ص27-40. بتصرّف.

منها من مفردات. الفرضية التفسيرية تُبنى هذه النظرية كذلك على اعتبار رؤية المتكلّم من تركيز وقصد واهتمام أو ما يناقض ذلك، وغيرها من المراحل.[1]

الفصل الرابع: آراء وانتقادات حول نظرية تشومسكي

وُجِّهَ لنظرية تشومسكي كثيرٌ من الانتقادات، منها في العالم العربي ومنها في العالم الغربي، وتفصيل ذلك كما يأتي:

النقد العربي: وجه لنظرية تشومسكي كثير من الانتقادات في العالم العربي، ومن أبرزها ما يأتي:

رأي أحمد ياقوت: إنّ من أبرز الذين انتقدوا نظرية نعوم تشومسكي الباحث العربي أحمد ياقوت الذي قال إنّ آراء تشومسكي في اللغة هي عبارة عن ادعاءات منمّقة ينقصها الدليل والإثبات، فإنّ الممارسات اللغويّة التي كانت تجرى في المدارس العربيّة هي ذاتها التي أشار إليها تشومسكي وادعى أنّه من أوجدها وأسماها بالآلية لتوليد الجمل.[2].

رأي محمد الخولي: يرى الخولي أنّ النظرية اعتمدت على الحدس في كثير من مواطنها، والحدس أمرٌ غير علمي ولا يخضع للملاحظة المباشرة، إضافة إلى تغيّر هذا الحدس بتغيّر الأشخاص فهو إذًا غير ثابت.[3]

النقد الغربي: تعرضت نظرية تشومسكي لانتقادات واسعة في العالم الغربي، من أبرزها ما يأتي:

رأي جيفري سامسون: كان النقد الغربي لنظرية تشومسكي أوسع من النقد العربي

[1]- محمد الصاوي، 2004. اللسانيات ومناهج تعليم العربية: لسانيات تشومسكي نموذجًا، مكتبة الحكمة، الرياض، السعودية، ص 80-100. بتصرّف.

[2] محمد الصاوي، 2004. اللسانيات ومناهج تعليم العربية: لسانيات تشومسكي نموذجًا، المرجع السابق، ص 100-102. بتصرّف

[3] محمد علي الخولي، 1998. دراسات لغوية، المرجع السا بق، ص 52. بتصرّف.

بكثير، ولعلّ أبرز من استطاع أنْ ينتقد النظرية باتساع كبير الباحث جيفري سامسون صاحب كتاب "مدارس اللسانيات التسابق والتطور"، فقد رأى سامسون أنّ الأبحاث اللغوية لتشومسكي هي الأبحاث الأقل جهدًا لديه، ورأى أنّ النظرية التحويلية هي نقطة سلبية في تاريخ اللسانيات.[1]. كان مما أخذه على تشومسكي أنّ حديثه عن الكليات اللغوية، ما هو إلا نزاع على الألفاظ؛ فالكلية اللغوية الرئيسة هي اللغة، والطريقة لمعرفة هذه الكليات هو الاستقراء، ونظرية تشومسكي لم تقم على الاستقراء.[2]. أخذ عليه كذلك استخدام مصطلح "عقلانية النشاط اللغوي" وعدم استخدام مصطلح "السلوك اللغوي"، ولو كان النشاط اللغوي نشاطًا عقليًّا كان لا بدّ له أن يجمع أمورًا يشترك فيها الجنس البشري كافة، ولا سيّما اللغة، وهذا ما غاب عن تشومسكي وهو يضع نظريته الجديدة. رأى مجموعة من الباحثين الغرب نظر تشومسكي تجاه اللغة بأنّها ظاهرة فردية، وهو بذلك قد قال نصف الحقيقة وأغفل نصفها الثاني، فاللغة كذلك ظاهرة اجتماعية ولها مهمات اجتماعية تسعى لتحقيقها لكي تكون على قدر آمال أبناء المجتمع.[3].

أهم النتائج التي توصل إليها البحث: توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- وضع تشومسكي قواعد ثابتة قادرة على تفسير طبيعة اللغة.

2- تحدث تمشوسكي عن بعض المصطلحات، مثل: القدرة والإنجاز، والبنية السطحية والبنية العميقة، إلخ.. غير أنها خضعت لمجموعة من التطورات والتعديلات.

3- نتيجة الإصداء والانتقادات التي تلقاها من تلامذته أو علماء اللغة بصفة عامة، استدرك من خلالها النقائص التي عرفها النموذج الذي قبله.

[1] جيفري سامسون، 1994. مدارس اللسانيات التسابق والتطور، دار الفكر، بيروت، لبنان.ص 135- 150. بتصرّف

[2] المرجع السابق، الصفخة نفسها.

[3] محمد الصاوي، اللسانيات ومناهج تعليم العربية: لسانيات تشومسكي نموذجًا، المرجع السابق، ص 102.

قائمة المصادر والمراجع

1. جيفري سامسون، 1994. مدارس اللسانيات التسابق والتطور، دار الفكر، بيروت، لبنان.
2. عبد الرجمن الشيخ، 2014. عبد الحليم بونات، اكتساب اللغة لدى الطفل بين تشومسكي وجان بياجيه، دار الفكر، بيروت، لبنان.
3. محمد الصاوي، 2004. اللسانيات ومناهج تعليم العربية: لسانيات تشومسكي نموذجًا، مكتبة الحكمة، الرياض، السعودية.
4. محمد علي الخولي، 1998. دراسات لغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
5. Noam Chomsky" 2017. linguistics.arizona, Arizona university, USA, Retrieved
6. Noam Chomsky", 2022. biography, Michegan, USA Retrieved Edited.
7. Robert F Barsky, 2022. "Noam Chomsky A Life of Dissent, mitpress, Ohio, USA, Retrieved Edited.
8. https://www.alukah.net/literature_language/0/107383/
9. https://mqalla.com/ 25/02/2024/ 12:18am.

ISSN: 2321-7928

الريج فيدا كتاب الهندوس المقدّس، دراسة وصفية

- د. علاء الدين محمد إسماعيل[1]

الملخص

يؤمن الهندوس بعدد كبير من الكتب المقدّسة وكل كتاب من هذه الكتب كانت بوحي من إله من الآلهة، لكن تأتي الفيدات الأربعة (الريج فيدا والياجور فيدا والساما فيدا وآتور فيدا) بصدارة الكتب المقدّسة من حيث الأهمية عند كافة الطوائف الهندوسية، حيث تعد بمنزلة دائرة معارف هندية.

كما يحظى الريج فيدا بعناية زائدة بسبب كونه أقدم الكتب المقدّسة كما في الأدبيات الهندوسية، فهم يعتقدون أنه مكتوب قبل بدء التاريخ.

وتأتي الدراسة هنا لتتحدث عن تاريخ كتاب الريج فيدا والآراء حول زمن تداوله الأول والذي كان تناقله بين الرهبان بطريقة شفوية، كما يتحدث البحث عن زمن تدوينه وكتابته في الصحف، مع مناقشة أقوال المستشرقين وعلماء الهنديات حول أقدمية هذا الكتاب وصحته.

كما يتطرق البحث إلى الحديث عن تقسيمات الريج فيدا، وطبعاته وترجماته في عصرنا الحالي.

الكلمات المفتاحية: الهندوسية، الريج فيدا، الكتب المقدسة، الأديان.

تعريف الفيدا

الفيدا لغة: هي مشتقة من كلمة "ود" معناه بالسنسكرتية العلم والحكمة.[2]

[1] جامعة قطر- كلية الشريعة

[2] Monier-Williams, Monier (1899). A Sanskrit-English Dictionary: Etymologically and Philologically Arranged with Special Reference to Cognate Indo-European Languages. Oxford: Clarendon Press.

وفسّرها البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة ..." بأنها: "العلم بما ليس بمعلوم".[1]

ويرى البعض أنّ كلمة (فيدا) هي كلمة سنسكرينية تعني المعرفة أو بتعبير أدقّ (المعرفة بامتياز) وهي تعبير للنواميس الطبيعية عن ذاتها.[2]

يقول الهندوس إنّ الفيدا هي (أبوروشيا) (apauruṣeya) وتعني "ليس من إنسان" أو "غير شخصي" أي" بدون مؤلف"، يعنون بذلك أنّ هذه الفيدا هي فوق طاقة البشر".[3]

وقال أحمد حسن الزيات: "لكلمة (الفيدا) عدة معان أدقّها: (العلم عن طريق الدين بكل ما هو مجهول) وينجم عن هذا التعريف أن تكون (الفيدا) منبع جميع المعارف الهندية من: ديانات وأخلاقيات ونظريات علمية أو اجتماعية، وهي تحتوي أورادًا تعبدية وأناشيد دينية، وتعاويذ سحرية نزل بها الوحي من عند الله على قلب (براهما) فتلاها على الناس فاستظهروها وأخذوا يتعبدون بتلاوتها دون أن يكتنهوا أسرارها".[4]

ويقول رءوف شلبي: "فهي قبل أن تكتب وتخطها الأصابع معناها التأمل وبعد أن صارت مكتوبة معناها مجموعة الكلمات التي تنظم حياة أتباعها للوصول إلى المعرفة المنشودة".[5]

ويصفه البيروني بقوله: "ويتضمن (بيذ) الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب ومعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة".[6]

واصطلاحًا: "هو الكتاب المقدس عند الهندوس ويحتوي على أناشيد وترانيم وأشعار

---

[1] تحقيق ما للهند من مقولة ص88.

[2] لويس صليبا، الفيدا، ص 75.

[3] أبتي ، فامان شيفارام، القاموس العملي السنسكريتي-الإنجليزي (الطبعة الرابعة المنقحة والموسعة) ، دلهي، Motilal Banarsidass، 1965م

[4] مجلة الرسالة، الفلسفة الشرقية، العدد 208، ص56.

[5] رءوف شلبي، الأفكار القديمة في الشرق، ص80.

[6] تحقيق ما للهند من مقولة، ص88.

وأساطير تتحدث عن عقائد وعادات وغزوات وتاريخ الهنود في تلك الحقبة".

وفي عصرنا خصّ لفظ فيدا بأربعة كتب وهي: (الريج فيدا) و(الياجور فيدا) و(السآم فيدا) و(الآتور فيدا).[1]

لكن يبدو أنّ الفيدا اسم لأكثر من أربعة كتب، فهي مجموعة كبيرة من الكتب، كلّ كتاب يطلق عليه اسم الفيدا.

وقد ذكر (نجومان) أنّ عدد الفيدات أربعة عشر كتابًا وهي كالآتي:

1- 4 الويدا

5- 10 الويدانج

الكتاب الحادي عشر: (ميماما) وهو الفلسفة الدينية لمحتويات الفيدا.

الكتاب الثاني عشر: (نيابا) وهو الأسس العقلية للتفكير الديني.

الكتاب الثالث عشر: (فورانا) (بوران) وهي الكتب القديمة.

الكتاب الرابع عشر: (داراما سسترا) أي كتب القوانين الفيدية وتسمّى أيضًا (ويدا سمرتي) أو (قانون منو).[2]

ويمكن أن نقول إنّ فيدا هو دائرة معارف هندية تتحدث عن كل ما يرتبط بالشعب الهندي على امتداد قرون عديدة، ويعد أقدم النصوص الدينية لدى كثير من علماء الأديان، والكتاب يضم مجموعة كبيرة من الكتب التي تتكلم عن الآلهة والتناسخ والأفكار والأساطير والعادات والقوانين، والتي كانت بالأصل تعاليم شفهية، دُوّنت باللغة السنسكريتية القديمة في الفترات المتفاوتة من الزمن وكتب على يد مجموعة كبيرة من الرهبان والحكماء والعلماء والشعراء.

[1] ضياء الرحمن الأعظمي، ص 20.

[2] انظر: رءوف شلبي، الأفكار القديمة في الشرق، ص 82.

الريج (ريك) فيدا[1]

وتعني كلمة الريج فيدا: الدعاء والثناء ومعرفة الترانيم.

واصطلاحًا: هو مجموعة من التراتيل تألفت من امتزاج بين قبائل الآريين وأهل الهند الأصليين وهو الذي يصف الحياة الاجتماعية الأولى لطائفة الآريين الهنود وآرائهم البسيطة في الكون والإنسان.

تاريخ تأليف الريج فيدا وتداوله شفويًا: ويعتبر الريج فيدا أصل الكتب المقدسة وأشملها، ويرى الهندوس أنها وثيقة ذات أهمية تاريخية لا تُقدر بثمن، فهي- عندهم- ليست أقدم عمل أدبي في لغة من لغات الهندوأوروبية فحسب، وإنما هو أقدم الكتابات الدينية الحية في العالم.

ولعل أشهر وأقدم مَنْ أطلق نظرية أقدمية ريك فيدا هو الباحث الألماني ماكس موللر حيث قال في كتابه "تاريخ الأدب السنسكريتي القديم": "إنّ الريج فيدا هو أقدم كتاب في العالم فأناشيد البراهمة القدسية هذه تقف عاليًا دون أن تجد ما يوازيها في آداب العالم بأجمعه والمحافظة على هذه الأناشيد عبر كل هذه الأجيال حتى تصل إلينا أمر يستحق أنْ نسمّيه معجزة".[2]

ويوافقه المؤرخ ول ديورانت في أقدمية الريج فيدا حيث يقول: "هذا الكتاب الذي هو أقدم كتاب ظهر بين الشعوب".[3]

وينقل الفرنسي فيلسيان شالي عن الألماني سودربلوم (soderblom) في كتابه "تاريخ الأديان: "ريج فيدا هو أقدم كتاب مقدس عرفته البشرية وهو يتضمن أقدم أدب

[1] ترجمه إلى الإنجليزية Ralph T.H. Griffith وقد اعتمدت على هذه الترجمة في البحث،
[2] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، مكتبة بيبليون، ص 52.
[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، الهند وجيرانها، ص 40.

للآريين وأقدم وأكبر مجموعة من الأناشيد الطقسية نعرفها حتى الآن ومن الصعب تحديد تاريخ له".[1]

وتبعهم في هذا الرأي معظم الباحثين الهندوس حيث يقول ماهاديفان (mahadevan) رئيس قسم الفلسفة في جامعة مدراس: "ثمة إجماع بين العلماء المعاصرين أنّ الريج فيدا هو أقدم كتاب عرفته الشعوب الهندو- آرية بشكل خاص والبشرية بشكل عام".[2]

ويقول جواهر لال نهرو أول رئيس وزراء الهند: "الريج فيدا هو أول الكتب التي حازتها البشرية ففيها نجد الفيض الأول للعقل الإنساني ألق الشعر، مع النشوة المرافقة لجمال الطبيعة وسحرها".[3]

ورغم اتفاق الباحثين الغربيين والهندوس على أنّ "ريج فيدا" هو أقدم المؤلفات في العالم، ولكنهم يختلفون في تحديد زمان تأليفه.

ويرى لويس صليبا أنّ سبب الاختلاف: "هو أن الهند نفسها لم تهتم بالمعطيات التاريخية وسريان الزمن، ولا نجد بالتالي آثارًا ودلائل عن أزمنة وعصور التاريخ الهندي، يمكننا من خلالها تحديد زمن دقيق لريج فيدا".[4]

والذي أراه أنّ سبب استحالة تحديد تاريخ لريج فيدا هو أنّ الطريقة الوحيدة لحفظ الكتب المقدسة في الغالب كانت عبر النقل الشفوي، والحفظ، وتأخر استعمال الكتابة في الهند حتى وقت طويل.

وأيضًا من أسباب ذلك أنه تم حصر تداول الفيدا بين الرهبان من طبقة البراهمة فقط،

[1] فيلسيان شالي، موجز تاريخ الاديان، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس، ط1، 1991م، ص 70.
[2] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، مكتبة بيبليون، ص 51.
[3] جواهر لال نهرو، اكتشاف الهند، ترجمة: فاضل جتكر، وزارة الثقافة دمشق، 1989م، 1/ 118.
[4] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 55.

وحرم الرهبان تدوين الكتب المقدسة، ولا يزال إلى يومنا هذا هناك عائلات تتوارث أبًا عن جد حفظ الفيدا وترتيله ويعد هذا العمل عندهم من أشرف الأعمال وأهمها.

وأيضًا من الأسباب الهامة عدم وجود دلائل من المواقع الأثرية أو اللفائف المخطوطة تسعفنا في معرفة تاريخ تقريبي لكتابة الريج فيدا، فأوّل مَنْ كتب عن الفيدا هو العلامة أبو الريحان البيروني، وأقدم ما وصلنا من دلائل مادية يرجع تاريخه إلى ما قبل خمسمئة سنة فقط، وهذا أمر غريب جدًا، ويحمل في طياته تناقضات حول الحركة العلمية في الهند في ذلك الزمان، فالفيدا يدل على أنّ الأمة الهندية كانت أمة متحضرة تمتلك رصيدًا لا بأس به من المعارف الفلسفية، وإنّ أمة بهذه الحضارة ينبغي أن تدوّن تراثَها على الأحجار أو على جدران المعابد أو على جلود الحيوانات ونحوها، لكن في حالتنا هذه لا نجد أيّ أثرٍ يساعدنا في تحديد تاريخ تقريبي لتدوين الكتب المقدسة.

ويقرّ لويس صليبا باستحالة تحديد فترة زمنية تقريبية لريج فيدا حيث يقول: "لذا فإنّ الدراسات الحديثة تحدّد لريج فيدا تاريخًا يتراوح بين ستة آلاف وألفي سنة قبل الميلاد، وقبل أن نستعرض هذه التقديرات والأبحاث نشير إلى أنها تبقى نسبية في مجملها ذلك لأنها تركز غالبًا على الأثر المكتوب أكثر من التقليد الشفهي السابق له والتقليد الشفهي يمكن أن يمتد في الهند إلى آلاف السنين".[1]

ويرى البعض أنه قد تم نقل نصوص الريج فيدا شفهيًا منذ الألفية الثانية قبل الميلاد.[2]

ويقول لويس رينو وجان فيلّوزات: "كل هذه الآداب (الفيدية) قد حفظت شفهيًا وهذا الأمر الذي يصعب علينا تخيله لا يمكن أن يشرح إلا بالمجهود العظيم الذي بذله

[1] المصدر نفسه، ص 55- 56.

[2] دواير، راشيل (2013)، ماذا يعتقد الهندوس ؟، جرانتا بوكس ، ISBN 978-1-84708-940-3.
Dwyer, Rachel (2013), What Do Hindus Believe? Granta Books, ISBN 978-1-84708-940-3.

أناس عبر أجيال عديدة للإبقاء على هذه العلوم وحفظ النصوص بشكل فائق الدقة".[1]

ومما لا شك فيه أنّ ريج فيدا هو أقدم نص فيدي سنسكريتي معروف.[2] كما أنه أقدم النصوص التي وصلتنا في أيّ لغة هندو أوروبية.[3]

لكن من الصعوبة بمكان الإقرار أنّ هذا النص هو أقدم النصوص الدينية في العالم أجمع، فلا يوجد دليل مادي يدعم هذا الزعم، وسنلاحظ أنّ هناك فجوةً كبيرةً في تحديد تاريخ تأليف الفيدا بين عالم وآخر.

النظريات حول تاريخ تأليف الريج فيدا

رأي علماء الهندوس: ينظر لريج فيدا في التراث الديني الهندوسي على أنه كتاب دوّنه الإله، فهو كتاب أزلي سرمدي قديم قدمَ العالم يمتد تاريخه إلى بدايات الخليقة، فلا يقاس الفيدا بالزمن، وقد جاء في قانون منو: "وخلق من النار ريج ويد، ومن الهواء ياجور ويد، ومن الشمس سام ويد".[4]

وجاء في كتاب (كارما ميمانسا) لجيميني وهو أحد أنظمة فلسفة الهندوسية الستة قال: "ليست نصوص الفيدا مخلوقة بل هي قائمة بذاتها وخالدة".[5]

يقول روبير كفوري: "إنه بحسب البورانا والمهابهاراتا فالمسألة الزمنية غير مطروحة ذلك لأنّ أولى الإلهامات الفيدية تأتي في فجر الخليقة" ويعقب كفوري على استشهاده بهذين الأثرين حول تاريخ ريج فيدا: "إنه أبعد من تحاليل المنطق الاستدلالي".[6]

---

[1] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 65.

[2] Stephanie W. Jamison; Joel Brereton (2014). The Rigveda: 3-Volume Set. Oxford University Press. p. 3.

[3] Edwin F. Bryant (2015). The Yoga Sutras of Patañjali: A New Edition, Translation, and Commentary. Farrar, Straus and Giroux. pp. 565–566.

[4] منو سمرتي، ص 17.

[5] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 63.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص 62-63.

يقول شري أوروبند: "الفيدا هو إبداع عصر سابق لفلسفاتنا الفكرية وفي ذلك العصر الأزلي انتهج الفكر طرقًا وقواعد مختلفة عن منطق الكلام والبرهان الذي تعتمده اليوم في أنماط التعبير".[1]

ويرى بعض علماء الهندوس أنه كتب قبل أكثر من ستة آلاف سنة.[2]

يقول جون كولر (رئيس قسم الفلسفة في معهد رنسلر في الولايات المتحدة): "أما التراث فهو ينظر إلى الحكمة الفيدية على أنها تتجاوز الزمن، وليس لها مؤلف بعينه وهذه الحكمة تتجلى لأفئدة أشخاص عظام امتدت تجربتهم للجوهر الداخلي للوجود".[3]

وما ذكره علماء الهندوس من أنّ الفيدا خارج عن الزمان وسابق له، سببه العاطفة والأساطير التي تتناقلها الألسن دون مستند، وهي تتناسب مع اللاعقلانية التي تمتاز بها الميثولوجيا الهندوسية، ولا من يؤيدها من علماء الغرب المهتمين بالهندوسية ولا حتى أشد المتحمسين للفيدا لعلمهم أنّ هذه التواريخ ليس لها أدلة تدعمها.

نظرية تيلاك وجاكوبي: يرى تيلاك (tilak) وجاكوبي (jacobi) أنّ تاريخ كتابة الفيدا كان قبل (2500) ق. م، وزمنه على الأقل (3500) قبل الميلاد.

ويرى جاكوبي أنّ عصر الفيدا بين (4500 إلى 2500) قبل الميلاد وتأليف ريج فيدا في النصف الثاني من هذه الحقبة.

فيما يحدّد تيلاك العصر الأقدم في الحضارة الآرية بين 6000 و4000 قبل الميلاد، واستند تيلاك وجاكوبي في هذه النتائج إلى حسابات فلكية معقدة.

وقد تعرضت نظرية تيلاك وجاكوبي إلى انتقادات كثيرة من علماء الفيدا مثل

[1] علي زيعور، الفلسفات الهندية، ص 326.

[2] Why Read Rig Veda، SRI AUROBINDO KAPALI SHASTRY INSTITUTE OF VEDIC CULTURE p:3 .

[3] جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل حسين، عالم المعرفة، ط1، 1995م، ص 44.

ماكدونل (macdonell) ويبر (weber) أولدنبرغ.(oldenberg)

ويرى أولدنبرغ (oldenberg) أنّ عام 1200 قبل الميلاد هو تاريخ تقريبي مقبول لريج فيدا.[1]

ويقول العالم الغربي منترتان: إنّ تأليفه كان في زمان يُقارب 2500ق م"، وهذا العهد أقرب إلى ما يُقدره بعض علماء الهندوس المتأثرين بالفكر الغربي، وهو يُنافي قولهم: إنه أزلي كقدم العالم.[2]

نظرية ماكس موللر: يرى ماكس موللر في كتابه (تاريخ الأدب السنسكريتي القديم) الذي نشر سنة (1859م) أنّ هناك إطارًا زمنيًا لتدوين ريج فيدا ويمكن اختصاره في حقبتين:

الأولى: من 1200 قبل الميلاد إلى 1000 قبل الميلاد وهي حقبة تشندز أي الوزان وفي هذه الحقبة وضعت أناشيد ريج فيدا الأكثر قدمًا.

الثانية: من 1000 قبل الميلاد إلى 800 قبل الميلاد وهي حقبة منترا، وفيها وضعت الأناشيد الأقل قدمًا كما وضع فيها كتابي (السما فيدا) و(الياجور فيدا).

وقد لاقت هذه النظرية استحسان كثير من علماء الهنديات من البريطانيين والأمريكيين وبقيت هذه النظرية مقبولة إلى حد ما حتى وقتنا هذا.[3]

ويرى البعض أنّ الأدلة اللغوية تشير إلى أنّ الجزء الأكبر من الريج فيدا ألّف في المنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية، على الأرجح بين 1500 و1000 قبل الميلاد،[4] وبعضهم توسع فقال إنّ زمن تأليفه كان بين 1900-1200 قبل الميلاد.[5]

---

[1] ينظر: لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 56-57.

[2] ينظر: الأعظمي، ص 23.

[3] ينظر: لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 58- 58.

[4] أنتوني ، ديفيد و. (2007)، الحصان العجلة واللغة. كيف شكل ركاب العصر البرونزي من السهوب الأوراسية العالم الحديث، مطبعة جامعة برينستون، ص 454.

[5] Lucas F. Johnston, Whitney Bauman (2014). Science and Religion: One Planet, Many Possibilities. Routledge. p. 179.

نظريات غربية أخرى حول تاريخ تأليف ريك فيدا: ويقول لويس رينو وجان فيلّوزات: "إنّ مجموعة الآداب الفيدية تتدرج ضمن حدين زمنين لا يمكن تحديدهما بشكل دقيق مع الأسف، لقد انتهى تأليفهما أو كتابتهما قبل عصر بوذا في حين كانت بدايتها معاصرة أو تالية مباشرة لدخول الآريين إلى الهند وضمن هذه الحقبة يمكن تحديد النصوص المختلفة، وبما أنّ (ريج فيدا) هو الأقدم تاريخيًا كما يتوافق على ذلك جميع الباحثين فيكون زمنه وقف هذين الباحثين معاصرًا لدخول الآريين".[1]

ويقول فليسيان شالي: "إنّ ريج فيدا قد ألّف ما بين 1000-1500 قبل الميلاد، لكن أقدم الأناشيد تعود فيما يظن إلى القسم الأول من الألف الثاني قبل الميلاد".[2]

تطور ريج فيدا من النقل الشفوي إلى التدوين: ويتفق علماء الهنديات على أنّ نص الريج فيدا الذي يدعى (سمهيتا) هو النص الذي حقّقته وجمعته مدرسة شاكالا (shakala) نِسبة إلى مؤسّسها شكالية (shakalya) ويرى غريسولد أنّ هذا النص كتب سنة (600) قبل الميلاد ويقول: "إنه النص الوحيد لريج فيدا ويشبهه غريسولد بمصحف عثمان رضي الله عنه مصدر كل النسخ الحالية للقرآن كما يقول.[3]

يقول رينو وجان فيلّوزات: "كل هذه الآداب الفيدية قد حفظت شفهيًا وهذا الأمر الذي يصعب علينا تخيله لا يمكن أن يشرح إلا بالمجهود العظيم الذي بذله أناس عبر أجيال عديدة للإبقاء على هذه العلوم وحفظ النصوص بشكل فائق الدقة هذا التقليد انتقل من عصر إلى عصر وبشكل دقيق شفهيًا وكتب في عصر حديث نسبيًا وأقدم المخطوطات لا تفوق قيمتها شهادة الرجال الذين لا يزالون إلى يومنا هذا يحملون

[1] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص59.
[2] فيلسيان شالي، موجز تاريخ الأديان، ص 70.
[3] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص70.

ويحفظون في ذاكرتهم أقسامًا كبيرة من الفيدا".[1]

ويحاول علماء الهنديات أن يجيبوا عن السؤال الأهم وهو متى بدأ تدوين الفيدا؟

والجواب عن هذا السؤال يكون عادة عبر افتراضات تحوطها التكهنات من هؤلاء العلماء دون جزم منهم لمعرفتهم أنهم لا يملكون أدوات تساعدهم على تحديد تاريخ صحيح لتدوين الفيدا.[2]

ويرى جون كولر أنّ فترة تناقل الفيدا شفهيًا تصل إلى سبعة آلاف سنة تقريبًا. فيما يحاول غريسولد أن يعطينا جوابًا تقريبًا حول تاريخ كتابة الفيدا فيذكر أنّ الكتابة قد دخلت إلى الهند في القرن الثامن قبل الميلاد كما يقول (بوهلر) فقد اقتصر استعمالها لقرون طويلة في معاملات التجارة وما شابها، ويفترض غريسولد أنه من مصلحة البراهما أن تبقى النصوص الفيدية وبالأخص الريج فيدا متداولة في محيط البراهمة فقط وألا تنتشر لهذا أبقوا تناقل هذه النصوص بشكل شفويّ، فلم تكتب حتى بعد دخول الكتابة إلى الهند، ولكن يبقي غريسولد الباب مفتوحًا حول تاريخ محدد لتدوين الفيدا[3] فتحديد جدول زمني لتدوين الفيدا ولو بشكل تقريبي هو أمر أشبه بالمستحيل بناء على المعطيات التي بين أيدينا فلا يوجد ما يساعد على تبنّي أيّ من الآراء حول هذا الأمر.

ويرى البعض أنّ التدوين استمر عشرات السنوات أو ربما مئات السنوات حتى أصبح بشكله الحالي الذي نعرفه اليوم.

ويستشهد رينو بالنصوص التي أوردها أبو الريحان البيروني فيما يخص الفيدا حيث عقد البيروني فصلًا كاملًا في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) بعنوان: "في ذكر بيذ والبرانات" حيث يقول: "بيذ " تفسيره العلم بما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله

[1] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 65

[2] جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ص 44.

[3] ينظر: لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص66

تعالى من فم "براهم" ويتلوه "البراهما" تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلمونه كذلك فيما بينهم يأخذه بعضهم من بعض ثم لا يتعلم تفسيره إلا قليل منهم وأقل من ذلك من يتصرف في معانيه وتأويلاته على وجه النظر والجدل؛ ويعلمونه "كشتر" ويتعلمه من غير أن يطلق له تعليمه ولو لبرهمن، ثم لا يحل لبيش ولا لشودر أن يسمعاه فضلاً عن أن يتلفظا به ويقرآه وإن صحّ ذلك على أحدهما دفعته البراهمة إلى الوالي فعاقبه بقطع اللسان؛ ويتضمن بيذ الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة؛ ولا يجوزن كتابته لأنه مقروء بألحان فيتحرجون عن عجز القلم وإيقاعه زيادة أو نقصانًا في المكتوب لهذا فاتهم مرارًا فإنهم يزعمون أنّ في مخاطبات الله تعالى مع إبراهم في المبدأ على ما حكاه "شونك" ناقله كوكب الزهرة عنه: إنك ستنسى "بيذ" في الوقت الذي يغرق فيه الأرض فيذهب إلى أسفلها فلا يتمكن من إخراجه غير السمكة حتى يسلمها إليك وأرسل الخنزير حتى يرفع الأرض بأنيابه ويخرجها من الماء؛ ويزعمون أيضًا أن بيذ كان اندرس في جملة من اندرس من رسوم دينهم ودنياهم في "دوابر" الأدنى وهو زمان نذكره في بابه حتى جددها "بياس بن براشر" ، وفي "بشن بران": أنه يتجدد في أول كلّ زمان من أزمنة "مننتر" صاحب نوبة يملك أولاده كلّ الارض ورئيس يرأس العالم وملائكة يعمل لهم قرابين النار "بنات نعش" "يجددون بيذ البائد" في آخر كل نوبة، ولأجل ذلك انتدب بالقرب من زماننا "بسكر" الكشميري[1] من إجلاء البراهمة لتفسير بيذ وتحريره بالكتبة واحتمل من الوزر ما كان يتحرج عنه غيره إشفاقًا عليه أن ينسى فيضيع عن الخواطر وذلك لما رأى من فساد نيات الناس وقلة رغبتهم في الخير بل في الواجب؛ ثم يزعمون أن فيهم مواضع لا تقرأ في العمارت خوفًا من إسقاط حبالى الناس والبهائم فيصحرون لقرائتها ولا يخلو منسوق من أمثال هذه التهاويل؛ وقد كنا قدمنا من

[1] هو (فازوكرا) (vasukra)

كتبهم أنها مقدرة بأوزان كالأراجيز وأكثرها بوزن يسمّى "شلوك" للسبب الذي قدمناه، وجالينوس يرتضي ذلك ويقول في كتاب "قاطاجانس: إن الحروف المفردة لأوزان الأدوية تفسد بالنسخ وتفسد أيضًا بتعمية الحاسب ولهذا استحق "ديمقراطيس" أن تختار كتبه في الأدوية ويشهر أمرها وتحمد لأنها مكتوبة بشعر موزون في اليونانية لكان جميلًا، وهذا لأن المنثور أقبل للفساد من المنظوم، وليس "بيذ" على ذلك النظم السائر بل هو بنظم غيره، فمنهم من يقول: إنه معجز لا يقدر أحد منهم أن ينظم مثله، والمحصلون منهم يزعمزن أنّ ذلك في مقدورهم ولكنهم ممنوعون عنه احترامًا له، وقالوا: إن بياس قطعه أربع قطع هي: ركبيذ وجزر بيذ وسامبيذ واثر بن بيذ وكان له أربعة "شش" وهم التلامذة فعلم كل واحد واحد أو حمله إياه وهم على ترتيب القطع المعروفة: "بير" "بيشنباين" "جيمن" "سمنت"، ولكل واحدة من القطع الأربعة في القراءة نهج فأما الأولى فهي ركبيذ فهو مركب من نظم يسمّى رج قطاع غير متساوية المقادير وركبيذ سمي بها كأنه جملة رج وفيه قرابين النار ويقرأ بثلاثة أصناف من القراءة أحدها بالاستواء كالرسم في جميع المقروءات والثاني في الوقوف عند كلمة كلمة والثالث وهو أفضلها الموعود عليه جزيل الثواب أن يقرأ منه قطعة صغيرة بكلمات معلومة ويعاد عليها ويضاف شيء من غير المقروء إليها ثم يعاد على هذا المضاف وحده فيقرأ ويضاف إليه آخر ولا يزال يفعل ذلك فيتكرر المقروء عند انتهائه، وأما جذر بيذ فنظمه مركب من كانري واسمه مشتق منه أي جملة كانري، والفرق بينه وبين الأول أنّ هذا يمكن قراءته متصلاً ولا يمكن في الأول، وفيه ما في ذلك 139 من أعمال النار والقرابين، وسمعت في سبب انفصال ركبيذ عن الاتصال في القراءة أن جاكملك كان عند معلمه وللمعلم رفيق من البراهمة أراد سفراً وسأله أن يوجه إلى داره بمن يقيم الشروط على هوم أعني ناره ويحفظها عن الخمود أيام غيبته فكان المعلم يوجه إليها تلاميذه بالنوبة وجاءت نوبة جاكملك وكان حسن المنظر نظيف اللباس فلما أخذ فيما أرسل له بمحضر من امرأة

الغائب كره زينته وفطن جاك ملك لما أسرت فلما فرغ وأخذ الماء بيده ليرشه".[1]

أهمية ريج فيدا: ويعد الريج فيدا أهم الكتب الهندوسية، حيث يُقدسون هذا الكتاب ويتغنون بأناشيده، ويرتلونها في الصلوات صباحًا ومساءً، ويتبركون بتلاوتها في حفلات زواجهم ويقرؤون أبياته على موتاهم عند تحريق جثثهم، وينفرد الهنود من بين شعوب العالم بأنهم يدينون بعقيدة انحدرت بشكل مُباشر من ديانة الثقافة الأم.

ومُعظم الأشعار موجهة إلى الآلهة ولها وظيفة مركزية في تأدية الطقوس، وإنّ الآلهة الذين تتم مُخاطبتهم في هذه الأشعار ليسوا موجودات ذات سمات بشرية، بل هي رموز للقوى الأساسية للوجود، فالحطاب، والوعي، والحياة، والماء، والنار تلك من بين القوى المباركة التي يرمز إليها كآلهة في "الفيدا"، وهي تُمثل القوى التي تخلق الحياة وتُدمرها، والتي تُسيطر على فيض الوجود وغيضه.

يستمر تلاوة بعض آياته أثناء الطقوس الهندوسية للاحتفالات (مثل الأعراس) والصلوات، مما يجعله على الأرجح أقدم نص ديني في العالم يتم استخدامه باستمرار.[2]

وليس من المستغرب أن يعتقد الباحثون الهندوس بعدم تحريف النص الفيدي فهو بالنسبة لهم كتاب نقله الثقات جيلًا بعد جيل لكن من المستغرب أن يتبنى علماء الهنديات من المستشرقين هذا الرأي فهم يقولون إنّ النص الفيدي قد بلغنا كما هو ولم يلحقه أي تغيير يذكر.

يقول ماكدونل: "إنّ احتمالات التحريف والتغيير في ريج فيدا هي بالفعل ضعيفة ومعدومة ويظهر بذلك التقليد الفيدي المتمثل بالريك فيدا قد وصل إلينا على درجة عالية من الأصالة

[1] ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة، ص 51

[2] Klaus Klostermaier (1984). Mythologies and Philosophies of Salvation in the Theistic Traditions of India. Wilfrid Laurier University Press. p. 6.

والصحة وبنصه الكامل وذلك منذ حقبة لا تقل عن الألف سنة قبل الميلاد".[1]

يقول شري أوروبندو: "إنّ نص الفيدا الذي بحوزتنا استمر غير محرف لفترة تزيد عن ألفي سنة إنه يعود على ما نعلم إلى عهد النشاط الفكري الهندي المعاصر للنهضة اليونانية.. ثمة اعتبارات عديدة تبرر فرضية أنه منقول منذ زمن سحيق القدم فدقة النص ودقة كل مقطع لفظي حتى لا بل دقة كل نبرة وحركة منه كانت موضع أهمية قصوى في الطقوس الفيدية".[2]

ويقول لويس رينو وجان فيلّوزات: "لقد حُفظ نص ريك فيدا منذ الزمن الذي ثبت فيه ووصلنا في الوضع الذي كتب وقسم فيه دون أيّ تحريف أو إفساد وكل المخطوطات تتوافق على تقديم نص واحد لا متغيرات فيه هذا النص الذي حافظ التقليد الشفهي على نقائه وكماله".[3]

هذا الكلام لا يرقى أن يكون نظرية يعول عليها، فهو كلام أشبه بالعبارات العاطفية التي ليس لها شبهة دليل، فكيف يقرر هؤلاء أنّ النص الفيدي لم يلحقه تغيير مع أنهم أنفسهم يقررون أنه تم تداوله شفهيًا عبر آلاف السنين، فهل يعقل أنّ نصًا يقدر بآلاف الصفحات سيبقى محفوظًا مدة تتجاوز آلاف السنوات دون تغيير أو تحريف، عبر التناقل الشفوي فقط، ونحن نعلم ما يلتحق النصوص القصيرة من تحريفات عبر النقل الشفوي إذا لم تدون في وقتها.

محتويات الريج فيدا الحالي: تتكون ريج فيدا من:

سامهيتا: (تراتيل للآلهة، أقدم جزء من ريج فيدا)

البراهمانا: وهي شروح على التراتيل التي كتبها النساك والرهبان

آرنيك:

[1] لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، ص 68.

[2] المصدر نفسه، ص 68- 69.

[3] المصدر نفسه، ص 69.

الأوبنشاد:

ويحتوي الريج فيدا على عشرة أجزاء ويطلقون عليها اسم "مَنْدَل" وهي تقسم إلى أربعة وستين بابًا ويسمّونها "أدهيايا" وتحتوي "1028" ترنيمة (sūktas) "سوكت" وتحوي على (10600) أو (10552) "منترًا" أي بيتًا.

وتقسم الكتب إلى مجموعتين موضوعيتين:

الأولى: في الكتب الثمانية من (2 إلى 9) هي كتب تم تأليفها في وقت مبكر، تناقش الترانيم في الغالب علم الكونيات وآلهة التسبيح.[1]

الثانية: (الكتب 1 و 10) وهي تعد أحدث من المجموعة الأولى، وتطرح جزئيًا أسئلة فلسفية أو تأملية، وتتكلم عن فضائل مثل الدانة (الصدقة) في المجتمع[2] كما تلقي أسئلة حول أصل الكون وطبيعة الإله[3] وقضايا لما وراء الطبيعة (ميتافيزيقية) أخرى في تلك الترانيم.[4]

وهي أناشيد دينية وُضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها، وأشهر الآلهة الذين ورد ذكرهم فيها هو الإله "أندرا" إله الآلهة، ثم يأتي بعده الإله "أغْنى" إله النار وحامي الأسرة، والإله "فارونا"[5]، فالإله "سوريْه – الشمس" وقد ذكر "البندت شري رام شرما" أنّ عددهم في الريج فيدا 150 إلهًا.[6]

ويعد الريج فيدا أيضًا كتاب تاريخي للهنود حيث يصف في الفصل الثاني حتى العاشر

[1] Stephanie Jamison and Joel Brereton (2014), The Rigveda : the earliest religious poetry of India, Oxford University Press, pp. 4, 7–9.

[2] C Chatterjee (1995), Values in the Indian Ethos: An Overview, Journal of Human Values, Vol 1, No 1, pp. 3–12.

[3] Max Muller (1859). A History of Ancient Sanskrit Literature. Williams and Norgate, London. pp. 559–565.

[4] Jan Gonda, a History of Indian Literature: Veda and Upanishads, Volume 1, Part 1, Otto Harrassowitz Verlag, ISBN 978-3-447-01603-2, pp. 134–135.

[5] Stephanie Jamison and Joel Brereton (2014), The Rigveda : the earliest religious poetry of India, Oxford University Press, pp. 4, 7–9.

[6] ضياء الرحمن الأعظمي، ص 23.

الحياة الدينية والاجتماعية للآريين في الحقبة الأولى في عهدهم الأول في منطقة شمال غرب الهند بين ضفاف نهري السند وساراسفاتي.

وفي الفصل الأول المسمّى (ساما) والفصل العاشر المسمّى (ياجور) يُظهر الوضع الأكثر تقدمًا للآريين.

وفي الفصل (أثارفا) وفصل (براهمان) يتحدث عن احتلال الهند الشمالية على يد جانداك (ساندانيرا) ودمج السكان الأصليين في النظام الاجتماعي الفيدي.[1]

النتائج:

1- يعد الريج فيدا أقدم النصوص الدينية الهندية التي وصلت إلينا حتى الآن.

2- لا يعرف على وجه التحديد متى نشأت الديانة الهندوسية فهي ديانة تطورت عبر التاريخ وليس لها مؤسس معروف تنسب إليه.

3- يعدّ الريج فيدا أقدس النصوص الدينية لدى معظم الطوائف الهندوسية.

4- ليس لكتاب الريج فيدا مؤلف معروف، والراجح أنه من تأليف عدد كبير من الرهبان تعاقبوا على إضافة فقرات للكتاب حتى غدى بهذا الشكل.

5- لا يعرف على وجه التحديد متى كان التأليف الشفوي للكتاب فلا يوجد دليل قوي يدل على التاريخ الذي اعتمد فيه الريج فيدا ككتاب مقدس.

6- ولا نعرف أيضًا متى انتقل الكتاب من المرحلة الشفوية إلى مرحلة التدوين وذلك بسبب الدائرة الضيقة من الرهبان التي كانت تتداول الكتاب فيما بينها، وتحرم على باقي الطوائف تدوين أو قراءة الفيدا.

[1] ينظر: أثر الإسلام في الثقافة الهندية، ص 12- 13.

المصادر والمراجع

أولًا: العربيّة:

1- أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دار عالم الكتب، ط2، 1403هـ- 1983م.

2- لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم ريك فيدا، مكتبة بيبليون، د.ت.

3- محمد غلاب، مجلة الرسالة، الفلسفة الشرقية، العدد 208، بتاريخ: 28 - 06 – 1937م.

4- فيلسيان شالي، موجز تاريخ الأديان، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس، ط1، 1991م.

5- جواهر لال نهرو، اكتشاف الهند، ترجمة: فاضل جتكر، وزارة الثقافة دمشق، 1989م.

6- منو سمرتي، ترجمة إحسان حقي، د.ت.

7- جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل حسين، عالم المعرفة، الطبعة الأولى 1995م.

8- سي شاترجي، القيم في الروح الهندية: نظرة عامة ، مجلة القيم الإنسانية ، المجلد 1، العدد 1 ، الصفحات 3-12.

وثانيًا: الإنجليزية:

9- أبتي، فامان شيفارام، القاموس العملي السنسكريتي-الإنجليزي (الطبعة الرابعة المنقحة والموسعة)، دلهي.Motilal Banarsidass، د.ت.

10- أنتوني، ديفيد، الحصان العجلة واللغة. كيف شكل ركاب العصر البرونزي من السهوب الأوراسية العالم الحديث ، مطبعة جامعة برينستون. 2007م

11- Why Read Rig Veda، SRI AUROBINDO KAPALI SHASTRY INSTITUTE OF VEDIC CULTURE .
12- Dwyer, Rachel (2013), What Do Hindus Believe? Granta Books.
13- Stephanie W. Jamison; Joel Brereton (2014). The Rigveda: 3-Volume Set. Oxford University Press.
14- Edwin F. Bryant (2015). The Yoga Sutras of Patañjali: A New Edition, Translation, and Commentary. Farrar, Straus and Giroux.
15- Lucas F. Johnston, Whitney Bauman (2014). Science and Religion: One Planet, Many Possibilities. Routledge.
16- Klaus Klostermaier (1984). Mythologies and Philosophies of Salvation in the Theistic Traditions of India. Wilfrid Laurier University Press.
17- C Chatterjee (1995), Values in the Indian Ethos: An Overview, Journal of Human Values, Vol 1, No 1.
18- Max Muller (1859). A History of Ancient Sanskrit Literature. Williams and Norgate, London.
19- Jan Gonda, a History of Indian Literature: Veda and Upanishads, Volume 1, Part 1, Otto Harrassowitz Verlag,
20- Stephanie Jamison and Joel Brereton (2014), The Rigveda : the earliest religious poetry of India, Oxford University Press.
21- Monier-Williams, Monier (1899). A Sanskrit-English Dictionary: Etymologically and Philologically Arranged with Special Reference to Cognate Indo-European Languages. Oxford: Clarendon Press.

ISSN: 2321-7928

الخطأ الوارد في بعض ترجمات معاني القرآن الكريم

ترجمة "إنْ" المخفّفة نموذجًا

- د. ف. عبد الرحيم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنّ المتأمل في ترجمات معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات يجد فيها أخطاء من عدة نواحٍ، منها ما سببُه عدمُ فهم المترجمين لبعض المسائل الدقيقة في النحو العربي. لقد قمت في هذا البحث بدراسة الخطأ الواقع في ترجمة "إنْ" المخففة، وذلكم من خلال ستّ ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغات مختلفة، وهي:

(1) ترجمة محمد مارمديوك بكثول Muhammad Marmaduke Pickthall وهو مسلم بريطاني (1875-1936م). واسم ترجمته :The Glorious Qur'an، وهي إلى اللغة الإنكليزية.

(2) ترجمة الدكتور تقي الدين الهلالي والدكتور محمد محسن خان، أولهما، مغربي، والآخر سعودي من أصل باكستاني، اشتركا في إنجاز هذه الترجمة.واسم ترجمتهما: The Noble Qur'an، وهي إلى اللغة الإنكليزية.

[1] محقّق هنديّ معروف تحدّثنا عن سيرته وأعماله في العدد الثالث للمجلد الثاني عشر لمجلة الهند.

(3) الترجمة التي نشرتها دار أبي القاسم ودار صحيح إنترناشونال بجدة Saheeh International. لم يذكر فيها اسم المترجم، ويقال إنها لأخوات أمريكيات. وعنوان هذه الترجمة:

The Qur'an: Arabic Text with Corresponding English Meanings

وهي إلى اللغة الإنكليزية.

(4) ترجمة إدورد هنري بالمر E.H.Palmer، وهو مستشرق بريطاني (1256-1299هـ/ 1840-1882م).[1] واسم ترجمته: The Qur'an، وهي إلى اللغة الإنكليزية.

(5) ترجمة الدكتور حميد الله، وهو من العلماء الهنود. واسم ترجمته Le Saint Coran، وهي إلى اللغة الفرنسية.

(6) ترجمة أحمد فون دنفر Ahmad von Denffer، وهو كاتب ألماني مسلم معاصر واسم ترجمته: Der Koran، وهي إلى اللغة الألمانية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه، وينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب.

الخطأ الوارد في بعض ترجمات معاني القرآن الكريم في ترجمة "إن" المخففة من الثقيلة

معلوم أنّ "إن" يجوز تخفيفها، وإذا خففت فالأكثر إهمالها، فنقول: "إنْ زيد قائم"، وفي هذه الحالة تدخل على الخبر لام لتفرق بين "إنْ" المخففة و"إنْ" النافية، وتسمّى هذه اللام "اللام الفارقة" بين المخفّفة والنافية.

وإذا ألغيت جاز أن يليها الأسماء والأفعال فيبطل اختصاصها بالاسم، ولا يليها من الأفعال إلا النواسخ للابتداء كـ"كان" وأخواتها، و"ظَنَّ" وأخواتها كما في قوله تعالى: "وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ" (البقرة: 143)، وفي قوله

[1] انظر ترجمته في الأعلام، 284/1

تعالى: "وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ" (الإسراء: 76)، وفي قوله تعالى: "وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ" (الأعراف: 102).

ويقلّ أن يليها غير الناسخ، ومنه قول بعض العرب: "إن يزينك لنفسك، وإن يشينك لهيه"، ومنه قول الشاعر:

شلّت يمينك إن قتلت لمسلمًا حلّت عليك عقوبة المتعمد[1]

وإذا وليها فعل دخلت اللام الفارقة على الجزء الذي كان خبرًا، وهو خبر هذا الفعل الناسخ إذا كان ناقصًا، ومفعوله الثاني إذا كان تامًا، نحو:

"وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً" (البقرة: 143)، "إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا" (الفرقان: 42)، "وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ" (الأعراف: 102) و"وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ" (الشعراء: 186).

والأكثر كون الفعل ماضيًا، ودونه أن يكون مضارعًا نحو: "وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ" (القلم: 51)، و"وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ" (الشعراء: 186)[2]

يقول ابن مالك رحمه الله في تخفيف "إن" في الألفية:

خففت "إنْ" فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهمل
وربما استغني عنها إن بدا ما ناطق أراده معتمدا
والفعل إن لم يكن ناسخًا فلا تلفيه غالبًا بـ"إنْ" ذي موصلا

وقد وردت "إن" المخففة الداخلة على الفعل في القرآن الكريم في 23 موضعًا، يليها في كل هذه المواضع فعل ناسخ للابتداء، وهي كان وكاد، ووجد، وظنّ.

يليها:

"كان" في 15 آية، و"كاد" في 6 آيات، و"وجد" في آية واحدة، و"ظن" في آية واحدة.

[1] شرح التسهيل لابن مالك، 33/2 وشرح ابن عقيل، 382/1

[2] مغني اللبيب، ص 37.

الفعل في عشرين من هذه الآيات ماضٍ، وفي آيتين مضارع.

وإليك هذه الآيات:

الآيات التي صدرت فيها الجملة بـ"كان":

(1) "وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ" (البقرة: 143).

(2) "وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ" (البقرة: 198)

(3) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (آل عمران: 164).

(4) "وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ" (الأنعام: 156).

(5) "إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ" (يونس: 29)

(6) "وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ" (يوسف: 3).

(7) "وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ" (يوسف: 91)

(8) "وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ" (الحجر: 78).

(9) "إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا" (الإسراء: 108).

(10) "وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ" (المؤمنون: 30)

(11) "تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (الشعراء: 97)

(12) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ" (الروم: 49)

(13) "وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ" (الصافات: 167).

(14) "وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ" (الزمر: 56).

(15) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (الجمعة: 2).

الآيات التي صدرت فيها الجملة بـ"كاد":

(1) "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ" (الإسراء: 73).

(2) "وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ" (الإسراء: 76).

(3) "إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا" (الفرقان: 42)

(4) "إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا" (القصص: 10).

(5) "قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ" (الصافات: 56)

(6) "وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ" (القلم: 51).

الآية التي صدرت فيها الجملة بـ"وجد":

"وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ" (الأعراف: 102).

الآية التي صدرت فيها الجملة بـ"ظن ":

"وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ" (الشعراء: 186).

لقد أخطأ المترجمون في فهم "إن" المخففة هذه في ترجمتهم لمعاني بعض هذه الآيات، إذ جعلوا "وإن" بمعنى "ولو" كما في قولنا: "صلّ وإن عجزت عن القيام". قال الفيومي: ومعنى الكلام حينئذ إلحاق الملفوظ بالمسكوت عنه في الحكم، أي صلّ سواء قدرت على القيام أم عجزت عنه، ومنه يقال: أكرم زيدًا وإن قعد، فالواو للحال، والتقدير: ولو في حال قعوده ...".[1] ومنه قول الشاعر:

عاود هراة وإن معمورها خربا

أي: ولو في حال خرابها.[2] ومنه كذلك الحديث: "وإن زنى وإن سرق".[3]

[1] المصباح المدير للفيومي: (أن) ص 11.

[2] المرجع السابق.

[3] الحديث بتمامه: عن أبي ذر رضي الله عنه: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أتاني آتٍ من ربي فأخبرني- أو قال بشرني- أنه مَنْ مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. رواه البخاري في الجنائز، الباب الأول.

فالمترجمون الذين فسّروا "وإن" بمعنى "ولو" ترجموها بكلمات تؤدي هذا المعنى، أو ما يقاربه، وهي:

باللغة الإنكليزية: though although

وباللغة الفرنسية بـ: quand même، même si

وبالألمانية بـ: und wennwiewohl

وبغيرها من الكلمات التي تفيد هذا المعنى.

وأكثر ما وقع هذا الخطأ في ترجمة معاني الآية الثالثة من سورة يوسف، والآية الثانية من سورة الجمعة. وسأسمي "إنْ" بهذا المعنى بـ"إنْ" الشرطية.

فلندرس الآن ترجمات معاني هذه الآيات كلها لتحدد الخطأ في ترجمة معاني كلّ آية منها. وقد رتبنا الترجمات فيما يلي بحسب ترتيب ورودها في المقدمة، فالأولى لبكثول، والثانية للهلالي وخان، والثالثة للأخوات الأمريكيات اللائي أشير إليهن فيما بعد بالأخوات، والرابعة لبالمر، والخامسة لحميد الله، والسادسة لأحمد فون دنفر وأشير إليه فيما بعد به فون دنفر.

(1) "وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ" (البقرة: 143).

1) In truth it was a hard (test) save for those whom Allah guided.

2) Indeed, it was great (heavy) except for those whom Allah guided.

3) And indeed, it is difficult except for those whom Allah has guided.

4) ...although it is a great thing save to those whom God doth guide.

5) Est-cesi exorbitant? Pas pour ceux que Dieu guide.

6) Und es is tbestimmt eine große Sache außer fur die, welche Allah rechtleitet.

ترجم بكثول، والهلالي وخان والأخوات وفون دنفر معنى هذه الآية ترجمة صحيحة، وأبرزوا فيها التأكيد بكلمات مثل in truth وindeed وbestimmt. أما حميد الله فترجم ترجمة غريبة، فقد جعل (وإن كانت لكبيرة) سؤالًا، فقال في ترجمة معاني هذه الآية : "أهي كبيرة إلى هذه الدرجة؟ ليس على الذين هداهم الله". وهذا يدل أنه لم يفهم معنى "إن" المخففة الواردة في هذه الآية.

أما بالمر فجعل "إن" شرطية، وترجمها بـ:although

(2) "وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ" (البقرة: 198)

1) Remember Him as He hath guided you, although before ye were of those astray.

2) And remember Him (...) as He has guided you, and verily, you were, before, of those who were stray.

3) And remember Him, as He has guided you, for indeed, you were before that among those astray.

4) Remember Him how He guided you, although ye were surely before of those who err.

5) Et souvenez-vous de Lui comme Il vous a montre le chemin, quand même qu'auparavant vous étiez du nombre des errants.

6) Und erinnert euch an Ihn; wie Er euch rechtgeleitet hat, und daß ihr davor bestimmt welche von den Irregehenden wart.

ترجم الهلالي وخان، والأخوات وفون دنفر "إنْ" المخففة ترجمة صحيحة، فقد أبرزوا التأكيد بكلمات تدلّ على ذلك، وهي verily في ترجمة الهلالي وخان وindeed في ترجمة الأخوات وbestimmt في ترجمة فون دنفر. أما بكثول وحميد الله فجعلاها شرطية، فترجمها بكثول بـ:although ، وحميد الله بـ quandmême. أما بالمر فجمع

بينهما، فجعل "إن" شرطية، ومع ذلك أضاف كلمة surely المفيدة للتأكيد.

(3) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (آل عمران: 164).

1) ...although before (he came to them) they were in flagrant error.

2) ...while before that they had been in manifest error.

3) ...although they had been before in manifest error.

4) ...although they surely were before his time in manifest error.

5) ...même si auparavant ils étaient dans un égarment manifeste.

6) ...und si ewaren vorher bestimmt in klarem Fehlgehen.

المترجم الوحيد الذي وفق في ترجمة معنى الآية ترجمة صحيحة هو فون دنفر، فقد ذكر كلمة bestimmt الدالّة على التأكيد. أما ترجمة الهلالي وخان فصحيحة، غير أنهما لم يذكرا ما يفيد التأكيد. أما بكثول والأخوات، وحميد الله فقد جعلوا "إنْ" شرطية. أما بالمر فقد جمع بينهما كما صنع في ترجمة معنى الآية السابقة، فبدأ الترجمة بـ although، ثم أضاف كلمة surely الدالّة على التأكيد.

(4) "وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ" (الأنعام: 156).

1) ...and we in sooth were unaware of what they read.

2) ...we were in fact unaware of what they studied.

3) ...but we were of their study unaware...

4) ...verily, we, for they read care naught.

5) ...et nous étions bien dans l'ignorance de leur étude.

6) ...und wir waren gegenüber ihrem studieren bestimmt achtloss.

نصّ المترجمون كلهم ما عدا الأخوات على التأكيد في ترجمة معنى هذه الآية.

(5) "وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ" (الأعراف: 102)

1) Nay, most of them We found wrong-doers.

2) ... but most of them We found indeed fâsiqûn.

3) ...but indeed, We found most of them defiantly disobedient.

4) ...but we did find most of them workers of abomination.

5) par contre, Nous avons certes trouvé pervers la plupart d'entreeux.

6) und Wir haben die Mehrzahl von ihne nbestimmt als Frevler gefunden.

لقد نص المترجمون ما عدا بكثول، وبالمر على التأكيد في ترجمة معنى هذه الآية. أما بكثول، وبالمر فلم يصرحا بالتأكيد، إنما جاء كل واحد منهما بأسلوب يتضمن شيئًا من التأكيد، فبدأ بكثول الجملة بكلمة Nay ، وهي بمنزلة "كلا"، واستعمل بالمر did find بدلًا من found وهذا من أساليب التأكيد.

(6) "فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ" (يونس: 29)

1) Allah sufficeth as a witness between us and you, that we were unaware of your worship.

2) So sufficient is Allah as a witness between us and you that we indeed knew nothing of your worship ofus.

3) And sufficient is Allah as a witness between us and you that we were of your worship unaware.

4) But God is witness enough between us and you, that we were heedless of your worshipping us.

5) Dieu estesseztémoin entre nous et vous, qu'envérité nous ignorions bel et bien votre adoration.

6) Und Allah genügt als Zeuge zwischen uns und zwischen euch, daß wir gegenüber eurem Dienst bestimmt achtlos waren.

نصّ الهلالي وخان وحميد الله، وفون دنفر على التأكيد، ولم ينتبهله بكثول،

والأخوات، وبالمر.

ومن محاسن ترجمة الهلالي وخان وبالمر أنهم ذكروا ضمير المفعول المحذوف لـ"عبادتكم"، إذ التقدير عبادتكم إيانا" وقد ذكر هذا الضمير في الآية السابقة: (ما كنتم إيانا تعبدون).

(7) "وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ" (الحجر: 78)

1) And the dwellers in the wood indeed were evil-doers.

2) And the Dwellers in the Wood were also zâlimûn.

3) And the companions of the thicket [i.e. the people ofMadyan] were [also] wrongdoers.

4) And the fellows of the Grove too were unjust.

5) Les habitant d'al-Aïka aussi étaient des prévaricateurs.

6) Und die 'Gefährten des Dickichts' waren bestimmt Unrechthandelnde,

أصاب بكثول، وفون دنفر في ترجمة معنى هذه الآية، فقد نص كل منهما على التأكيد: الأول باستعمال كلمة indeed ، والثاني باستعمال bestimmt. أما الباقون فلم يتعرضوا للتأكيد. وفي ترجمتهم خطأ آخر، وهو إضافة كلمة تفيد معنى "كذلك"، وهي also عند الهلالي وخان، والأخوات؛ وtoo عند بالمر؛ وaussi بالفرنسية عند حميد الله. وقد احتاطت الأخوات ووضعتها بين قوسين.

(8) "وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ" (يوسف: 3)

1)... although aforetime thou wast of the heedless.

2) And before this (...) you were among those who knew nothing about it (the Quran).

3) ….although you were, before it, among the unaware.

4) ...though thou wert before it among the heedless.

5) ...quandmême que tu fusses auparavant du nombre des ignorants.

6) ...und vorher warst du bestimmt einer von den Achtlosen.

جعل بكثول، والأخوات، وبالمر، وحميد الله "إنْ" شرطية. أما الهلالي وخان فلم يتعرضا لها بتاتًا. المترجم الوحيد الذي أصاب فيترجمتها هو فون دنفر.

(9) "قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ" (يوسف: 91)

1) They said: By Allah, verily Allah preferred thee above us, and we were indeed sinful.

2) They said, 'By Allah! Indeed Allah has preferred you above us, and we certainly have been sinners.'

3) They said, "By Allah, certainly has Allah preferred you over us, and indeed, we have been sinners.'

4) They said, By God! God has chosen thee over us; and we indeed were sinners.

5) Il dirent: 'Par Dieu! Très certainement Dieu t'apréféré à nous, cependant que nous avonsétéfautif, certes oui!"

6) Sie sagten: 'Bei Allah, Allah hat dich uns schon vorgezogen, und wir waren bestimmt Überschreitende."

لقد أصاب الجميع في ترجمة معنى هذه الآية، وفي مراعاة معنى "إنْ" المخففة فيها.

(10) "وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ" (الإسراء: 73)

1) And they indeed strove hard to beguile thee (Muhammad) away from that wherewith Wehave inspired thee...

2) Verily they were about to tempt you away from that which We have revealed (...) untoyou

3) And indeed, they were about to tempt you away from that which We revealed to you

4) They had well-nigh beguiled thee from what we[1] inspired thee with...

5) Peu s'enestfallu, vraiment, qu'ils ne t'attirent loin de ce que Nous t'avonrévélé,

6) Und fast hätten sie dich bestimmt abwendig gemacht von dem, was Wir dir offenbart haben

لقد تنبّه المترجمون كلهم إلا بالمر لكون "إنْ" هنا مخففة من الثقيلة، وترجموها بكلمات تدلّ على التأكيد. ولم يتعرض لها بالمر.

(11) "وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ" (الإسراء: 76)

1) And they indeed wished to scare thee from the land

2) And verily they were about to frighten you somuch as to drive you from the land.

3) And indeed, they were about to provoke (i.e. drive) you from the land...

4) And they well-nigh incited thee away from theland

5) Et peu s'enestfallu, vraiment, qu'ils ne t'éloignent du pays pour t'enbannir...

6) Und fast hättensie dich bestimmt aus dem Land zu hetzen versucht...

لقد أصاب الجميع ما عدا بالمر في ترجمة معنى هذه الآية، وفي فهم فحوى "إنْ" المخففة الواردة فيها. أما بالمر فلم يتعرض لها.

[1] يلاحظ أن بالمر يكتب الضمير we العائد على الله بالحرف الصغير خلافاً للقاعدة، انظر كذلك ترجمته المعنى الآية الـ30 من سورة المؤمنون، ومعنى الآية الـ10 من سورة القصص.

(12) "وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا" (الإسراء: 108)

1) Saying: Glory to our Lord! Verily the promise ofour Lord must be fulfilled.

2) And they say: 'Glory is to our Lord! Truly, the Promise of our Lord must be fulfilled.'

3) And they say, 'Exalted is our Lord! Indeed, the promise of our Lord has been fulfilled.'

4)...and they say, Celebrated be the praises of our Lord! Verily, the promise of our Lord is ever fulfilled.

5) Et disent: 'Pureté a notre Seigneur! Certes, la promesse de notre Seigneur demeure exécutoire!'

6) Und siesagen: 'Preis unserem Herrn, das Versprechen unseres Herrn ist bestimmt erfüllt,'

في ترجمة معنى هذه الآية أصاب الجميع في فهم فحوى "إن" المخففة، والنص على التأكيد في ترجماتهم.

(13) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ" (المؤمنون: 30)

1) Lo! Herein verily are portents, for lo! We are ever putting (mankind) to the test.

2) Verily, in this (...) there are indeed ayat (...), for sure We are ever putting (men) to the test.

3) Indeed, in that are signs, and indeed, We are ever testing (Our servants).

4) Verily, in this is a sign, and, verily, we were trying them.

5) Voilà bien là des signes! Oui, Nous demeurons pour éprouver.

6) Hierin sind ja bestimmt Zeichen, und bestimmt prüfen Wir.

أصاب الجميع في فهم فحوى "إنْ" المخففة، غير أنّ بكثول، وحميد الله لم يأتيا في ترجمتهما بكلمة صريحة تدل على التأكيد، إنما جاءا بتركيب قد يفهم منه ذلك.

هذا، وقد وقع في ترجمة بالمر خطأ، وهو أنه ترجم "الآيات" بالمفرد(in this is a sign)

(14) "إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا" (الفرقان: 42)

1) He would have led us far away from our godsif we had not been staunch to them...

2) He would have nearly misled us from our âliha (gods), had it not been that we were patient and constant in their worship.

3) He almost would have misled us from our gods had we not been steadfast in (worship of) them.

4) he well-nigh leads us astray from our gods, had we not been patient about them.

5) Peu s'en serait falluqu'il ne nous égare de nosdieuxsi nous ne leurétions pas restés attachés avec constance.

6) Fast hätte er uns fehlgehen lassen von unseren Göttern, wenn wir bei ihnen nicht geduldig ausgeharrt hätten.

لم ينص أحد من المترجمين السنة على التأكيد في ترجمة معنى هذه الآية، وكأنهم لم ينتبهوا لورود "إنْ" المخففة فيها.

(15) "تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (الشعراء: 97)

1) By Allah, of a truth we were in error manifest.

2) By Allah, we were truly in manifest error. 3) By Allah, we were indeed in manifest error.

4) By God! We were surely in abvious error...

5) Par Dieu! Nous somme, certes oui, restésen un égarement manifeste,

6) Bei Allah, wir waren bestimmt in klarem Fehlgehen.

ترجم الجميع معنى هذه الآية ترجمة صحيحة، ونصّوا على التأكيد.

(16) "وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ" (الشعراء: 186)

1) Thou art but a mortal like us, and lo! we deem thee of the liars.

2) You are but a human being like us and verily, we think that you are one the liars.

3) You are but a man like ourselves, and indeed, we think you are among the liars.

4) ...and thou art only a mortal like ourselves; and verily, we think that thou art surely of the liars.

5) et tun'esqu'en homme comme nous; et vraiment nous tepensons bien du nombre des menteurs.

6) Und du bist nur ein Menschenwesen wie wir, und Wir meinen ja, du bist bestimmt einer von den Lügnern.

نصّ الجميع ما عدا بكثول على التأكيد. أما بكثول فجاء بكلمة lo!

وهي تفيد التنبيه، وقد تجري مجرى التأكيد. استعمل بالمر كلمتين من كلمات التأكيد، وهما verily في أول الجملة و Surely في وسطها.

هذا، وقد بدأ فون دنفر الضمير wir (نحن) بالحرف الاستهلالي كأنه يعود على الله عزّ وجلّ، ولا شك أنه خطأ طباعي.

(17) "إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا" (القصص: 10)

1) and she would have betrayed him if We had not fortified her heart.

2) She was very near to disclose his case (...), had We not

strengthened her heart (with faith)

3) She was about to disclose (the matter concerning) him had We not bound fast her heart...

4) She well-nigh disclosed him had it not been that we bound up her heart

5) Peu s'enseraitfallutqu'ells ne divulguât tout, siNous n'avions pas pansé son cœur...

6) ...fast hätte sie ihn bestimmt kenntlic hgemacht, wenn Wir nich tihr Herz gebunden hätten...

لم ينصّ على التأكيد في ترجمة معنى هذه الآية إلا فون دنفر.

هذا، وقد عبّر بكثول عن (الربط على القلب) بالتقوية، وزاد الهلالي وخان (بالإيمان)، وهذا قريب مما ذكره المفسّرون في معناه، فقد فسّره الطبري[1] بالعصمة، والتثبيت والتوفيق للسكوت، والقرطبي[2] بإلهام الصبر.

وترجمه بالمر، وفون دنفر، والأخوات ترجمة حرفية أي بالربط، وهذا لا يؤدي المعنى. وترجمه حميد الله بـpanser، ومعناه الأول ضمد الجراح ويأتي كذلك بمعنى: هذا من روعه، وعزاه، وآساه، غير أنّ معنى التثبيت هو المناسب في هذا المقام.

(18) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ" (الروم: 49)

1) Though before that, even before it was sent down upon them, they were in despair.

2) And verily before that (rain) just before it was sent down upon them - they were in despair.

[1] جامع البيان، 38/11

[2] الجامع لأحكام القرآن، 256/13

3) Although they were, before it was sent down upon them before that, in despair.

4) ...although before it was sent down upon them they were before then confused.

5) même s'il étaient auparavant, avant qu'on ne les ait fait descendre sur eux, -- désespérés.

6) Und wennsie, bevor er auf sie herabgesandt wurde, vor ihm bestimmt verzweifelt waren.

أخطأ بكثول، والأخوات، وبالمر، وحميد الله، وفون دنفر في ترجمة "إن" المخففة. الترجمة الوحيدة التي صحّت تمامًا هي ترجمة الهلالي وخان. لقد نصّ فون دنفر على التأكيد باستعمال كلمة bestimmt، غير أنه بدأ الجملة بـundwenn، وهو بمعنى "وإن" الشرطية.

هذا، وقد أخطأ بالمر في ترجمة كلمة "لمبلسين" كذلك، فترجمها بـconfused، أي "مرتبكون"، وهذا خطأ فاحش.

(19) "قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ" (الصافات: 56)

1) He saith: By Allah, thou verily didst all but causemy ruin.

2) He said: By Allah! You have nearly ruined me.

3) He will say, By Allah, you almost ruined me. 4) He shall say, By God, thou didst nearly ruin me...

5) ...et dira Par Dieu! Tu as bien faili faire ma perte.

6) Er sagt: Bei Allah, fast hättest du mich bestimmt zu Fall gebracht

لقد وفّق بكثول وحميد الله، وفون دنفر للصواب في ترجمة معنى هذه الآية، فنصّوا على التأكيد. أما الهلالي وخان والأخوات فلم ينتبهوا لـ"إن" المخففة الواردة في الآية.

لم يأت بالمر بكلمة دالّة على التأكيد، غير أنه استخدم الصيغة المركبة للماضي didst) (ruin، وهذه الصيغة تدلّ على التأكيد. فيقال I did see him : قد رأيته بدلًا من التركيب العادي: saw him1 ، وذلك عند إنكار المتلقّي لصدق القائل.

(20) "وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ" (الصافات: 167)

1) And indeed they used to say...

2) And indeed they (Arab pagans) used to say:

3) And indeed, they (i.e., the disbelievers) used to say,

4) And yet they say

5) Et ces gens-là certes ensont à dire :

6) Und sie haben ja bestimmt gesagt:

لقد ترجم الجميع ما عدا بالمر معنى هذه الآية ترجمة صحيحة، ونصّوا على التأكيد. لم يأت بالمر بما يدلّ على التأكيد، إنما جاء بكلمة yet ومعنى كلامه: "ومع ذلك يقولون".

(21) "وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ" (الزمر: 56)

1) and I was indeed among the scoffers.

2) and I was indeed among those who mocked (at the truth...).

3) and that I was among the mockers.

4) ...for, verily, I was among those who did jest.

5) Car j'aiété, certes oui, parmi les railleurs.

6) und ich war wirklich einer von denen, die sich lustig machen.

لقد ترجم جميع المترجمين ما عدا الأخوات معنى هذه الآية ترجمة صحيحة، ونصّوا على التأكيد. أما الأخوات فأغفلن ترجمة "إن" المخففة الواردة في الآية. واستعمل فون دنفر في ترجمة معنى هذه الآية كلمة wirklich بدلًا من bestimmt التي

استعملها في الآيات السابقة، وكلتاهما تفيدان التأكيد.

(22) "وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (الجمعة: ٢).

1) ... though heretofore they were indeed in error manifest.

2) And verily, they had been before in manifest error.

3) ... although they were before in clear error.

4) ...although they were before in obvious error.

5) quand même qu'ils fussent auparavant, dans un égarement manifeste.

6) und wenn sie vorher bestimmt in klarem Fehlgehen waren.

لقد أخطأ المترجمون كلهم إلا الهلالي وزميله في ترجمة معنى هذه الآية، فجعلوا "إن" شرطية. صحيح أنّ فون دنفر ذكر كلمة bestimmt الدالّة على التأكيد، غير أنه بدأ الجملة بـwennund، وهو بمعنى "وإن" الشرطية.

(23) "وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ" (القلم: 51)

1) And lo! Those who disbelieve would fain disconcert thee with their eyes...

2) And verily, those who disbelieve would almost make you slip with their eyes ...

3) And indeed, those who disbelieve would almost make you slip with their eyes ...

4) The misbelievers well-nigh upset thee with their looks...

5) Peu s'en faut que ceux qui mécroient ne te fassent broncher, par leur regards,

6) Und fast würden diejenigen, die den Glauben verweigert haben, dich bestimmt mit ihren Blicken zum Ausgleiten bringen,

أصاب الهلالي وخان، والأخوات وفون دنفر في ترجمة "إن" المخففة. أما بكثول فجاء بكلمة 10 التي تفيد التنبيه، وقد تجري مجرى التأكيد كما مرّ في التعليق على ترجمات الآية الـ186 من سورة الشعراء. أما بالمر، وحميد الله فأغفلا التأكيد تمامًا.

نتائج وتوصيات

نرى من تحليل ترجمات هذه الآيات أنّ:

1. كثيرًا من المترجمين أخطؤوا في فهم معنى "إن" المخففة في الآيات التالية: آل عمران (164)، ويوسف (3)، والروم (49)، والجمعة.
2. وأخطأ بعضهم في فهم معناها في الآيتين الـ143، والـ198 من سورة البقرة.
3. لم يترجم الهلالي وخان "إن" المخففة بمعنى "إن" الشرطية في أيّ من هذه الآيات، غير أنهما لم ينصّا على التأكيد في ثماني آيات وهي: آل عمران (164)، والأعراف (102)، ويوسف (3)، والحجر (78)، والفرقان (42)، والقصص (10)، والروم (49) والصافات (56).
4. لقد نصّ فون دنفر على التأكيد في جميع هذه الآيات إلا واحدة منها، وهي الآية الـ42 من سورة الفرقان مع أنه ترجم "إن" المخففة بمعنى الشرطية في آيتين هما الآية الـ49 من سورة الروم والآية الثانية من سورة الجمعة.
5. إنّ وقوع المترجمين في مثل هذه الأخطاء أمر متوقع، إذ من الصعب أن يطلعوا على دقائق النحو العربي، ويقتضي هذا الأمر أن يوضع كتاب باسم دليل مترجم معاني القرآن الكريم- أو بأيّ اسم آخر- تذكر فيه الأمور المهمة التي يحتاج المترجم إلى معرفتها في المجالات الآتية: العقيدة، والأحكام الشرعية، والقضايا التفسيرية، والمسائل اللغوية. وهل في العالم الإسلامي جهة أنسب من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف للقيام بمثل هذاالعمل العلمي الدقيق؟

ثبت المراجع

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، دار الفكر، 1405هـ/1984م.
2. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.
3. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور الخرّاط، دار القلم، دمشق، 1405هـ/ 1993م.
4. شرح ابن عقيل على الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
5. شرح التسهيل لابن مالك، د.ت.
6. مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك وآخرين، دار الفكر، 1979م.
7. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/1983م.
8. The Glorious Qur'an, Marmaduke Pickthall, ÇağrıYayınları, İstanbul, 1999.
9. The Noble Qur'an, Dr Hilali & Muhsin Khan, King Fahd Qur'an Printing Complex, 1417 AH
10. The Qur'an, Arabic Text with Corresponding English Meanings, Saheeh International, Jeddah, 1997.
11. Qur'an, The E.H.Palmer, Motilal Banarsidass, Dehli, 1988.
12. Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, Hilal Yayınları, Ankara, 1393 AH/1973 CE.
13. Der Koran, Ahmad v. Denffer, Islamabad und München, 1996.

ISSN: 2321-7928

قراءة في كتاب:

تكوين ملكة التفسير

- ذ. يوسف عكراش[1]

بيانات الكتاب

اسم الكتاب: تكوين ملكة التفسير- خطوات علمية لتكوين ذهنية المفسر-

اسم المؤلف: د. الشريف حاتم بن عارف العوني.

عدد الصفحات: 144 صفحة

عن المؤلف: هو أبو محمّد حاتم بن عارف بن ناصر بن هزاع بن ناصر بن فواز بن عون، الذي ينتسب إليه آل عون من العبادلة الأشراف الحسنيين، من مواليد مدينة الطائف في 19 رجب 1385هـ، الموافق لـ1966م، حاصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، من جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، أمّا المرتبة الأكاديمية فحاصل على درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية، تخصّص الكتاب والسنة.[2]

له أكثر من عشرين كتابًا وثلاثين بحثًا من بين تحقيق وتأليف وأبرزها: المنهج المقترح لفهم المصطلح، المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصري، ونصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، وإجماع المحدّثين على عدم اشتراط التصريح بالسماع في الحديث المعنعن بين المعاصرين، والولاء والبراء

[1] باحث في التفسير وعلوم القرآن، وأستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين- المملكة المغربية، له العديد من الأعمال العلمية المنشورة ضمن كتب جماعية ومجلّات علمية محكمة محلّية ودولية.

[2] الموقع الرسمي للدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني على الرابط الآتي: https://www.dr-alawni.com/about.php?show=biography

بين الغلوّ والجفاء، التعامل مع المبتدع بين ردّ بدعته ومراعاة حقوق إسلامه...

تمهيد: إنه لا يختلف اثنان عن مدى عناية المسلمين بكتاب الله والتصدّي لبيان معانيه ومراد الله منه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستنباط فوائده، كما لا يخفى التنوع الواسع الذي نلمسه في طرائق التعرض لدراسته ومدارسة كلّ ما من شأنه أنْ يسهم ويعين على فهمه، وهذا نلمسه بشكل جليّ في المصنّفات المتنوعة والمختلفة في أغراضها، وأساليبها، واتجاهات مؤلّفيها، وجزئياتها، فضلًا عن أحجامها.

وفي سياق العناية بكل ما شأنه الإعانة على فهم مراد الله من كتابه العزيز، فقد عدَّ التأليف في الشقّ التكويني بغية خدمة كتاب الله تفسيرًا وبيانًا جزء لا يتجزأ من منظومة العناية بالنص القرآني، ولا يخفى على كلّ متأمل فطن مدى صعوبة هذا الاتجاه في الكتابة والتأليف، الشيء الذي جعل الساحة التكوينية لعلم التفسير تعاني من أمور عدة أبرزها غلبة التقليد، وسيادة التلقين، بالإضافة لقلة الكتابات الخالصة ومفردة لتكوينات رصين في التفسير وما يتعلق به كالملكات على سبيل المثال، إلا أنها تبقى محاولات جديرة بالمتابعة والقراءة من أجل إثارة النقاش البناء حولها من جديد وإعطائها حقّها من الهم والاهتمام.

ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب "تكوين ملكة التفسير" الذي لا يسع الباحث في الدراسات القرآنية عامة والتفسيرية خاصة الاطلاع والاستفادة من الخطوات المقترحة لتكوين عقل المفسّر، وهو الذي سنقدّم له قراءة لا تدّعي الكمال أو الاكتمال بقدر ما تسعى لرسم الإطار العام للكتاب مع الوقوف على إشكاليته وأهدافه التي رام المؤلف الوصول لها، مع تفصيل المناقشة حول أبرز المآخذ وأهم الملاحظات ومناقشاتها مناقشة علمية ذات أهمية في بابها من أجل تطويره، وفتح آفاقٍ واسعة للعناية به وبهذا الوعاء من التأليف.

أولًا: كتاب (تكوين ملكة التفسير)؛ المحتويات والهدف والإشكالية: لقد تجسّدت

محتويات هذا الكتاب من حيث العموم في مدخلين رئيسيين تسبقهما مقدّمة وتقفوهما خاتمة، أما من جهة التفصل فقد جاءت كالآتي:

فقد خصّص المقدمة للحديث عن أهمية تحقيق ملكات العلوم الإسلامية، وأنها سبيل للنهوض بهذه العلوم ودوام سيرورتها العلمية؛ الشيء الذي جعله يقدّم طرحًا يكتنف خطة علمية عملية لملكة أحد أجلّ العلوم وهو علم التفسير، معرجًا على ذلك ببيان مفهوم ملكة من حيث اللغة ثم المراد بملكة التفسيرية عنده حيث عرفها بأنها: **"التأهل العلمي والذهني لإدراك الفهم الصحيح للآية بالاجتهاد المبني على أدلته، لا تقليدًا".**[1] لينهي حديثه في المقدمة عن بيان أسباب اختياره الاشتغال على هذا الفن، والتي من أهمها أنه يغلب عليه طابع التلقين الذي يهوي بصاحبه عاجلًا أم آجلًا إلى فهم غير صحيح، وقد ردّ المؤلف سيادة نمط التلقين في هذا الفن إلى الاستثمار الخاطئ للعديد من النصوص- قرآن وسنة- التي تتحدث عن القول في القرآن.

ثم تناول بعد المقدمة مدخلًا تأصيليًا لتكوين ذهنيّة المفسّر من خلال بيان المراد بالتجديد في التفسير، الذي قصد به العودة بالتفسير إلى ما كان عليه في انطلاقته الاجتهادية وحريته العلمية المنضبطة بالمنهج الذي كان عليه في زمن الصحابة والتابعين وأئمة التفسير المجتهدين.

ثم انتقل للحديث في المدخل الأول عن المقصود بالتجديد في التفسير، ومدى قابلية التفسير للتجديد فيه، والتفسير بين التجديد والالتزام بتفسير السلف، معتمدًا أسلوب السؤال ثم يبسط القول في المسألة بالإجابة عن السؤال الذي طرحه، ثم بيّن الحاجة إلى التجديد في التفسير، وأورد صورًا عدة من صورة للتجديد في التفسير، منها استخراج معانٍ جديدة لم يسبق إليها المفسرون من قبل، ومحاكمة بعض الأقوال

[1] تكوين ملكة التفسير، الشريف حاتم بن عارف العوني، طبعة مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ص8.

القديمة للانتقال بها من درجة الاختلاف اللفظي إلى الاختلاف الحقيقي المرجوح، ومن درجة اختلاف التضاد السائغ المرجوح إلى درجة الاختلاف غير السائغ وإلى إبطال ذلك القول، ذاكرًا عددًا من الآيات كمثال للتأكيد قوله.

ومن صور التجديد التي أوردها أيضًا ربط التفسير بالواقع ومستجداته لأنه من صميم عمل المفسِّر، وربط التفسير بالمكتشفات العلمية الحديثة وخاصة التي بثت معالمها في ثنايا الخطاب القرآني، وما مدى تأثيرها في نتاج التفسير، كما أشار أنّ التجديد في التفسير يجب أن يكون مددًا من الهداية القرآنية في العلوم العصرية المستحدثة باعتباره مصحّحًا ومكملًا لها بعد إنارتها بنور القرآن، وضبط التفسير الإشاري المقبول والزيادة فيه تقعيدًا وتطبيقًا، والوقوف على المسائل اللغوية المتعلقة بالتفسير وتحريرها من خلال التكميل والاستدراك، مع الاهتمام بالإعجاز اللغوي وتقريبه أكثر، والاهتمام بالقراءة الداخلية للنص القرآني، وكذلك العلوم التفسيرية التي برزت متأخرة ولم تنضج بعد كعلم المناسبة وموضوعات السور وأثرها في التفسير...

ثم تناول المدخل الثاني الذي وسمه بمدخل عملي لتكوين ملكة التفسير من خلال الخطة التي أُسّست على أمرين، الأول: هو تدريب الساعي لتكوين ملكة التفسير على استخراج واستحضار كلّ معلومة من شأنها أن تنفعه في فهم الآية وتفسيرها باجتهاد وفهمه الخاص ثم الرجوع بعدها إلى أهل العلم وأربابه لتقويم هذا الفهم والاجتهاد، الثاني: التنبيه على علوم التفسير وأماكن توظيفها وكيفية الاستفادة منها عند الشروع في عملية التفسير، ليعرج بعدها في تفصيل الكلام حول الخطوات العلمية لهذه الخطة. والمتمثلة في الآتي:

الخطوة الأولى: وقد بيّن فيها باقتضاب شديدٍ جدًا ما يحتاجه الساعي لتكوين ملكة التفسير من العلوم الضرورية التي يجب أن يكون على دراية تامة بمبادئها وفهم كلام العلماء فيها، مركزًا القول حول معرفة كلام العرب شعراً ونثرًا مع النظر الدائم في أصول التفسير ومناهج المفسرين ومدارسهم ومؤلفاتهم، وعقب بالقول في آخر هذه

الخطوة، أنها ليست من صميم الخطوات التشكيلة لذهنيّة المفسّر وتكوين ملكته، لكنها خطوة تأسيسية قبل الشروع في باقي الخطوات.

الخطوة الثانية: ومفادها أنه يجب على الساعي لتكوين ملكة التفسير اختيار سور أو أجزاء معيّنة لم يسبق له الاطلاع على تفسيرها بغية التدرب على تفسيرها.

الخطوة الثالثة: أبرز فيها مسألة فهم النص القرآني بالجهد الذاتي المحض، دون الاستعانة أو الرجوع إلى التفاسير السابقة مركزًا القول على استحضار خمسة سياقات معينة على الفهم والتفسير وهي: السياق القرآني العام، ثم السياق الزمني للآيات المختارة، ثم سياق السورة التي تتضمن الآيات المختارة، ثم سياق الآيات خاصة، ثم سياق الآية الواحدة.

الخطوة الرابعة: وتضمّنت مراحل السعي إلى التفسير اللغوي للآيات المختارة، وذلك من خلال ست مراحل نوردها باختصار: المرحلة الأولى: تحديد الكلمات التي تحتاجها للدراسة اللغوية، المرحلة الثانية: معرفة أصل المعنى اللغوي للكلمات المدروسة، المرحلة الثالثة: حصر المعاني الفرعية ومشتقاتها للكلمات المدروسة، المرحلة الرابعة: النظر والمراجعة لجميع الآيات التي تضمّنت الكلمة المدروسة، المرحلة الخامسة: وهي ذات صلة بالمرحلة التي قبلها، بحيث يتأكد المتدرب من صحة المعنى الفرعي للكلمة المدروسة.

الخطوة الخامسة: تفسير الآية بالمنقول من: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال السلف، وهذه الخطوة يتفرع عنها ثلاثة فروع، وهي: الفرع الأول: تفسير القرآن بالقرآن، وحدّد هذا الفرع في ثلاث مراحل: الأولى هي استخراج الآيات ذات علاقة بالآية المدروسة، والثانية تمثل في الاستعانة بالجهود المتفرقة لأهل العلم، أما الثالثة فهي الرجوع إلى كتب التفاسير وخاصة التي اعتنت بموضوع الآية المدروسة.

أما الفرع الثاني: تفسير السنة للقرآن، قد ذكر فيه وجهان معروفان: الأول: تفسير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصريح للآية، والثاني: التفسير غير الصريح، وهو عموم السنة، من أقوال وأفعال وتقريرات.

وقد حدّد أربع مراحل للوصول إلى تفسير القرآن بالسنة: المرحلة الأولى: الوقوف على التفسير المروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم المرحلة الثانية: دراسة التفسير المروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتمييز صحيحه من سقيمه، المرحلة الثالثة: فهم الحديث الثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التفسير، والاجتهاد في استنباط وجه بيانه للآية التي يفسّرها، المرحلة الرابعة: تقويم فهمه للحديث، ومراجعة استنباطه لعلاقته بتفسير الآية، من خلال الرجوع إلى كتب شروح الحديث.

الفرع الثالث: تفسير السلف للقرآن الكريم، قد جعل له مراحل ثلاثًا وهي المتمثلة في الجمع من المظانّ، ثم التثبت من صحة ما جمع، ثم النظر في معاني أقوال السلف بين الاتفاق والاختلاف.

الخطوة السادسة: ومفادها الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وإلى ترجيحاتهم النهائية، لتقويم النتيجة النهائية واختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصلت إليه من تطبيق جميع الخطوات.

ثم خاتمة تضمّنت تذكيرًا بخلاصة الكتاب في تكوين ذهنيّة المفسّر، ثم أورد بعدها ملحقًا تضمّن تخريج حديث "القرآن الكريم حمال ذو وجوه" الذي اشتهر بين ألسنة المشتغلين بالتفسير قديمًا وحديثًا.

هدف الكتاب: لا يختلف اثنان في أنّ لكلّ مؤلّف هدفًا وغاية، سواء نصّ عليه مؤلّفه صراحة أو لم ينص عليه، أما الكتاب الذي نقدّم لقراءته، فقد نصّ المؤلّف على هدفه بوضوح تامّ في مقدمة كتابه ليعيد الكرة في الخاتمة، حيث رام الإسهام في تحقيق ملكة التفسير من خلال وضع خطة علمية تعليمية، مبناها على محاولة تشكيل وترتيب ذهنيّة المفسّر للوصول إلى التفسير الصحيح بعد اتباع تدريجي لمراحل دقيقة تعتمد على الجهد الذاتي الذي يعقبه التقويم العلمي؛ حتى يتسنّى لكلّ مَنْ قصد تكوين هاته الملكة الوقوف على المعاقد المحكمة للاجتهاد في علوم التفسير.

وقد قصد المؤلف هذا الهدف بالذات جراء الخداج الذي طال ملكات العلوم وخاصة التفسير لأسباب عدة أبرزها الاستثمار الخاطئ للعديد من النصوص الدينية المؤطرة لعمليات التعامل من نص القرآني، وسيادة نمط التلقين وعموم التقليد في صفوف المهتمين بالتفسير، إذ هو مردُّ ضعف هذه الملكة في نظر المؤلف أو أضعافها الذي يمهّد لضُعف ممارسة عملية التفسير أولًا كما يلوح ثانيًا بانكماش مخرجات وحصاد مستقبل التفسير، كما أنّ الاهتمام بتكوين ملكة التفسير الذي سعى المؤلّف لتحقيقه هو بمثابة خطة استباقية تمكّن من تخريج كفاءات تمتع بحسّ تفسيري عميق وقادرة على البثّ في القضايا المتعلقة بالتفسير الراهنة والمستقبلة.

الإشكالية الرئيسية للكتاب: تُمثّل إشكالية القضية المحورية التي تشغل بال المؤلف فيمنحها الهم والاهتمام، ويسعى للإجابة عنها في ثنايا كتابه، وبعد قراءة الكتاب الذي بين أيدنا والوقوف على ثروته المعرفية والمنهجية تبين أنّ المؤلف لم يصرح بالإشكالية على الشكل المعهود من خلال سؤال رئيسي أو مجموعة من الأسئلة الفرعية، لكن يظهر بشكل عام أنّ الإشكالية التي رام الإجابة عنها تتمحور حول ذكر خطوات علمية تتشكل من خلالها ذهنيّة المفسّر وتتأسس ملكته وتتقوى مما تجعل المشتغل بالتفسير على طريق أهل التحقيق من هذا الفن، وإذا أردنا صياغتها في سؤال رئيسي يمكن القول: كيف يمكن تشكيل ملكة التفسير؟

ولا شك أنها تبدو إشكالية في غاية الأهمية، وخاصة أنّ المحاولات على نفس هذا المنوال بذاته قليلة،[1] حيث تولّدت إشكالية الكتاب لدى المؤلف من خلال الضعف المشهود الذي بات ينخر في منجيات اكتساب ملكات فَغلب نمط التلقين والتقليد في

[1] والمقصود بالمحاولات القليلة: أي: الكتابات الخاصة التي اتجهت صراحة صوب تكوين ملكة التفسير من خلال وضع برنامج أو خطوات يسير عليها الباحث نظريًا وتطبيقيًا لتكوين ملكته في التفسير، وإلا فالكتابات التي تحدّثت عن الأمر- ملكة التفسير- بشكل عام أو تتقاطع معه في بعض جزئياته فهي متوفرة.

اكتساب العلوم، وملكة التفسير ليس ببعيدة عن هذا الأمر، ومنه قصد المؤلف وضع خطوات غطّت الجانب العملي أملًا أن يَظفر بخطة تكون بمثابة منهج علمي دقيق يلامس نتائجه كلّ مَنْ قصده وسار عليه.

ثانيًا: كتاب (تكوين ملكة التفسير)؛ نقد وتقويم:

أ- **أبرز المزايا:** أبرز العرض لمحتويات المُؤَلَف الهامة التي ناقشها الكاتب عن مدى أهميته، وحسن تعامل المؤِلف مع موضوعه: بحثًا ودراسةً وترتيبًا، وسنبيّن مزاياه لتتضح صورتها أكثر؛ ومن ذلك ما يلي:

الجِدَّة والرصانة في الطّرح والتي تظهر من خلال ابتكار هذه الخطوات العلمية العملية، وكذلك من خلال قوة الفكرة ومنطلقاتها وسياق الموضوع وخلفياته، كما أجاد في إبراز نقطة انطلاق الكتاب ونهايته حتى لا يدع البحث فضفاضًا في أغلب محطاته، أما الحديث عن المقدمة فعليها عدة ملاحظات كما سيأتي معنا.

أنه يسهل على الطالب والباحث الاستفادة منه وتطبيق خطواته العلمية العملية وممارستها دون الرجوع أو الاستعانة بأحد المتخصصين، ومن جهة أخرى فإنّ مادة الكتاب لها قابلية كبيرة لأن تكون مقررًا دراسيًّا مهمًا أو جزءًا من مقرّر في هذا الفن، بمعنى أنه قابل لأن يكون مادة دراسية مهمة بشقيها النظري والتطبيقي ويستفيد منها الطالب ويوظّفها الأستاذ.

الاهتمام التجديد في التفسير الذي صار ذا همّ واهتمام لدى أرباب هذا الفن، كما أحسن المؤلف توظيف هذه القضية حيث جعلها مقامًا يُجَسِر به مراده من الكتاب، كما يلاحظ أيضًا أنه رغم اعتناء المؤلف بقضية التجديد إلا أنها جعلها تسير بشكل موازي مع التفسير بالمنقول دون ازدراءه أو القفز عليه؛ وهذا من أبرز مميزات هذا العمل، بل جعله- التفسير بالمنقول- ذا أهمية بالغة وفصّل فيه القول في الخطوة

الخامسة، وخاصة أننا صرنا نسمع عن العديد ممن امتطى قضية التجديد في التفسير يجعل التفسير بالمنقول جانب الميل أكثر دون قيد أو شرط إلى: (العقل والغرب فكرًا ومنهجًا) وهذا الأخير جزء لا يتجزأ من الخلل المنهجي الذي يعتري العديد من الدراسات التي نحت في هذا الجانب من الاشتغال.

جمالية أسلوب المؤلف حفظه الله وجودة وبراعة لغته، وهذا يلاحظه كلّ مَنْ وقف على هذا الكتاب، ويظهر هذا جليًا من خلال كل القضايا ذات الصلة باللغة سبر أغوارها وخاصة الخطوة الرابعة التي تدرس مراحل السعي إلى التفسير اللغوي الصرف.

عناية المؤلف بموضوع البحث دون استطراد، بحيث رَكّزَ على موضوع الكتاب تركيزًا دقيقًا وعدم تفرعه أو توسعه فيما لا يعود على الباحث بفائدة معينة، وهذا الأخير يسهم في عدم حصول التشويش المعرفي وتشتيت الذهن ونأى به عن المقصود من الكتاب، وقد بدا هذا واضحًا في ثنايا الكتاب.

ضبط المؤلف وهو يخوض في بيان ومناقشة الخطوات العلمية لتكوين ذهنيّة المفسّر للتقسيمات والمراحل المتضمنة في كل خطوبة بحيث يلاحظ القارئ تناسقًا منهجيًا، فضلًا عن حسن تنظيم ورونقه وانسجام الفقرات فيما بينها، كما اعتنى بضبط الأمثل وانتقاء الشواهد المناسبة أو ذات علاقة بالمراد في كل محطة، والتي تخدم المراد من خطوة من خطوات الكتاب.

برع المؤلف في دراسة كل خطوة علمية لوحدها، مبينًا ما اشتملته من مراحله، ليعيد التذكير بها في الخاتمة، بحيث لم يكتف ببيان أفكاره على شكل نتائج، بل عقد ملخصًا يعيد فيه التذكير بخطوات التكوين وما تضمّنته من المراحل.

ثم ختم القول بمزية أخرى، وتتمثل في تخريج حديث "القرآن الكريم حمال ذو وجوه" الذي اشتهر بين ألسنة المشتغلين بالتفسير قديمًا وحديثًا، ولعل الغرض من إيراده فضلًا

عن بيان حاله ثبوتًا أو ضعفًا فإنه قصد بيان صحة معنى هذا الحديث في واقع التفسير، وعلى المشتغلين به استحضارها وأخذها بعين اعتبار كلّ مقام صحّ استحضارها فيه.

كما أولى الكاتب فهرسة مؤلفه عناية كبيرة وأولها بالفصيل؛ مما دفعها لترقى إلى مزايا حسنة الذكر لكل مَنْ رام هذا الكتاب، بحيث تمكن الباحث الساعي لتكوين ملكة التفسير خاصة والقارئ عامة من الوصول إلى مراده بدقة.

ب: أهم المآخذ ومناقشاتها: وعطفًا على ما تقدّم، فإنه لا يخلو عمل علمي أيًّا كان من ملاحظات ومناقشات حوله مهما سعى صاحبه لتكميله وتجويده، ومثل هذه المناقشات تتفاوت في الأنظار وتختلف في الآراء من باحث لآخر، ولا شك أنها لا تنقص من قدر العمل شيئًا، وإنما هو تثمين وتكميل لهذا العمل ومناقشته تعميمًا للفائدة وفتح ملف النقاش حوله وحول موضوعه من جديد، ومنه فقد بدت بعض الملاحظات التي نُناقشها في الآتي:

في مفهوم التفسير المراد من تكوين ملكته: كان على المؤلف أن يبيّن مفهوم التفسير الذي يسعى لتكوين ملكته ويبرز محدداته إذ لا يخفى على كل المهتمين ما يعانيه مفهوم التفسير من اختلاف كبير بين موسع للمفهوم ومضيق له؛ جراء المحطات والمنعطفات والعوامل المتنوعة التي شهدها في سيرورته بدءًا من نشأته إلى العصر الحالي، ومن تتبع الكتابات والمؤلفات التي عُنِيَتْ بتحرير مفهوم التفسير وقف على هذا الاختلاف الواسع في دلالاته، ولا شك أنّ هذا الجدل الواقع في تحديد ماهية التفسير تبنى عليه كل القضايا والآراء المطروحة على طاولة الدرس التفسيري، ومن ذلك قضية تكوين ملكة التفسير التي هي هدف للكتاب وغايته، والتي تحتاج لمفهوم تبنى عليه وترسم محددات تشكيلها.

ومن القضايا أيضًا التي بثّت في ثنايا الكتاب وتستدعي إيرادَ مفهوم للتفسير، هي قضية التجديد في التفسير، فأيّ تفسير أريد بالتجديد؟ هل التفسير بمعناه الضيّق الذي

يقتصر على كشف معنى وبيان المراد فقط، أم التفسير الواسع الذي يغطّي بيان المعنى والكشف عنه، مع استخراج الأحكام والنظر في الحِكم والمقاصد التشريعية والوقوف على اللطائف والنكت وغيرها...

لكن من خلال ذكر المؤلف لصور التجديد في التفسير يظهر بجلاء أنّ التفسير المقصود بتكوين ملكته والمقصود أيضًا من عملية التجديد هو التفسير بمفهومه الواسع الذي يتجاوز كشف وبيان المعنى إلى مسائل أخرى متنوعة، ذلك أنه جعل من صور التجديد فيه والتي تبرز معناه الواسع: ربط التفسير بالواقع ومستجداته، وربط التفسير بالمكتشفات العلمية الحديثة، وضبط التفسير الإشاري، والوقوف على المسائل اللغوية المتعلقة بالتفسير مع الاهتمام بالإعجاز اللغوي... ومَنْ تأمّل هذه الصور ووضعها صوب مفهوم التفسير فإنها تتغير منزلتها بتغير مفهوم التفسير.

فباعتبار المفهوم الواسع للتفسير يمكن اعتبار هذه الصور المذكورة آنفًا نوعًا من التجديد في التفسير، أما إذا نظرنا إليها بالمفهوم الضيّق للتفسير فما هي حين ذلك إلا صورٌ لإثراء الواقع العلمي البحثي في التفسير ومقترحات لتنشيط العمل الميداني فيه، ومنه تبرز أهمية إيراد المفهوم في أوّل ضبط معاقده في بداية الكتاب، وتجدر الإشارة إلى أنّ السير على مفهوم التفسير بمعناه الواسع عليه مجموعة من الطروحات الناقدة له، فكان الأجدر للمؤلف بما أنه سلك المفهوم الواسع للتفسير أنْ يبرز وجهة النظر في هذا الأمر والموقف من هذه الطروحات، مع بيان دواعي واعتبارات اختياره للمفهوم الموسع والاشتغال على تكوين ملكته.

في تجديد التفسير: وفي هذا الطرح فإننا سنناقش الكتاب من خلال السير معه في الوجهة الموسّعة التي قصدها وما تعلّق بها من التجديد، إذ حديثه عن المراد بالتجديد في التفسير الذي هو حركة تشهدها مختلف العلوم والفنون حتى تتميز بخاصية الدوام والاستمرارية في كلّ عصر ومصر بغية تحقيق المقاصد المرجوّة من هذا الفن، وقد

بيّن أنّ المراد به هو: "**العودة التفسير إلى انطلاقته الاجتهادية وحريته العلمية المنضبطة بالمنهج الذي كان عليه زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة المتبوعين وأئمة التفسير المجتهدين**".[1] ومَنْ تأمّل هذا القصد ألفاه قد غطّى جانبًا من جواب التجديد فقط ألا وهو جانب الاجتهاد، لكن إذا عدنا للمعنى اللغوي والنصوص العمدة الواردة في باب تجديد الدين الذي أساسه تجديد العلوم الإسلامية والاستنباطات الدائرة في فلك الحديث عن التجديد وما بيّنه روّاد هذا الشأن على مرّ العصور، نجد أنّ التجديد يشمل أمور عدّة تتمثل في الآتي:

- أنّ في علم ما يجب ألا يمسّ لأنه قوام هذا العلم ولبّه ووجب الحفاظ عليه، وبذهابه أو تغييره تذهب ماهية هذا العلم ليخرج عن مساره لأنّ التغيير قد طال جوهره، فلكل علم أسس ومرتكزات لا يجب إدراجها البتة في الحديث عن التجديد.
- ومن ذلك أيضًا تقوية ما في العلم المراد من الأصول والقواعد والطرق المعينة على خدمة مقاصده من خلال الاجتهاد نحو شقّ المسالك والسبل وآليات منضبطة وتوسع مباحثه حتى يمتد ضوؤه إلى العلم المراد من التجديد إلى أماكن لم يتمدد ضوؤه إليها، وهو أمر يتعيّن بل آكد في وقتنا المعاصر، وهو الذي قصده المؤلف من قوله في تعريف التجديد في التفسير: العودة بالتفسير إلى انطلاقته الاجتهادية وحريته العلمية المنضبطة بالمنهج.
- كما أنّ تجديد العلم يقع من خلال ضبط كل المواطن التي تبين أنه قد طرأ عليها ما تصير به متخلفًا عن المقصود منها، وقد شابها شيء من الدَّخَنِ والوهن، وإعادة ترميم ما تصدع منها.
- ومن ذلك أيضًا أنّ التجديد ليس إقصاءً أو بترًا لما قام به الأوائل، فإنّ هذا

[1] تكوين ملكة التفسير، ص 13.

ليس من العلم في شيء فضلاً عن التجديد المنضبط، ولكن التجديد تثمين وتتمة للصرح الذي بناه الأقدمون.

وبناء على ما ذكره المؤلّف ومن المعاني التي تمخضت عن النصوص المتعلقة بالتجديد يمكن القول أنّ التجديد في التفسير هو مستويات[1] تتفاوت درجاتها، وسنحدّدها في أربعة تغطي الجانب النظري والبعد التطبيقي، إذ لا غنى لأحدهما عن الآخر في التجديد في التفسير، بحيث لا يقتصر التجديد في التفسير على أن يكون إبداعًا في التنظير فقط، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه لا فائدة منه إذا لم يُعْطَ حقَّه من التطبيق، وهذه حقيقته التي من شأنها أن تسهم بقوة في تكوين ملكة التفسير التي رام المؤلف تشكيلها، وهذه المستويات هي:

المستوى الأول: إعادة الجدة والقوة إلى هذا العلم على الوجه الذي كان عليه الجيل الأول وقد اصطبغ وجداهم به، بحيث يصبح التفسير حسًّا ذا أهمية عظمى في نفوس العلماء وكل الباحثين والمهتمين بالدرس التفسيري، ويُعطى حقَّه من التنظير ومستحقه من التنزيل على ما عُهِدَ له في سالف الزمان.

المستوى الثالث: توسيع مباحث القواعد والنظريات التفسيرية، إما عن طريق تعميقها أو تقويمها وتحريرها مع تحديد مواطن النضج والقصور كيفًا وكمًّا، وسلوك سبل لاجتراح وإخراج قواعد تفسيرية جديدة تستثمر كل الفرص والإمكانات المتاحة في المعرفة المعاصرة، بحيث تسدّ كل الثغرات المطروحة في الوسط العلمي، ولا يتم هذا الاجتراح إلا عن طريق الإقدام وبقوة للاستفادة من الآليات والمقاربات التي أبرزتها المعرفة الحديثة.

المستوى الثاني: تحقيق وتنقيح ما أثر في علم التفسير بكل اتجاهاته من التصحيف

[1] سبق أن تناولت مستويات التجديد في التفسير من خلال بحث منشور في دورية نماء المحكمة تحت عنوان: التجديد في التفسير: نظرة في المستويات والمنطلقات والضوابط، العدد السابع عشر، 2022م.

والتحريف الذي شكّل نوعًا من الدَّخَنِ والوهن الذي طال عددًا من مدونات التفسير التي اشتهرت بين المشتغلين به، ومن ذلك تخليصها من الكوارث العقدية الفاسدة بكل أنواعها، والتنبيه على المباحث التي ليست من أصل هذا العلم وقد بثّت ضمنه، بل عدّها بعضًا منه. مع الاهتمام بالتفاسير التي لم يصلها نور أصلًا والتي لا تزال حبست رفوف المخطوط.

المستوى الرابع: تثمين وتتمة جهود الأوائل في هذا العلم عن طريق المواكبة الإيجابية للعصر وتفسير مستجداته مع المساهمة في إيجاد حلول لوقائعه ونوازله عن طريق علم التفسير، وهذا المستوى من التجديد لا يتحقق إلا بانتقال التفسير من بطون الكتب والمكتبات إلى واقع الناس والسعي إلى إصلاحه من خلال التطبيق.

في خطوات تكوين ملكة التفسير: لقد أورد المؤلف ستّ خطوات كما تقدّمت الإشارة إليها من قبل، ودار القول في **الخطوة الأولى** حول العلوم الضرورية التي يحتاجها الساعي لتكوين ملكة التفسير؛ والتي اعتبارها بوابة لولوج مسار التجديد في التفسير، لكن مَنْ تأملها ألفاها أمورًا مسلّمة لدى كل المهتمّين بمجال التفسير، وهذا من جهة.

ومن جهة أخرى إذا ما قارنّا هاته العلوم بصور التجديد التي اعتبرها المؤلف مدخلًا تأصيليًا لتكوين ملكة المفسّر، نجد أنّ ربط التفسير بالاكتشافات العلمية الحديثة، ومدّ إنارة القرآن تجاه العلوم العصرية المستحدثة، وربط التفسير بالواقع ومستجداته، يتطلب علومًا أوسع مما اقتصر عليه المؤلف، وكيف لمفسِّر بنى ملكته في العصر الحديث على ما هو متعارف عليه ومُسَلّم به في علم التفسير، وتحاشى الاستفادة من علوم الإنسان الحديثة وعلوم الطبيعة أن يخوض تفسير الاكتشافات العلمية على الوجع الصحيح، وإفادة العلوم المستحدثة من معين القرآن إذا لم يكن له نصيب منها. وبما أننا بصدد الحديث عن معرفة العلوم التي تسهم في تحقيق ملكة التفسير وتصل بنا

إلى التجديد فيه، يتبادر إلى لذهن السؤال الآتي: هل معرفة باقي العلوم[1]- علوم الإنسان الحديثة وعلوم الطبيعة- أمرٌ ضروريٌّ أم ثانويٌّ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أعود وأقول إنّ الأمر مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم التفسير المراد لتكوين ملكته، إذ دائرة العلوم المطلوبة تضيق وتتسع بناء على محددات مفهوم التفسير المراد.

وحفاظًا على اتجاه الكتاب نحو مفهوم التفسير بمعناه الواسع فإنّ معرفة هذه الأمور- علوم الإنسان المستحدثة، وعلوم الطبيعة- تصبح شبه ضرورية في خطة تكوين ملكة التفسير، وعليه يمكن تقسيم العلوم الضرورية لعلم التفسير إلى دائرتين وسمّها ما شئت، وهي المتمثلة في الآتي:

دائرة العلوم الرئيسية: وهي العلم بكلام العرب شعرًا ونثرًا مع الإحاطة بأصول التفسير ومناهج المفسرين... وكل ما ينبثق من صميم التفسير، ويدخل في هذا الباب باقي العلوم الإسلامية المعينة على التفسير.

دائرة العلوم الفرعية: وهي العلوم التي تأسّست خارج أسوار العلوم الإسلامية كالعلوم الطبيعية وعلوم الإنسان المستحدثة كعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس..، ويدخل في هذه الإلمام بالواقع ومستجداته، وخاصة أنّ العلوم بنت الأصول الفكرية من جهة وبنت الواقع من جهة أخرى.

[1] إنّ المقصود بالمعرفة في هذا المقام ليست معرفة المتخصص الذي يحيط بكل صغيرة وكبيرة من هذه المعارف، ولكن المطلوب هو القدر الذي يبلغ به المفسّر هدفه من عملية التفسير، ويمكن أن نجعل معيارًا لهذا يحدّد القدرَ المطلوب في أمرين، أولًا: القدر الذي به يحصل فهم هذه العلوم ومدّ استضاءة القرآن لها بغية الإثراء والتكميل والتقويم وهذا بالنسبة لعلوم الإنسان، أما علوم الطبيعة وهو الثاني: فيجب على المفسّر إدراك القدر الكافي لفهم ما ورد في القرآن من جنس هاته العلوم (الاكتشافات- الظواهر الطبيعية...إلخ) وربطه بالمقاصد التشريعية، وعدم مخالفتها صراحة والإتيان بالغريب والبعيد في تفسيرها والحديث عنها، وخاصة أنّ العلم الحديث قد أثبتها.

ومنه فإنّ الإشارة إلى لاستفادة من العلوم التي ولدت من غير رحم العلوم الإسلامية أمرٌ ضروريٌّ؛ ؛ لما يثر عن ذلك من المساهمة في بناء خطة متكاملة الخطوات.

وتتأكد هذه الضرورة من جانب آخر وهو: أن المفسِّر اليوم مطالب بمعرفة ما لم يحط به المفسّرون من قبل لاعتبارات عدة، وبتعبير آخر "فالعربي في الماضي قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوين الإنسان الموضوعية التي كانت طبيعتها البسيطة بالمقارنة مع خصائص التكوين الراهن"،[1] ومنه تبقى الاستفادة من العلوم الطبيعية وعلوم الإنسان ومعرفة الواقع مسائل ضرورية لدى المفسّر المعاصر، من أجل البحث عن العلاقة الناظمة بينها وبين مقاصد القرآن وغاياته وتخطي قضية الاستئناس في فهم ما ورد في القرآن حول علوم الطبيعة وعلوم الإنسان، وهذا الطريق أجدر للإسهام في تكوين ملكة التفسير.

أما في ما يخص الخطوة الثانية فحسن ما أورد المؤلف من حديث عن اختيار سورة أو أجزاء أو آيات معينة لم يسبق الاطلاع على تفسيرها بغية التدرب على تفسيرها، لكن ما طبيعة هذه الآيات المختارة، واعتبارات اختيارها، ومَنْ تأمّل كلام المؤلف وجده قد ذكر اعتبارًا واحدًا للآيات المختارة وهو أنّ المتدرب لم يسبق له قراءة تفسيرها، لكن إذا عدنا للمفهوم التفسير الذي صّوبه المؤلف، وبناء على المدخل التأصيلي الذي قرّره، مع بسط القول في مسألة التجديد وصوره، وكذلك مطالبة المتدرب بتحصيل مجموعة من العلوم فإنّ هذا كله يفرض على المتدرب أن يخضع الآيات المختارة للشمولية أي: أن تغطي كل ما تقدم حول مفهوم التفسير الذي يسعى لتكون ملكته وتغطي أيضًا قضايا المرتبط بالمدخل التأصيلي للملكة، فتشمل هذه الآيات ما يلي:

- آيات تكوّن مظنة ومحطة للحرية العلمية الاجتهادية المنضبطة بغية استخراج معانٍ جديدة لم يسبق لها المفسرون من قبل.

[1] إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1418ه/1996م، ص22، بتصرف.

- آيات تكوّن مطية لمحاكمة الأقوال المتعددة فيها والانتقال بها من الاختلاف اللفظي إلى الاختلاف الحقيقي الذي يجمع بين راجح ومرجوح.
- آيات تتضمن مقاصد تشريعية.
- آيات ذات صلة بالواقع ومستجداته.
- آيات ذات صلة بالموضوع الواحد في ثنايا الخطاب القرآني كآيات الجهاد أو التوحيد أو الأمن...إلخ.
- آيات تتضمن معالم ومؤشرات علمية حقّة دقيقة مرتبطة بالاكتشافات الحديثة.
- آيات يظن أنها محطة تسهم في مدّ نور القرآن نحو العلوم التي نضجت خارج أسوار العلوم الإسلامية مثل: علوم التربية، وعلم النفس والاجتماع، بغية التصحيح والتكميل والإثراء.
- آيات تتضمن أحكامًا وحكمًا ونكتًا ولطائفَ متنوعة.
- آيات تتضمن مسائل لغوية وبلاغية.

وغيرها من الأنواع الآيات التي يجب على المتدرب أن يختارها، وهذا يلزم أن يكون لديه مشرف أو أستاذ قد سبقه إلى هذه الآيات وأحاط بما فيها حتى يمكّنه منها وهو في بداية تكوين ملكته التفسيرية، أما أن يختار آيات دون ما تقدم من تنويع وتغطية الجوانب المطلوبة في تكوين ذهنيّة المفسّر؛ فإنّ هذا الأمر سيحول بينه وبين تحقيق ملكته بالشكل المتكامل والمطلوب.

أما الخطوة الثالثة التي خصّصت للحديث عن فهم الآيات المختار بالجهد الذاتي المحض، دون الاستعانة أو الرجوع إلى التفاسير السابقة، والخطوة الرابعة التي تحدث فيها عن السعي إلى التفسير اللغوي الصرف، فيمكن الجمع بينهما لاعتبارات عدة أهمُّها أنّ معظم السياقات التي سبق ذكرها لا تسلم من استعانة باللغة في توظيفها، إذ مرحلة التفسير

اللغوي الصرف هي مرحلة متقدمة بعض الشيء، ولا يمكن إفرادها بعد السياقات.

وعليه فيمكن المزج بين الخطوتين المتقدمتين- الثالثة والرابعة- مع إثراء شيء من الإضافة والتفصيل والتقسيم يضفي طابع الإفادة أكثر، بحيث يمكن الجمع بين ما ذكره المؤلف في الخطوتين بما تم تسطيره في مواطن أخرى، ولا يسع الباحث الساعي لتكوين ملكة التفسير إلا الاطلاع عليها وفهمها أشد الفهم مع استحضارها وتوظيفها على الوجه الصحيح في مرحلة فهم الآيات المختارة بالجهد الذاتي المحض، بحيث ستكون خطوة فهم الآيات المختارة بالجهد الذاتي مبنية أولًا على إعمال النظر والتدبر، أما الثاني فهو ضرورة استحضار منظومة سياقات متكاملة بمثابة مفاصل يشدّ بعضها بعضًا، وتتمثل في الآتي وهو عبارة عن خطاطة قبل أن يأتي التفصيل بعدها:

السياق القرآني العام: وغايته أن يستحضر المتدرب الغايات والمرامي السامية للقرآن الكريم، ومن أبرزها توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأنّ القرآن كتاب هداية للعالمين ومنهج

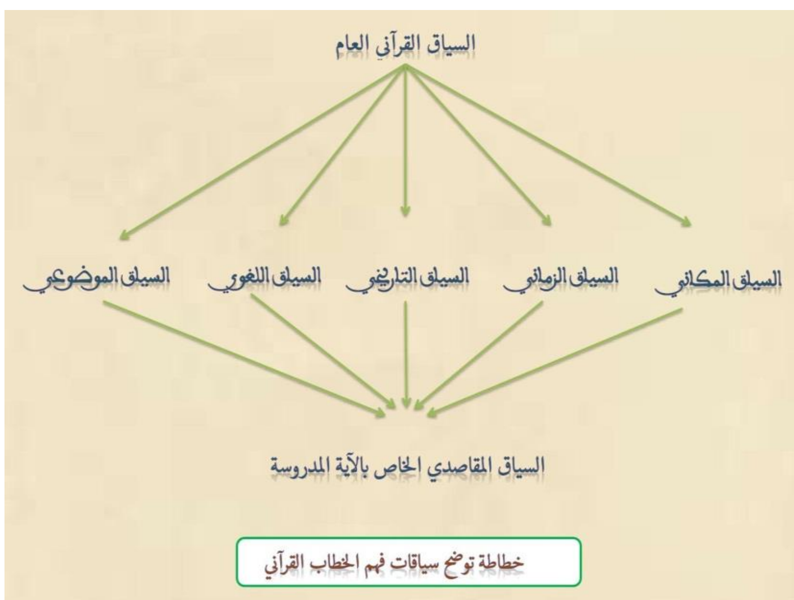

ودستور لتنظيم جميع مناحي الحياة في كلّ عصر ومصر إذا ما فُهِمَ الفَهْم الصحيح ونُزِّلَ التنزيل الصحيح...الخ.

ويعدّ السياق القرآني العام هو المنطلق المؤطر لباقي السياقات القادمة، كما تعدّ هذه السياقات (المكاني-الزماني-التاريخي-اللغوي-الموضوعي) طريقًا قويمًا لفهم معنى الآية والوقوف على مقاصدها الجزئية الخاصة، ومنه يظهر أنّ نمط اشتغال هذه السياقات وتوظيفها ينحو من العام وهو المقصد القرآني ليصل إلى الخاص وهو مقصد الآية، وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التفريق بين المقاصد الكلية للقرآن وبين المقاصد الخاصة والجزئية للآيات.

السياق المكاني: وهو الذي يركّز فيه الباحث على موقع الآية المدروسة داخل بنية السورة، ويرى مكانها بين السابق واللاحق من الآيات، والغرض من ذلك هو رصد العلاقة الناظمة والجامعة بين الآية المختارة وبين سابقها ولاحقها لجمع ما يترتب عن ذلك من معانٍ ودلالات وفوائد، والتي سيعود لها المتدرب فيما بعد لتوظيفها، ومنه فلا يمكن بتر الآية أو قطعها أو إهمال سياقها المكاني بغية تفسيرها دون النظر فيما قبلها وما بعدها.

السياق الزمني: ومفاده أنْ يوظّف الباحث في فهمه للآيات المدروسة كلّ ما له علاقة بالبعد الزمني وأعان على الوصول لمعاني الآيات واستخراج دلالاتها، كمعرفة المكي والمدني مثلًا، والغرض من استحضار السياق الزمني هو معرفة أغراض وخصائص كلّ من الفترة المكية والمدنية وتطعيم فهم المتدرب بهذه الخصائص عند التفسير، كما أنها أيضًا- الخصائص- معينة على الترجيح عند التعارض، بل عدَّ المكي والمدني من القرائن التي يستند عليها في كثير من الأحيان...، وغيرها من الوظائف التي يقدّمها السياق الزمني في بنية عملية التفسير.

ومما يمكن استحضاره أيضًا في السياق الزمني هو سياق الآية المدروس بالمقارنة مع الآيات التي تقاسمها نفس الغرض بحسب ترتيب النزول، وإن شئت قل إنّ الأول سياق

زمني عام وهو ما يتعلق بالمكي والمدني، والثاني سياق زمني خاص وهو ما يتعلق بالآية المدروسة، ولا شك أنه عن استحضار هذه السياقات وتوظيفها ينطلق من العام نحو الخاص، أي عند تحديد الآية المدروسة هل هي مكية أو مدنية، ثم بعدها داخل المكي والمدني ينظر في الآيات التي يتقاسمها نفس المعنى أو يتقاطع معها، أيها كانت الأولى من حيث التنزيل، فكل هذا يعين على فهم القرآن ويسهم في تكوين ملكة تفسيره.

السياق التاريخي: ويمكن أيضًا أن يقسم في ضربين: العام والمراد منه سياق الأحداث التاريخية التي حكاها الخطاب القرآني قديمًا ولها علاقة بالآية المدروسة، وكذلك الأحداث التي المعاصرة لزمن التنزيل الآيات المدروسة، أما الخاص: فهو سبب نزول الآية المقصودة بالتفسير لوحدها، وهذا أدقّ من الأول، وله أثر بالغ في فهم القرآن الكريم مع الإعانة في الوقوف على معقد الحكم والأحكام المتضمنة في الآية المدروسة.

السياق اللغوي: ويعدّ هذا السياق من أبرز مراحل تشكيل المعاني الموصلة إلى مراد الله عَزَّوَجَلَّ، ومفاده فهم تفسير الآيات المقصودة بالتدرب من خلال ما ثبت في لغة العرب وفق نفس المراحل التي ذكرها المؤلف.

السياق الموضوعي: والمراد به النظر في موضوع الآيات المختارة مع باقي الآيات التي يتقاسمها نفس الموضوع بعد تتبعها في ثنايا القرآن الكريم؛ بغية الخروج بمعنى واحد، ويمكن تقسيم هذا السياق في ثلاثة أمور ينظر فيها الساعي للتفسير وهي:

- **موضوع السورة:** ومفاده النظر والاهتمام بموضوع السورة ككلّ عند ممارسة التفسير، وغالبًا ما يتجلى في موضوع السورة في عمومه من خلال اسم السورة.
- **موضوع الآية:** وهو صلب السياق الموضوع وحقيقته النظر في اهتمام الآية المختارة وموضوعها مع استحضار باقي الآيات التي تناقش نفس الموضوع أو تتقاطع معه في أهم نقاطه، بغية الوصول لمخرجات صحيحة دون أدنى تعارض أو اصطدام في الآيات ذات الموضوع الواحد.

- **موضوع الكلمة:** وهذا الشقّ يلجأ إليه إذا كانت الآية المراد تفسيرها تتوقف على فهم مراد كلمة بعينها، وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية الدراسة المصطلحة وما لها من أثر بالغ في بيان المعاني الدقيقة للكلمات القرآنية من خلال منهج علمي دقيق.

السياق المقاصدي الخاص: وبعد الانطلاق من السياق المقاصدي العام للقرآن الكريم، ومرورًا بباقي السياقات الأخرى (السياق المكاني-السياق الزماني-السياق اللغوي-السياق الموضوعي)، تبدأ معالم السياق المقاصدي الخاص بالآية في الظهور والبروز، بحيث سيزداد الظهور في باقي خطوات التفسير، وعمومًا فإنه يجب على المفسّر الانتباه لهذا السياق وأخذُ دلالاته بعين الاعتبار لأنه دليلٌ قويٌ ومعينٌ على الفهم الصحيح للآية المدروسة.

وتجدر الإشارة أنّ مَنْ تأمل هذه السياقات ألفاها تنطلق من السياق العام للقرآن الكريم أي: مقصده، والذي هو بمثابة مؤطر وموجه ومحدد للمعالم الكبرى لطريق المفسّر حتى لا يضلّ أو يتيه ويخرج عن مقصود القرآن، وهو يخطو خطوات التفسير ليصل المقصد الخاص أو الجزئي الذي تتضمنه الآيات المدروسة من خلال استخراج حكم أو حكمة...، وبين الانطلاقة من المقصد العام وصولًا إلى المقصد الخاص طريق طويل ووعر يحتاج لمكابدة علمية.

أما مناقشة الخطوة السادسة التي خصّصها للحديث عن الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وترجيحاتهم النهائية، أولًا فمن حيث التسمية هذه الخطوة فهي لا توحي بالدقة المطلوبة والتي ينبغي أن تتضمنها هذه الخطوة حتى تؤتي أكلها كما يراد منها، ويمكن ضبط وسم هذه الخطوة بالآتي "عرض وتقويم من خلال كلام أئمة التفسير" وعليه يمكن أن تتضمن هذه الخطوة ثلاث مراحل رئيسية ومتمثلة في الآتي:

المرحلة الأولى: بحيث يقوم المتدرب باختيار العمدة من التفاسير التي سيعتمد عليها في هذه الخطوة، ومعيار اختيار هذه التفاسير يعود لطبيعة الآيات المراد تفسيرها بحيث

يرتكز في العموم على الكفاءة: بمعنى يختار التفسير ذات الجودة العلمية والمعروفة في الساحة التفسيرية بالدقة في التحقيق والتحرير، ثم التنويع: أي يقوم المتدرب بتنويع التفاسير المختارة للتقويم بناء على تنويع الآيات المراد تفسيرها كما تقدم في الخطوة الثانية، وإنّ الاستناد على نوع معين قد يحول بينه وبين التقويم السديد لحصاده التفسيري.

المرحلة الثانية: وتتضمن العرض، حيث يقوم المتدرب بعرض حصاده التفسيري الذي توصل له اجتهاده معتمدًا على المعقول والمنقول، فيرصد من خلال هذا العرض الأمور التالية: مواطن الصواب فيسعى لتثمينها وتعزيزها وتوسيع دائرة الاستفادة المنبثقة عنها خلال عملية العرض في مقابل التفاسير التي اعتمدها في المرحلة الأولى، ثم يرصد بدقة تامة مواطن الخطأ والقصور بغية شقّ الطريق لتقويمها، وهو ما تبيّنه المرحلة الآتية.

المرحلة الثالثة: وتعنى هذه المرحلة بتقويم مواطن الخطأ والقصور من خلال الوقوف على أسباب الخطأ وفهمها ومعرفة معقد الخطأ فيها، هل هو راجع للاجتهاد الشخصي أم قصور في توظيف قاعدة أو نقص في العدة المعرفية أو المنهجية المطلوبة من المتدرب... أو شيء من هذا القبيل، فيسعى المتدرب لتدارك منبع الأسباب المؤدية للخطأ.

وبهذا تكون عملية العرض والتقويم قد تمّت في إطار علمي منضبط يمكّن الباحثين من السير على الطريق الصحيح لتكوين ملكته التفسيرية.

في المقدمة التي يحتاجها الكتاب نورد ما يلي: وبعد الوقوف المفصّل على هذا الكتاب تبين أنه في حاجة ماسة لمقدمة غير التي قدّمها المؤلف، والتي خصّصها للحديث عن أهمية تحقيق ملكات العلوم الإسلامية، وأنها سبيل للنهوض بهذه العلوم ودوام سيرورتها العلمية كما تقدّم معنا، لكن مَنْ تأمل هذه المقدمة وجدها وجيزة جدًا، ولم تشمل أمرًا ذا بال يهيئ ويؤهل الباحث لما يأتي من خطوات تكوين ملكة التفسير، ومنه فقبل خوض غمار تطبيق هذه الخطوات كان ولابد على المؤلف أن يصدّر بعد الذي ذكره، بالحديث عن القدر المنهجي والمعرفي من العدة التي يجب اكتسابها لدى

المتدربين من خلال هذه الخطوات، كأن يقدّم برنامجًا علميًا مفصلًا يؤهل المتدرب لممارسة خطوات تكوين ملكة التفسير، فيذكر الحد الأدنى الذي يجب أن يضبطه المتدرب في أصول التفسير وقواعده، وأصول التدبر، أنواع التفسير واتجاهاته وأنواع تصانيفه ... وغيرها من المعارف المعينة على تكوين عقلية المفسّر سواء داخل أسوار علم التفسير أو خارجه، كالانفتاح على العلوم الحديثة من علوم الإنسان والطبيعة،[1] بالإضافة للإشارة إلى القدر الذي يجب على الباحث اكتسابه من مناهج وآليات البحث العلمي، وخاصة أنه سيقف على ضرورة توظيفها في ثنايا خطوات التكوين.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أحد البرامج التكوينية الرصينة التي تؤهل الباحثين لولوج عدة محطات علمية في كمحطة تكوين ملكة التفسير وغيرها... وهو برنامج أكاديمية تفسير، وهي إحدى مبادرات مركز تفسير، ومَنْ تأمل هذا البرنامج الذي استفاد منه العديد من الباحثين سواء المنتسبين أو غيرهم، وجده برنامجًا علميًا متكامل الأركان قد غطّى كلّ ما يحتاجه الباحث عمومًا والمتدرب الذي يسعى لتكوين ملكة التفسير، فإذا اعتمد الباحث على هذا البرنامج على سبيل المثال أو غيره من البرامج العلمية التي تكسب الباحث عدة معرفة محترمة في هذا الفن وانفتح على شيء من العلوم الأخرى كما سبقت الإشارة إليها ومناقشتها في الخطوة الأولى، وذلك بذكر القدر المعرفي والزاد الثقافي المطلوب من متدرب اتجاه العلوم التي تأسّست خارج أسوار العلوم الإسلامية كالعلوم الطبيعية وعلوم الإنسان المستحدثة كعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس..، ويدخل في هذه الإلمام بالواقع ومستجداته، وخاصة أنّ العلوم بنت الأصول الفكرية من جهة وبنت الواقع من جهة أخرى.

ومنه فإنّ الإشارة إلى الاستفادة من العلوم التي ولدت من غير رحم العلوم

[1] ينظر: التكامل المعرفي عند المفسّر في ظل المعرفة المعاصرة، مقال منشور على موقع تفسير للباحث يوسف عكراش

الإسلامية أمرٌ ضروريٌّ؛ لما يثمر عن ذلك من المساهمة في بناء رصين ومتكامل يؤهل لخوض التدرب على تكوين ملكة التفسير.

وجماع القول أنه يجب أن تشمل مقدمة الكتاب أو المدخل بعدها ما يجب أنْ يتوفر في كلّ مَنْ أقبل على هذا الكتاب وأراد الاستفادة من خطواته لأمرين: أولًا: إرشاد الباحثين إلى العدّة اللازمة التي توفّرها في كلّ مَنْ يسعى لاكتساب ملكة التفسير، ثانيًا: حتى لا يقع العتاب العلمي على ما قدّمه الكتاب من خطوات التكوين، جراء إقبال الكل عليه سواء توفّرت فيه الشروط التكوين أم لا، ولا شك أنّ مَنْ توفّرت فيه الشروط سيستفيد من الكتاب بشكل أو بآخر، أما من لم يكن مؤهلًا للتدرب وممارسة خطوات التدرب، سيفتح باب العتاب العلمي تجاه الكتاب لعدم خروجه بثمرة منه، وعليه فإنّ المقدمة هي معقد الحسم فيما ذكر آنفًا من خلال وضع ما يجب على الساعي لتكوين ملكة التفسير ومعرفته.

خاتمة: وعمومًا فقد قمتُ في هذه المقالة بقراءة في كتاب (تكوين ملكة التفسير) لمؤلفه الشريف حاتم بن عارف العوني، وهو محاولة جادّة لتقديم مجموعة من الخطوات العلمية والعملية المقترحة لتكوين ذهنيّة المفسّر، وقد عرضنا محتويات هذا الكتاب مع بيان إشكاليته والهدف الذي رام تحقيقه مما برهن على أنّ المؤلف يحمل همًّا واهتمامًا تجاه فهم مراد الله من كتابه، جراء ما غلب على الدرس التفسيري من طرق التلقين وسيادة التقليد الذي لا يؤدي إلى الفقه الصحيح في العلوّ.

كما وقفت على أهم المآخذ حول الكتاب وبعض الملاحظات ومناقشتها نقاشًا علميًا، ولا شك أنّ هذه الأمور لا تغض من شأن الكتاب ولا تنقص من قيمته وأهميته، بل هي تثمين وتعزيز لمكانة الكتاب وإعادة فتح ملف النقاش حوله، ومن المهم في هذا السياق الإشارة إلى ضرورة تعميق الدراسات والإنتاجات العلمية في موضوع هذا الكتاب؛ والتي لا شك أنها ستسهم في بلورة كفاءات عالية قادرة على القول في

التفسير وخاصة في وقتنا المعاصر الذي يشهد مستجدات لا متناهية في مجالات عدة.

وختامًا للخاتمة أوصي نفسي وعموم الباحثين والأكاديميين المهتمين بالتفسير وعلوم القرآن بالرجوع إلى الحصار العلمي السابق، وخاصة المهجور أو المنسي منه؛ ودراسته دراسة جادة ومعمقة، لما لهذه الخطوة من أهمية في الارتقاء أكثر ريادة وعمقًا لتراثنا الإسلامي.

ISSN: 2321-7928

رجلاً فقدناه:

المفتي محمد محبوب شريف النظامي

(1944-2024م)

- د. محمد فضل الله شريف[1]

في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً ليوم الثلاثاء السابع من شهر مايو 2024م فقدنا شخصية هنديّة قرآنية أثرت مؤلفات عديدة ألا وهي شخصية المفتي محمد محبوب شريف النظامي.

كان المفتي محمد محبوب شريف النظامي ينحدر من أسرة دينية من حيدرآباد وكان من علمائها الكبار، ومفسرًا ومفتيًا ذا مواهب متعددة. له آثار في مجالات مختلفة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ.

وُلِدَ المفتي محمد محبوب في السادس من شهر يونيو 1944م في إحدى قرى منطقة شاد بمديرية محبوب نغر. وتربّى تحت رعاية والده، تلقّى العلوم الابتدائية في دار العلوم العربية بكاورم بيلا، مديرية محبوب نغر. فحفظ القرآن الكريم في إشراف الحافظ محمد محبوب علي، وتعلّم التجويد والقراءات من المقرئ السيّد حسين شاه والمقرئ خليل الله الحضرمي. تخرّج في هذه المدرسة عام 1958م، وكذا حصل على شهادة المولوي كامل التفسير من الجامعة النظامية، ونال شهادة (M.O.L) من الجامعة العثمانية.

عمل المفتي النظامي أستاذًا في معاهد تعليمية مختلفة؛ في المدرسة العليا رفاه المسلمين، ومدرسة دينية رفاه المسلمين، ومدرسة إبراهيمية خلوت (تشار منار)، ومدرسة الفرقان (إسلام بيت وجائ واره) والكلية الإسلامية العربية (كرنول) كما احتلّ

[1] رئيس هيئة الدراسات العربية الشرقية بالجامعة العثمانية.

منصب المفتي في الكلية الإسلامية العربية لمدة أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وكان من المنتسبين إلى الجماعة الإسلامية بالهند.

كان له دور كبير في إلقاء الخطب في المساجد المختلفة في حيدرآباد وكرنول. قام بتأسيس جمعية الرحمة التعليمية الخيرية عام 2000م، والتي بدأت بنشاطاتها في توفير الوسائل التعليمية للشباب المسلمين. وكذا أسّس مدرسة باسم "مدرسة الدينية رحمة العلوم" ومدرسة عصرية باسم "رائل اندين" إضافة إلى مركز لتوفير التسهيلات التعليمية للطلّاب في المدارس العصرية.

وافته المنية يوم الثلاثاء 7 مايو 2024م في الساعة 11:30 ليلًا، ودُفن في مقبرة مكّي ميان في كشن باغ بمدينة حيدرآباد.

ألّف المفتي محمد محبوب شريف النظامي عديدًا من الكتب، كلّها باللغة الأردوية. نتحدّث عن بعضها فيما يلي:

1. **الشخصيات العلمية والدينية والإصلاحية والأدبية في الدكن في القرن العشرين:** هذا كتاب قيّم ألّفه المفتي محمد محبوب شريف النظامي، إنه يعرّف بجميع الشخصيات الكبرى من الدكن. جاء في جزئين يشمل كلٌّ منهما أبوابًا مختلفة. نشر الجزء الأول منه من قبل جمعية الرحمة التعليمية والرفاهية، كشن باغ في 2004م، كما نُشِرَ الجزء الثاني منه من نفس الجمعية في أكتوبر 2012م.
2. **الشريعة الإسلامية رحمة للجميع:** هذا الكتاب يتناول بالتفصيل مختلف جوانب العقيدة والعبادات، وكذلك أحكام المعاملات والعلاقات الاجتماعية، مع توضيح القوانين الإسلامية المتعلقة بالعقوبات والجزاءات. نُشِرَ الكتاب في 96 صفحة من جمعية الرحمة التعليمية والخيرية، كشن باغ عام 2008م.
3. **ومضات رمضان:** هذا الكتاب يجمع في طياته جميع الأعمال الأساسية في شهر رمضان مثل الصيام، وقيام الليل، وليلة القدر، وتجويد القرآن، وتلاوة القرآن

الكريم، والاعتكاف والزكاة، وصدقة الفطر، وجمعة الوداع، وعيد الفطر، وصيام الست من شوال، إنه مجموعة ردود على 216 سؤالًا عن رمضان المبارك وأحكامه وُجّهت إلى المؤلف وأذيعتْ على التلفزيون (**E.TV Urdu**) في شكل الحوار. طُبع الكتاب من قِبَل جمعية الرحمة التعليمية والخيرية، كشن باغ في 2009م.

4. **باقة الأحاديث:** هذه ترجمة أردوية للرسالة القيّمة التي كتبها زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المعروف بالمنذري، إنها تتحدّث عن السلوك والإحسان إلى الخلق واصطناع المعروف لكل إنسان حسب المراتب والدرجات. قام المترجم بشرح معضلاتها أيضًا لتكون فائدتها عامة.
5. **التربية والتنظيم للدعوة:** هذا الكتاب للمفتي محمد محبوب شريف النظامي، يبحث عن الدعوة وما يليق أن يتصف به الداعية من الأوصاف الحميدة، وما ينبغي له أن يجتنبه من المساوئ وغيرها. كما سلّط الضوء على أهمية الاجتماع والوحدة والوئام والتضامن، وآثارها وثمارها. نُشِرَ الكتاب من جمعية الرحمة التعليمية والخيرية في 2013م.
6. **الملك العظيم خان بهادر عبد السلام خان كرنول، حياته وخدماته:** هذه شخصية عبقرية كانت له خدمات جليلة في نفع الناس وخدمة المسلمين في كرنول، قد قام المؤلف بذكر بعض جوانب حياة خان بهادر عبد السلام خان وخدماته في المجالات المختلفة والمتنوعة. نُشِرَ الكتاب من جمعية الرحمة في 2015م.
7. **الدروس القرآنية الميسرة:** هذه مجموعة دروس المفتي محمد محبوب النظامي، وهي اثنان وخمسون درسًا دعويًا وتربويًا ويحوي مجلّدين أوّلهما في 428 صفحة وطُبِعَ في 2009م، وقد تُرْجِمَ إلى اللغة التلغوية في عام 2014م. والمجلد الثاني منه يحتوي على 160 صفحة، وطُبِعَ من جمعية الرحمة في 2019م.

وسنفصّل عنه قولًا في مقالة مستقلّة نبحث فيها عن حياته وأعماله وميزات أسلوبه وما والاه.

ISSN: 2321-7928

خطاب منظوم

للشيخ محمد عباس[1]

قال مراسلاً إلى الميرزا محمد علي خان آفتاب:

بدر تمّ طلعا أم نجم صبح لمعا
لا بل كتاب الألمعي الوعوعي البلتعي
الأريحي اللوذعي وافى إلى الصبّ الجلي
ألفاظه جواهر مضمونه زواهر
سطوره حدائق حروفه شقائق
أوانه خريدة في حسنها فريدة
يسبي العقول دلّها كل الأنام خلّها
عيناه سحر مؤثر والخدّ ورد أزهر
يا أحسن الخلائق اسمع كلام التائق
طرفي بهجرك باكي والقلب منك شاكي
في كل حال سيدي وصل الحبيب مقصدي
إني سمعت يا فتى إنّ أخيك في الشتا
قد سار من دياره وجاره وداره
إلى الطواف بالحرم ذي المجد والعزّ الأتم

[1] لم أقف على تاريخ وفاته، له كتاب "زينة الإنشاء".

ولشمّ قبر المصطفى بدرالدجى شمس الضحى
فاسئل الله الأحد الواحد الفرد الصمد
أن يجعل الخير له في ذلك السير له
أنزلت في عيش هني ذي رغد وافٍ سني
تم كلام الدامق خلّ صدود عاشق[1]

[1] زينة الإنشاء، ص 3